الأدب الإسلامي

٧٨

مجلة فصلية تصدر عن «رابطة الأدب الإسلامي العالمية» - العدد (٧٨) ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م

توظيف الزمان والمكان في الشعر الإسلامي المعاصر

د. زينب بيره جكلي

قراءة في ديوان كيف ألقاك لنجيب الكيلاني

د. محمد علي الرباوي

مقاربة النص الأدبي بين الرؤية والفن

د. وليد قصّاب

نظرة الإصلاحيين للشعر في الجزائر

د. عبدالرحمن تبرماسين

بسم الله الرحمن الرحيم

الرابطة.. وملتقيات الأدبيات

نحمد الله سبحانه، ونشكره على توفيقه في انعقاد الملتقى الدولي الثاني للأدبيات الإسلاميات في الأردن، ونجاح فعالياته بأفضل مما توقعنا وأمَّلنا، وذلك بفضل الله سبحانه أولا، ثم بجهود القائمين على إعداده في المكتب الرئيسي للرابطة، والمكتب الإقليمي في الأردن، وبخاصة اللجنة التحضيرية، وبتعاون الجامعة الإسلامية في عمان وجامعة اليرموك في إربد، وكان للباحثات والباحثين الذين كتبوا في محاور الملتقى السهم الوافر في ذلك.

لقد أسهم كل ذلك في نجاح هذا الملتقى بعد ترقب أكثر من عشر سنوات لأسباب خارجة عن إرادتنا، ومنها تأجيل انعقاده العام الماضي (٢٠١٢م) في القاهرة مع مؤتمر الهيئة العامة التاسع؛ فكان قرار عقده في الأردن بعد التشاور مع المكتب الإقليمي للرابطة في عمان قرارا مهما وصعبا لقصر المدة المتاحة لعقده، فاستجابت رئيسة المكتب الأديبة نبيلة الخطيب لطلب المكتب الرئيس، وعملت مع الهيئة الإدارية واللجنة التحضيرية على توفير كل ما أمكنها من أسباب لإنجاح الملتقى، وقد كان والحمد لله رب العالمين.

وقد شعرنا بالارتياح لنتائج الملتقى، ولقرار المكتب الرئيس بإسناد عقده إلى أول مكتب إقليمي للرابطة ترأسه أديبة مبدعة هي الأخت الشاعرة نبيلة الخطيب التي أبدعت في بذل جهودها ومعها الهيئة الإدارية في كل مراحل إعداد الملتقى وتنفيذه.

وشعرنا بالارتياح أيضا إلى التوصية بعقد الملتقى الثالث القادم في المغرب، فيكون بذلك تداول لمكان انعقاده من القاهرة، إلى عمان، إلى المغرب، ومن ثم في بلدان عربية أخرى مثل اليمن، والسودان، وغيرهما.

وهذا يتيح للأخوات الأديبات في تلك البلدان بشكل أوسع مجال المشاركة والتعويض عما يفوتهن بسبب الظروف الخاصة والعامة التي تعيق حضور الأخوات الأديبات في مثل هذه الملتقيات من البلدان البعيدة. ويعطي أيضا تنوعا في موضوعات الملتقى؛ بدراسة أوسع لشخصيات أدبية وأعمالهن الإبداعية والنقدية في بلد الملتقى.

والرابطة بهذا - وإن لم تستطع فعل كل ما نطمح إليه- فإنها تكون قد حققت هدفا أساسيا بالعناية بالأديبة الإسلامية، وكتاباتها الإبداعية والنقدية، وتأسيس صلات التعارف بينهن وتفعيلها. والله ولي التوفيق.

سكرتير التحرير

مجلة فصلية تصدر عن
رابطة الأدب الإسلامي العالمية
المجلد (٢٠) العدد (٧٨)
جمادى الآخرة - شعبان ١٤٣٤هـ
نيسان (أبريل)- حزيران (يونيو) ٢٠١٣م

رئيس التحرير
د . عبد القدوس أبو صالح

نائب رئيس التحرير
د . ناصر بن عبدالرحمن الخنين

المراسلات باسم رئيس التحرير
المملكة العربية السعودية
الرياض ١١٥٣٤ ص ب ٥٥٤٤٦
هاتف: ٤٦٢٧٤٨٢ - ٤٦٣٤٣٨٨
فاكس: ٤٦٤٩٧٠٦
جوال: ٠٥٠٣٤٧٧٠٩٤

Web page address
www.adabislami.org
E-mail
info@adabislami.org

الاشتراكات
للأفراد في البلاد العربية
ما يعادل ١٥ دولارا
خارج البلاد العربية
٢٥ دولارا
للمؤسسات والدوائر الحكومية
٣٠ دولارا

أسعار بيع المجلة
دول الخليج ١٠ ريالات سعودية أو ما يعادلها، الأردن دينار واحد، مصر ٣ جنيهات، لبنان ٢٥٠٠ ليرة، المغرب العربي ٩ دراهم مغربية أومايعادلها، اليمن ١٥٠ريالاً، السودان ٢,٥ جنيه، الدول الأوربية ما يعادل ٣ دولارات.

من كُتّاب العدد

د. عثمان أوزتورك

د. حلمي محمد لقاعود

أحمد رشاد حسانين

د. منجد مصطفى بهجت

شروط النشر في المجلة

- تستبعد المجلة ما سبق نشره
- موضوعات المجلة تنشر في حلقة واحدة.
- يرجى كتابة الموضوع على الحاسوب أو بخط واضح مع ضبط الشعر والشواهد وألا يزيد عن عشر صفحات.
- يرجى ذكر الاسم ثلاثيا مع العنوان المفصل.
- ترسل نبذة قصيرة عن الكاتب.
- توثيق البحوث توثيقا علميا كاملا.
- الموضوع الذي لاينشر لايعاد إلى صاحبه.
- إرسال صورة غلاف الكتاب،موضوع الدراسة أو العرض، أو صورة الشخصية التي تدور حولها الدراسة أو المجرى معها الحوار.

مدير التحرير
د . وليد إبراهيم قصاب

سكرتير التحرير
أ . شمس الدين درمش

هيئة التحرير
د . سعد أبو الرضا
د . عبد الله بن صالح المسعود
د . محمد عبدالعظيم بن عزوز
د . علي بن محمد الحمود

مستشارو التحرير
د . عبدالعزيز الثنيان
د . عبدالباسط بدر
د . حسن الهويمل
د . عبدالله العريني
د . رضوان بن شقرون

في هذا العدد

دراسات ومقالات

❖ **الافتتاحية:**

– الرابطة وملتقيات الأدبيات	سكرتير التحرير	١
– مقاربة النص الأدبي بين الرؤية والفن	د. وليد قصّاب	٤
– قراءة في ديوان كيف ألقاك لنجيب الكيلاني	د . محمد علي الرباوي	١٤
– عبدالحميد إبراهيم .. صاحب الوسطية الجديدة	د. حلمي محمد القاعود	٣٢
– توظيف الزمان والمكان في الشعر الإسلامي المعاصر	د. زينب بيره جكلي	٣٨
– نظرة الإصلاحيين للشعر في الجزائر	د. عبدالرحمن تبرماسين	٥٢
– القبو الزجاجي.. مرثية أمة لابتعاث أمجادها للدكتور صابر عبدالدايم	أحمد رشاد حسنين	٦٢
– شواهد الشعر العربي في الأدب الهندي .. أبو الكلام أزاد نموذجا	د. سمير عبدالحميد	٦٨

❖ **الورقة الأخيرة:**

– الشعر والنموذج الأمثل	د. عبدالباسط بدر	١١٢

الشعر

– نبعة الحب	محمد مصطفى البلخي	١٢
– قلعة الأمجاد	خالد عبدالله الغازي	٣٠
– وضباب الحوار كان كثيفا	محمود مفلح	٣٧
– الإسلام وحضارة الغد	عبير حسين إبراهيم	٤٧
– الأطلال المخلقة	إسماعيل مصطفى إبراهيم	٦١
– صوت من المرآة	رفعت المرصفي	٧١
– ترانيم صغيرة	محمد يوسف كرزون	٨٥

القصة والمسرحية

– رجل من الجيل القديم	د. آمال لواتي	٢٤
– الماضي المحرم	لبابة أبو صالح	٥٠
– إشراقة عند الغروب	إحسان ديار بكرلي	٦٦
– حدث في هذا اللقاء	مصطفى نصر	٧٨
– جعفر بن أبي طالب (مسرحية)	د. محمد رفعت زنجير	٨٠

الأبواب الثابتة

❖ **لقاء العدد:**

– مع الدكتور عثمان أوزتورك	حوار: سيامي أق يل	٢٦

❖ **من تراث الأدب الإسلامي:**

– من مقدمة كتاب فقه اللغة وسر العربية	أبو منصور الثعالبي	٤٨

❖ **تعقيب:**

– المؤدى الفني للشعر الإسلامي بين الواقع والخيال	شمس الدين درمش	٨٢

❖ **رسالة جامعية:**

– الشقاء الإنساني في روايات مختارة لنجيب محفوظ وعبدالصمد سعيد	د. منجد مصطفى بهجت	٨٦

❖ **الملتقى الدولي الثاني للأدبيات الإسلاميات**	د. سعد أبو الرضا	٩٢
❖ **أخبار الأدب الإسلامي**	إعداد: شمس الدين درمش	٩٨
❖ **بريد الأدب الإسلامي**		١١٠

مقاربة النّص الأدبيّ بين الرّؤية والفنّ

من قضايا النقد الأدبي الهامة البحث في كيفية التعامل مع النص الأدبي، والمعايير التي ينبغي أن تضبط هذا التعامل.

أينحاز هذا النقد إلى الجمال الفني، فيكون هو شغله الشاغل، من منطلق أن أي تجربة أدبية هي ذات قيمة مستقلة بصرف النظر عن الآثار المترتبة عليها، أم أنه مطالب بالبحث في هذه الآثار، من منطلق أن القيم الفكرية التي تقدمها هذه التجربة، أو تعبر عنها، هي مما لا يمكن تجاهله، لأن الأدب ليس مجرد رسم بالألفاظ، أو هندسة فنية للعبارات، بل لا بد أن ينطوي هذا الرسم وهذه الهندسة على شيء ذي بال؟

د. وليد قصّاب

أينحاز النقد الأدبي إلى الجمال أم إلى الفكر أم إلى كليهما معا؟ أي أيتعامل مع طبيعة الأدب أم مع وظيفته، أم مع كلتيهما؟

وإذا كان الجمال الفني في العمل الأدبي مما يمكن أن يُتفق عليه، أو على الأقل مما لا خلاف بيِّنا فيه، أفيكون الأمر كذلك بالنسبة إلى الفكر؟

إن الذي لا شك فيه أن الفكر هو دائما موطن خلاف، بسبب تعدّد المذاهب والعقائد والفلسفات والأديان التي تنطلق منها تصورات الأدباء والفنانين وهم يبدعون ما يبدعون.

وإذن فإن التعامل النقدي مع النصوص الأدبية بالمعايير الجمالية وحدها يبدو - بحسب الظاهر - أقرب إلى طبيعة النقد، وإلى طبيعة الأدب، وأقدر - في الوقت نفسه - على بلورة أحكام أقرب إلى الموضوعية والاتفاق كما يدّعي أنصار المقاربة الشكلية.

◁◁ استقلالية التجربة الأدبية:

إن التجربة الأدبية مثلا تبدو - انطلاقا من التصور النقدي السابق - وكأنها ذات قيمة مستقلة، أي أن قيمتها مستقلة عن الآثار النافعة التي قد تنجم عنها، أي عما قد يتصل بها من معنى خلقي، أو فلسفي، أو اجتماعي، أو ما شاكل ذلك، إذ إنها - في جوهرها - تجربة خيالية أو تأملية تنشأ عن طريق وضع الكلام في نسق خاص من الوزن. ولذلك ذهب بعض النقاد إلى أن واجب نظرية الشعر أن تركز على هذه القيمة المستقلة، وأن تبحث عنها، وتعنى بكشف أسرارها وخباياها.

تقول الناقدة إليزابيث درو: «لما كان الشعر فناً وسيلته اللغة فمن واجب الناقد أن يفعل ما في وسعه ليبين مظاهر هذه المهارة اللفظية»[١].

وكتب أودن ذات مرة يقول: «إذا حضر إليه شاب يطمع في أن يكتب، وقال له: لديّ أمر جليل أودّ أن أكتب عنه؛ فهو ليس بشاعر، ولكنه إذا اعترف وقال: «أريد أن أقف طويلاً مع الألفاظ، أستمع لحديثها؛ فهو حينئذٍ قد يصبح شاعراً»[٢].

وكان الجاحظ قد سبق الجميع في التعبير عن هذه القضية عندما قال قولته المشهورة:« المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع، وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير...»[٣].

وقد تبنى بعض النقاد – بسبب من ذلك – الدعوة إلى استقلالية الحكم النقدي عن الارتباط بأي معيار آخر غير فني، فقال روستر يفور هاملتون:« إن النشاط العملي والنشاط العقلي لهما أهمية ثانوية في نظرية الشعر... ولكن اهتمامها بهما مقصور على كونهما عاملين يدخلان عالم الخيال. وقيم الشعر – كغيره من الفنون الأخرى- متميزة عن قيم الأخلاق، كما هي متميزة عن قيم التفكير، وينبغي الحكم على الشعر- من حيث هو شعر – طبقاً لنوع التجربة الخيالية التي يمدنا بها فحسب، ولا يجوز الحكم عليه بمعيار ما فيه من خير خلقي، أو بمعيار صدقه بالنسبة لشيء يقع خارجه»[٤].

الجاحظ

وفي نقدنا العربي تحضر بقوة – في هذا السياق – عبارة القاضي الجرجاني في كتابه «الوساطة بين المتنبي وخصومه» في موطن الرد على من انتقص من شاعرية أبي الطيب المتنبي. «وغضّ من شعره لأبيات وجدها تدل على ضعف العقيدة وفساد المذهب في الديانة، كقوله:

يترشفْن من فمي رشفاتٍ
هنّ فيه أحلى من التوحيد

وقوله:

وأبهرُ آيات التهامي أنه
أبوكم، وإحدى ما لكم من مناقب[٥]

يقول الجرجاني معقبا: «فلو كانت الديانة عارا على الشعر، وكان سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر، لوجب أن يمحى اسم أبي نواس من الدواوين، ويحذف ذكره إذا عُدّت الطبقات، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية، ومن تشهد عليه الأمة بالكفر. ولوجب أن يكون كعب بن زهير، وابن الزبعرى وأضرابهما ممن تناول رسول الله

وعاب من أصحابه، بكما خرسا وبِكاء مفحمين، ولكن الأمرين متباينان، والدين بمعزل عن الشعر»[٦].

وهذه العبارة – بحسب الظاهر – تجعل الحكم على شاعرية الشاعر، وعلى شعره، مستندا إلى المقاييس الجمالية وحدها، وهي تستبعد مقاييس الدين، أو العقيدة، أو الفكر عامة، من هذا الحكم.

حضور الفكر في المقاربة النقدية:

والحق أولا أن هذه وجهة نظر واحدة من وجهات النظر في التعامل مع النص الأدبي وتقويمه، وهي تمثل

الاتجاه الجمالي الشكلاني في القديم والحديث.

ولكن كان إلى جانبها باستمرار - وفي القديم والحديث كذلك - الوجهة الأخرى التي ترى في الفكر مكونا من مكونات الجمالية، وهي تعتدّ به، وتحتكم إليه في تقدير الأدب والأدباء، وفي إنزالهم منازلهم، وإعطائهم أقدارهم، وقد تقدمهم أو تؤخرهم بسبب الفكر أو المعتقد، وقد تقبل نصوصهم بسبب ذلك أو تستقبحها وترفضها.

ففي نقدنا العربي مثلا نجد نصوصا كثيرة توضح أن القيم الهجينة والاستهتار بالدين والمثل الرفيعة كانتا أحيانا سببا في تأخر منزلة الشاعر الفنية وفي إسقاط شعره.

فهذا الأصمعي مثلا يحتكم إلى هذا المعيار الديني والخلقي في تقديم أو تأخير عدد من الشعراء القدماء والمحدثين.

يقول الأصمعي عن السيّد الحميري: «قبحه الله، ما أسلكه لطريق الفحول! لولا مذهبه، ولولا ما في شعره ما قدمت عليه أحدا في طبقته...»[٧].

ويقول عنه في مرة أخرى:«والله لولا ما في شعره من سبٍّ السلف لما تقدَّمه من طبقته أحد...»[٨].

ويقول عن مزرّد بن ضرار - أخي الشماخ: «ليس بدون الشماخ، ولكنه أفسد شعره بما يهجو الناس...»[٩].

وفي السياق نفسه يقول أبو عمرو الشيباني عن أبي نواس:«لولا ما أخذ فيه أبو نواس من الرفث لاحتججنا بشعره، لأنه محكم القول...»[١٠].

وفي رواية:« لولا أن أبا نواس أفسد شعره بهذه الأقذار - يعني الخمور - لاحتججنا به...»[١١].

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى كذلك عن أبي نواس: «لولا تهتكه لفضح جميع الشعراء...»[١٢].

وكان أبو عمرو بن العلاء يرجع تقهقر منزلة الأعشى عند طائفة من النقاد إلى ما ينطوي عليه هو أو شعره من رديء الفعال. يقول:«هو أشعر القوم إلا أنه وضعه إلحافه بالسؤال...»[١٣].

وفي مقابل ذلك شفعت القيم النبيلة في تقديم منزلة بعض الشعراء عند بعض النقاد.

ينقل أبو عبيدة حجة من قدّم جريرا على شعراء طبقته فيقول:«يحتج من قدم جريرا بأنه كان..... وكان ديِّنا عفيفا...»[١٤]، والحقّ أن النصوص - في النقد العربي - التي استندت إلى المعيار الديني والخلقي في مقاربة النصوص، وفي قبولها أو رفضها، وفي استحسانها أو استقباحها، وفي تقديم أصحابها أو تأخيرهم، وفي رواية أشعارهم أو حجبها، أكثر من أن تحصى[١٥].

الأصمعي

بل إن بعض النقاد جعل من واجب الناقد الاحتكام إلى هذا المعيار، بالذهاب إلى أبعد من الشكل، والتفتيش عما يقوله النص، أي بالبحث عن القيم والأفكار التي يدعو إليها.

يقول مثلا أبو عامر بن شهيد:«من الواجب على الناقد أن يبحث عن الكلام، ويفتش عن شرف المعاني، وينظر مواقع البيان، ويحترس من حلاوة خَدْع اللفظ، ويدع تزويق التركيب... فقد ترى الشعر فضيّ البشرة وهو رصاصي المكسر، ذا ثوب معضَّد أو مهلهل وهو يشتمل على بهق أو برص.. لا يستحق صاحبه غير أن يكون تلعّابة، أو صاحب براعة، وإنما

يستحق اسم الصناعة بتقحم بحور البيان، وتعمد كرائم المعاني والكلام، وأن ينطق بالفضل، ويركب أثباج الجد، ويطلب النادرة والسائرة، وينظم من الحكمة ما يبقى بعد موته، ويذكر بعد فوته...»[١٦].

النقد الحديث يستهين بالمعاني:

إن النقد الأدبي الحديث اليوم - وهو نقد مصنوع في معمل الفكر الغربي، ونتاج تطورات فكرية مادية - يغلب عليه إهمال القيم، والاستهانة بالفكر، لأنه يحيا الشك، ولا يؤمن بأية ثوابت أو يقينيات أو حقائق قطعية. وهو لذلك يدعو إلى الشكلية، ويتبنى الجمالية، وهو يدعو إلى مقاربة النصوص الأدبية مقاربة فنية شكلية، تركز على اللغة والأشكال التعبيرية، وتهمل المضامين والأفكار، وهي لا ترى في الأدب إلا شكلا باهرا من أشكال اللغة، إنه هندسة ألفاظ جميلة، ونحت عبارات خلابة رائعة خارجة على عبارات اللغة المألوفة، إنه تشكيل جمالي باهر يتميز بـ «الانزياح»، أو «العدول»، أو «اختراق» المألوف المتداول من اللغة، ولكنه - في هذه الأحادية القاتلة - لا يحاول أن يذهب إلى أبعد من ذلك.

إن النقد الحديث القادم إلينا من الغرب لا يعبأ بالقيم، ولا يهتم بالأفكار والمضامين، ولا يتوقف عند الفلسفات والعقائد والإيديولوجيات التي ينطوي عليها هذا النصّ الأدبي أو ذاك.

إن أي درس نقدي يحاول أن يربط الأدب بالحياة، أو المجتمع، أو الإنسان، هو في نظره نقد متخلف، يتعامل مع الأدب من الخارج، ويتوقف فيه عند العرض دون الجوهر.

إنه ينظر إلى التجربة الأدبية - كما ذكرنا - بمعزل عما يترتب عليها من آثار، وعما ينجم عنها من أهداف وغايات.

ويزعم أصحاب هذه الاتجاهات الشكلانية الجمالية أن هذا يكسب المقاربة الأدبية الحياد والموضوعية، إذ يبتعد بها - كما سبق أن ذكرنا - عن دائرة الاختلاف الناتج عن تباين الرؤى والتصورات الفكرية والعقدية.

دعوة الحياد النقدية:

ولكن هذه الدعوة إلى الحياد النقدي وعدم إدخال المعتقدات والأفكار في الحكم النقدي - وإن بدت وجيهة في الظاهر- لا سبيل إلى تحقيقها في واقع الأمر، وهي مطلب عسير غير ميسور؛ وذلك لأن طبيعة معتقداتنا لها تأثير كبير في تلقي التجربة الشعرية، وفي الإحساس بها، مما يدخل- بشكل إرادي أو غير إرادي- في الحكم عليها.

إن لكل قارئ للشعر طبيعته الخاصة، وإن كثيراً أو قليلاً من الإعجاب بالقصيدة ليرجع إلى كونها تقدم تجربة تشبه تجربة المتلقي، أو حالة من حالاته، وهو ذو حساسية خاصة، وثقافة خاصة، وإن له آراءه ومواقفه من الحياة والكون، ولا بد أن يؤثر ذلك كله في موقفه من الإحساس الفني والجمالي بالقصيدة.

تقول إليز ابيث درو: « إن الذوق الشخصي سيظل دائماً متبايناً بحسب ما للإنسان من فردية وميول خاصة، لأن لون ثقافتنا، ومبلغ وعينا؛ يدفعاننا دائماً إلى اتخاذ بعض المقاييس الفنية وطرح بعضها الآخر»[١٧].

ويقول هاملتون: « بالإجمال فإن طبيعة معتقداتنا لها تأثيرها – ولن أقول تأثيرها الكبير – على مستوى تجربتنا الشعرية»[١٨].

ثم إن الأدب مرتبط – في البدء والنهاية- بالحياة بأكملها، فهو يصدر عنها، ويغترف من معينها. وإن إحدى غايات الأدب العظيم تبليغ التجربة الإنسانية وتوصيلها».

ولقد كان الدكتور جونسون يقول: «الغاية الوحيدة للأدب هي أن يجعل القارئ يحسن الاستمتاع بالحياة، أو يحسن تحملها».

إن الحياة الإنسانية – بكل عمقها وتنوعها وواقعيتها- هي مادة الأدب، والأدب سجل حيّ لما رآه الناس في الحياة، وما عرفوه منها، وما خبروه من أحوالها، وما أحسوا به تجاهها، وما كانت مواقفهم منها، ولذلك كان هدسون يقول: إن الأدب تعبير عن الحياة وسيلته اللغة، وكان كولردج يقول: « إن الأدب نقد للحياة».

وإذا كانت صلة الأدب بالحياة –في كل صورها وأشكالها- هي هذه الصلة العميقة الحميمة؛ فهل يمكن عندئذٍ الاكتفاء بالنظر إلى الأدب على أنه تجربة جمالية مستقلة، ثم التوفر على قراءته والحكم عليه بعيداً عن أي سياق اجتماعي أو فكري؟

ثم إن افتراض الجمال في العمل الأدبي مسألة شكلية بحتة، مجردة عن الفكر، أمر فيه نظر. صحيح أن الشعر مثلا لا تصنعه الأفكار، ولكنه يثرى بها، وهي تغني تجربته الجمالية نفسها. وإن انهماك الشاعر في معرفة الحياة، والتعمق فيها، يكسبانه حصيلة موفورة من الثقافة والخبرة، فضلاً على حسّ مرهف يجعل تجربته أكثر حرارة وصدقاً وإقناعاً وإنسانية.

صحيح كذلك أن العمل الفني لا يستمد جلاله وروعته من جلال الموضوع الذي يعالجه، بل من خلال القدرة الفنية على التعبير عن هذا الموضوع، ولكن الأصح كذلك أن التجربة الفنية لا تنهض على الأسس الشكلية وحدها، « إن المبنى في ذاته لا قيمة له من دون المعنى، وإن الاثنين لا ينفصلان، وإن الشعر استعمال خاص للغة، ولكن قيمة أي استعمال للغة هي أن نقول شيئاً، لأن اللغة وسيلة اتصال بين الناس»[١٩].

ولا شك أن النقاد يؤثرون الحكم على القصيدة من خلال فنيتها، فمثل هذا الحكم الفني أحظى عند النقد؛ لأن عناصره أكثر إقناعاً؛ إذ هي تشكل قسطاً مشتركاً بين الناس، لأنها تقوم على الكمال الشكلي، والتناسق الجمالي. والحكم الفني – في هذه الحالة – يستمد شرعيته من عناصر ذاتية في النص نفسه، لا يتدخل فيها الفكر أو العقيدة اللذان تفترق عندهما مشارب الناس ومذاهبهم ومنازعهم، ولذلك يبقى لتجربة الحكم الفني الجمالي نوع من التميز، باعتبارها متعة خيالية يؤكدها نظام معين للكلام.

ولكن المشكلة – كما ذكرنا- أن الحكم الفني الجمالي وحده لا سبيل إليه عند أي ناقد مهما ادّعى الحياد الفكري، ذلك أن هذا الحياد أمر غير ميسور أصلاً، وهذا ما عبّرت عنه بشكل صريح إليزابيث درو بقولها:« نوقشت كثيراً فكرة الشعر والمعتقد، وكثير من الناس يجدون أنهم لا يستمتعون بالشعر إذا كانوا يختلفون مع الشاعر في معتقداته أو أفكاره؛ فاعتقاد ملتون الديني مثلاً قد حطم كل استمتاع بالفردوس المفقود، وكفر بوب بالأنظمة الدينية قد أفسد قصيدته«مقال في الإنسان».

وفي الجانب الآخر يقف أولئك الذين يعلنون أن أفكار الشاعر لا تلعب دوراً في تذوق الشعر، وأنهم يمكن أن يكونوا موضوعيين تماماً بالنسبة لها. وأنا أشك كثيراً في صحة هذا الزعم»[٢٠].

إن النقاد يدعون إلى الموضوعية وإلى العلمية، وتقول طائفة منهم: إن عملية النقد لا يمكن أن تتحقق إلا إذا«اعتبر الفن غرضاً صرفاً»، ولكن الواقع والممارسة العملية يؤكدان أن محاولة الناقد التجرد الصارم، أو التام، عن قناعاته الفكرية والعقدية أمر غير مستطاع، وأن قناعة الناقد (الجمالية) لا بد أن تهتز – إن لم نقل تنهار- أمام نص فاقع الدلالة في تقديم فكرة عن الحياة والكون مخالفة كل المخالفة لما يعتقده أو يحس به.

يتحدث الناقد الفرنسي« دانييل برجيز» عن تيارات النقد الأدبي الحديث الكبرى وهي: النقد التكويني، والنقد النفسي، والنقد الموضوعاتي، والنقد الاجتماعي، والنقد اللساني، ثم يوضح لنا أنها ترتبط أصلاً بمفهوم فكري عقدي عن الإنسان يقول: «إن هذه التيارات الخمسة تفترض مفهوماً معيناً للنص الأدبي، وحتى مفهوماً معيناً للإنسان»[٢١].

وفي نقدنا العربي التراثي نجد نماذج كثيرة تشعر بعدم القدرة على هذا الحياد النقدي المطلوب، إذ نجد مثلا عددا من النقاد الذين بدت آراؤهم النقدية النظرية أقرب إلى التعبير عن منحى جمالي يقعون – في أحيان غير قليلة – في التناقض والتضارب عند التطبيق، أي عند مقاربة النص الشعري والتعامل معه.

أبو نواس

بل إن هؤلاء النقاد الذين حاولوا الفصل بين شاعرية الشاعر ومعتقده، أو بين فنية النص والفكر الذي يحمله، أو حاولوا أن يستبعدوا المعيار العقدي أو الخلقي عند الحكم على النصوص، استهجنوا جميعا عند المقاربة النقدية التطبيقية تجاوزات الشعراء الدينية، ووقفوا موقفا شديد القسوة من قائليها، بل ما أكثر ما صدرت عنهم بحق الشعراء عبارات في منتهى القسوة!

فها هو ذا أبو هلال العسكري الذي صنفه بعض الدارسين على أنه من أنصار الشكل يورد بعضا من أقوال من سماهم «الملحدين لعنهم الله» كديك الجن، وابن أبي البغل، وأبي نواس، وغيرهم، ثم يقول:«قبحهم الله، لقد أعظموا القول، ولم ينتفعوا إلا بالفضيحة في الدنيا، والإثم في الآخرة...».

ثم لا يكتفي العسكري بهذا النقد العقدي العنيف لهؤلاء الشعراء، بل يشفّع ذلك ببيان سبب إيراده هذه النصوص فيقول: «وإنما أورد هنا مثل هذا لتعرف أهله، ولأن تسمية الكتاب توجبه»[٢٢].

وانظر إلى شدة ابن وكيع على المتنبي لتجاوزه العقدي في قوله:

أيَّ محلٍّ أرتقـــي ... أيَّ عظيم أتقـــي
وكلُّ ما قد خلق الله ... وما لم يخـــلق
محتقرٌ في همتـــي ... كشعرةٍ في مفرقي

يقول في نقده:«هذه أبيات فيها قلة ورع. احتقر ما خلق الله عز وجل، وقد خلق الأنبياء والملائكة والصالحين، وخلق الجن والملوك والجبارين. وهذا يجاوز في العجب الغاية، ويزيد على النهاية، وقد تهاون بما خلق الله وما لم يخلق، فكأنه لا يستعظم شيئا مما خلق الله، وهو من خلق الله عز وجل الذي جميعه عنده كشعرة في مفرقه. وهذا مما لا أحب إثباته في ديوانه لخروجه عن حدّ الكِبر إلى حدّ الكفر...»[٢٣].

رؤية النقد الإسلامي:

وعلى العموم فإن النقد الإسلامي من منطلقين اثنين: أحدهما واقعي، والآخر شرعي عقدي، يرى أن المقاربة النقدية لأي نص أدبي ينبغي أن تكون مقاربة جمالية وفكرية، أي تركز على الشكل والمضمون، على الأداة والرؤية.

فأما المنطلق الواقعي فقد بيّنا أن تخلي أي ناقد عن عقيدته أو اتجاهه الفكري والفلسفي، والاحتكام إلى المعايير الجمالية وحدها، هو أمر غير ممكن أصلا، وهو غير متحقق على أرض الواقع، وإن اختيار الناقد لمنهج معين يتعامل به مع النصوص هو - في حد ذاته - وجه من وجوه شخصيته، أو فكره، أو فلسفته.

وأما من المنطلق الشرعي فهو أن الأدب - في تصور الناقد الإسلامي- ليس وعاء جماليا فحسب، وإنه - مهما احتفى بفنية النص الذي لا يكون هذا النص أدبا إلا به - لا يكتفي بذلك، فالنص الأدبي وعاء جمالي وفكري، وكما يُبحث فيه عن المتعة والفنية والتشكل اللغوي الباهر، يُبحث فيه كذلك عن الفائدة والهدف والوظيفة.

إن دعوة بعض مناهج النقد إلى تجريد الأدب من الغاية، وإلى ابتعاده وابتعاد النقد الذي يدرسه عن «الذرائعية» دعوة غير سديدة، وهي لا تتفق - على أقل تقدير - مع التصور الإسلامي للأدب الذي يرى في الأدب نشاطا موثرا فعالا، يراه نشاطا عقليا جادا، قادرا على بناء الإنسان بناء فكريا سليما، بما يمتلك من طاقات جمالية وإمتاعية هائلة تجعله قادرا على الانسراب إلى أعماق النفس والتأثير فيها تأثيرا بالغا.

لقد كان واحد مثل سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يدرك خطر الأدب، وقوة تأثيره، ودوره في البناء والإصلاح، ولذلك كان حثه الدائم على تعلمه وحفظه.

كتب عمر ذات مرة إلى أبي موسى الأشعري يقول له:«مُر مَنْ قبلك بتعلم الشعر، فإنه يدل على معالي الأخلاق، وصواب الرأي، ومعرفة الأنساب»[٢٤]. وهذه كلها وظائف نفعية إصلاحية للشعر.

وقال في مرة أخرى في هذا السياق نفسه:«تحفظوا الأشعار، وطالعوا الأخبار، فإن الشعر يدعو إلى مكارم الأخلاق، ويعلم محاسن الأعمال، ويبعث على جميل الأفعال، ويفتق الفطنة، ويشحذ القريحة، ويحدو على ابتناء المناقب، وادخار المكارم، وينهى عن الأخلاق الدنيئة، ويزخر عن مواقعة الرِّيب، ويحض على معالي الرتب...»[٢٥].

وهكذا لا يهمل الناقد الإسلامي - وهو يقارب النصوص الأدبية ويدرسها ويحللها - عنصريها الأساسيين: اللفظ والمعنى، أو الشكل والمضمون، أو الأداة والرؤية، فالأدب عنده نشاط جمالي فكري جاد؛ الفنية والجمالية تجعلانه أدبا، أي تكسبانه صفة «الأدبية» أو «الشعرية» ولكن نفاسة الفكر الذي يقدمه الشكل هي التي تجعل الأدب ذا قيمة، وهي التي تجعله في موطن العظمة والديمومة والخلود. وما نماذج الأدب الرفيع التي خلدت على مر الدهور إلا برهان ساطع لا يقبل الشك على عناق الشكل والمضمون، والجمال والفكر ■

الهوامش:

(١) الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، إليزابيت درو، ص١٠، (ترجمة محمد إبراهيم الشوش).
(٢) السابق: ص٢٣.
(٣) الحيوان: ١٣١/٣.
(٤) الشعر والتأمل: ص ١٩ .
(٥) التهامي: يريد رسول الله ﷺ، يقول المتنبي: إن أبهر آيات النبي - عليه السلام - أنه أبوكم، وكونه أباكم هو إحدى مناقبكم معشر الفاطميين.
(٦) الوساطة: ص٦٣-٦٤.
(٧) الأغاني: ٢٣٢/٧
(٨) السابق: ٢٣٦/٢
(٩) فحولة الشعراء للأصمعي: ص١٢.
(١٠) طبقات الشعراء لابن المعتز: ص٢٠٢.
(١١) السابق، وخزانة الأدب للبغدادي: ٣٢٨/١
(١٢) ديوان أبي نواس: ص١٤.
(١٣) جمهرة أشعار العرب: ٢٠١/١
(١٤) الأغاني: ٥/٨.
(١٥) انظر كتابنا «النقد العربي القديم: نصوص في الاتجاه الإسلامي والخلقي» ففيه مئات النصوص التي تمثل هذا الاتجاه.
(١٦) الذخيرة، القسم الأول، المجلد الأول، ص٣١٠-٣١١.
(١٧) الشعر، كيف نفهمه ونتذوقه: ص١٢٤.
(١٨) الشعر والتأمل: ص٢٥.
(١٩) الشعر، كيف نفهمه ونتذوقه: ١٢٥.
(٢٠) السابق: ص٣١٩.
(٢١) مدخل إلى مناهج النقد الأدبي،«سلسلة عالم المعرفة: ع٢٢١، الكويت» ص١٣.
(٢٢) ديوان المعاني لأبي هلال العسكري: ٢٥١/٢.
(٢٣) المنصف في نقد الشعر: لابن وكيع التنيسي: ص٢٠٣.
(٢٤) العمدة لابن رشيق: ٢٨/١
(٢٥) نضرة الإغريض في نصرة القريض، للمظفر العلوي: ص٣٥٧.

نَبْعَةُ الحُبِّ

محمد مصطفى البلخي - سورية

قدم الشاعر لأمه وردة فَقَبلَتْها وقَبَّلَتها، وعلى مخدَّتها وضعَتْها، ثم كانت هذه القصيدة من وحي ذلك المشهد، ولأول مرة يقدِّمُها الشاعرُ منشورةً كهديَّةً متواضعة لأمه ولكلِّ أمٍّ في الدنيا:

يا نَبْعَةَ الحُبِّ عَيْنُ اللهِ تَرْعاكِ
ما كُنْتُ أعْرِفُ مَعْنى الحُبِّ لولاكِ

أنتِ النَّشيدُ بِلَحْنِ الشَّوْقِ أَعْزِفُهُ
لِلْقلبِ زاداً فكيفَ القلبُ ينساكِ؟

ما عُدَّ من عُمُرِي يومٌ يمرُّ ولَمْ
يُشْرِقْ على القلبِ نورٌ من مُحَيَّاكِ

كلا و لا ليلةٌ تزهو بأنْجُمِها
إنْ لَمْ تَدُرْ في رِحابِ الطُّهْرِ أفلاكي

أُمَّاهُ في قَلْبِكِ الخَفَّاقِ مَرحَمَةٌ
سُبْحانَ مودِعِها في قَلْبِكِ الزَّاكي

تَشِعُّ بالدِّفْءِ والتَّحْنانِ حيثُ سَرَتْ
فَيورقُ البَيْتُ مخضلاً بِرَيَّاكِ

يَكْفيكِ أنَّ رسولَ اللهِ أُسْوَتُنا
أعلى حُقوقَكِ في الدُّنيا فأعلاكِ

أقوالُهُ فيكِ تاجٌ لاحَ فَرْقَدُهُ
من مَبْسِمِ الصُّبحِ فالمَعْصومُ ولاكِ

(أَحْسِنْ لأُمِّكَ) خَيْرُ الخَلقِ ردَّدَها
فَزَغْرَدَ الدَّهرُ إجلالاً وحيّاكِ

وصاغَ أُمَّهُ زوجَةَ الأجيالِ مُبْتَهِلاً
(أُمَّاهُ أُمَّاهُ عَيْنُ اللهِ تَرْعاكِ)

يا فَرْحَةَ الشِّعرِ بَلْ يا فَخْرَ قائلِه ... إذا تَسامَقَ للعَليا فأرضاكِ!

يا قبْلَةَ الشِّعْرِ والأشعارُ بوْحُ جَوىً ... ما جانَبَ الحَقَّ مَنْ بالرُّوحِ فَدّاكِ

وهل يَرُدُّ جميلُ الشِّعرِ مُذ خُلِقوا ... بَعْضَ الجميلِ إذا ما الشِّعْرُ غَنَّاكِ؟

هَيْهاتَ هَيْهاتَ أن يَحْظَوا بِبُغْيَتِهم! ... هَيْهاتَ هَيْهاتَ! بُعْداهُمْ وحاشاكِ

أنتِ الوَشيجَةُ رَبُّ العَرْشِ أكْرَمَها ... مِنْ طِينةِ الصَّبْرِ والإيثارِ سوّاكِ

كم سِرْتِ هَوْناً على (الوَهْنينِ) مُثْقَلَةً ... ولَمْ تُبالي بِأَعْباءٍ وأشْواكِ!

وكم صَبَرْتِ على (الكُرْهَينِ) راضِيَةً! ... يا قَلْعَةَ الصبرِ! مَنْ بالصَّبْرِ حَلاَّكِ؟

■ ■ ■

أُسْتاذةَ الحُبِّ والإخلاصِ لا عَجَباً ... أن يُكرَمَ الوَرْدُ في إحْياءِ ذِكْراكِ

فأنتِ كالْوَردِ لولا شَوْكُهُ ساعِدِه ... وَلْيَهْنِهِ أنْ يُقالَ الوردُ حاكاكِ

لا يُجْتَنَى الوَرْدُ إلا في مَواسِمِه ... وأنتِ يَزْكو على الأيّامِ مَجْناكِ

أماهُ يا بَلْسَماً للجُرْحِ أوْدَعَهُ ... ربُّ الخَليقَةِ سِرّاً فيه مَعْناكِ

خميلةُ الرَّحِمِ الرَّحْمنُ يكْلَؤُها ... يُزجي الحَنانَ إلَيْها مِنْ حَناياكِ

تَغْذو الجَنينَ رحيقَ الحُبِّ من دَمِها ... للهِ دَرُّكِ! كم درَّتْ عطاياكِ!

فالنُّسْغُ في الطِّفْلِ قَلْبُ الأمِّ مَنْبَعُهُ ... والزَّهوُ في الكَهْلِ بعضٌ من سَجاياكِ

إنْ يأسِرِ البَذْلُ فينا قَلْبَ نائلِه ... فَلْيَشْهَدِ الكَوْنُ أنَّ الكلَّ أَسْراكِ

فما هَزَزْنا جُذُوعَ الخَيْرِ نَسْأَلُها ... إلا وَجادَتْ لنا مِنْ خَيْرِكِ الزَّاكي

■ ■ ■

أمَّاهُ يا آيةً في الحُبِّ نَقْرَؤها ... في بَسْمَةِ الطِّفلِ أو في طَرْفِهِ البَاكي

نَميرُكِ العَذْبُ لَمْ تَأْسَنْ مَوارِدُهُ ... يَوْماً لِجافٍ مِنَ الأبْناءِ أو شاكِي

وصَدْرُكِ الرَّحْبُ إمَّا ضجَّ من ألمٍ ... فقد تَجودُ بماءِ الحُبِّ عيناكِ

حنانُهُ نَسَماتُ الرَّوْضِ تَمْنَحُنا ... عِطْراً مَدى العُمْرِ ما أَحْلى هَداياكِ!

كَمْ مَرَّةٍ في هَجيرِ البُعْدِ يَلفَحُني ... هَمٌّ فآوي إلى أَفْياءِ ذِكْراكِ

أخاطِبُ الطَّيفَ بالأَهْدابِ مبتهجاً ... أبُثُّكِ الشَّوْقَ أو أُصْغي لنَجْواكِ

وكم غَفَوْتُ ونورُ الطَّيْفِ لي أَلَقٌ! ... بَلْ كَمْ صَحَوْتُ على تَقْبيلِ يُمناكِ!

ولي دعاءٌ على الأيَّامِ أَرْفَعُهُ ... أن يَجْعَلَ اللهُ في الفِردَوْسِ مأواكِ

قراءة في ديوان كيف ألقاك لنجيب الكيلاني

المرحوم الدكتور نجيب الكيلاني، مثقف، متعددُ الاهتمامات. فهو - إلى جانب كونه طبيبا -، أديبٌ مهتم بالنقد والتنظير والإبداع. فهو إذن ناقد، ومفكر، وروائي، وقصاص، وشاعر. غطّتْ كتبُه كلّ مجالات اهتماماته، إذ بلغ ما ألفه أكثرَ من ستين كتابا. وهذا يجعل دراسة عمل من أعماله أمرا محفوفا بالصعوبات؛ ذلك بأن من يقترب من إنتاجه، لابد أن يكون هو أيضا مهتما بكل الأجناس التي عُرف بها.

محمد علي الرباوي - المغرب

وهذا أمر قَلَّ ما يتوافر في الدارس. وإذا ما توافر فإن الإنْجاز يتطلب بحثا معمقا؛ لهذا اخترتُ جانبا واحدا من اهتماماته، وهو الشعر. واخترت من بين دواوينه العديدة: كَيْفَ أَلْقاك، وهو الديوان السادس ضمن قائمة دواوينه.

هل يمكن دراسة هذا الديوان بِمعزل عن باقي إنتاجاته الإبداعية؟ هل يمكن دراسة هذه المجموعة بمعزل عن مجموعاته الأخرى؟ هل يمكن دراسة كيف ألقاك دون استحضار تنظيراته في مجال الأدب الإسلامي؟

لكل هذا فضلتُ أن يكون عملي عبارة عن قراءةٍ، لا دراسة؛ لأن في القراءة شيئا من صرامة الدراسة مع الاعتماد على انطباعات القارئ. والأدب الإسلامي، في اعتقادي، ما يزال بحاجة إلى النقد الانطباعي؛ لأن القارئ المسلم، مع الأسف الشديد، لَم تتكون لديه ملكة التذوق الجمالي والفني بعد، وهذا، في نظري، يعود إلى غياب هذا الصنف من النقد. لكن ينبغي للنقد العلمي أن يظل حاضرا في رحاب الجامعات.

لكل ما سبق، جعلتُ هذه القراءة قائمة على العناصر التالية:

-تمهيد

- العرض:

(أ) وصف الديوان من حيث الأشكال الشعرية الحاضرة بين ثناياه

(ب) وصف عناوين القصائد من غير ربطها بنصوصها.

(ج) وصف ثلاثة عناوين مع ربطها بنصوصها.

- الخلاصة

◁◁التمهيد:

تندرج هذه المجموعةُ الشعرية ضمن الأدب الإسلامي، وهذا يجعلني أقرؤها وأنا أستحضر أمرين:

الأمر الأول يتعلق بتصوري للشعر الإسلامي كما أمارسه.

الأمر الثاني يتعلق بتصور نجيب الكيلاني للشعر خاصة، وللأدب عامة.

أما تصوري فمبثوثٌ في أكثر من دراسة، وعرض. لهذا لن أقوم بعرضه في هذا المقام، لكن في ضوئه، سأقرأ هذه المجموعة.

أما تصور الكيلاني، فهو تصور يشاركه فيه جلُّ الأدباء الإسلاميين بالمشرق العربي، حيث جاءت تنظيراتُهم لتؤكد أن الأدب الإسلامي أدبٌ ينطلق من التصور الإسلامي للكون، والحياة، والإنسان. وكل التنظيرات تؤكد ضرورةَ العناية بالشكل، والمضمون. لكن على مستوى الإنجاز، نجد الاهتمامَ ينصب على المضامين الإسلامية.

وقد أرجعتُ هذا السلوكَ في دراسةٍ سابقة، إلى طبيعة الأدباء الإسلاميين بالمشرق. فأغلبُهم من أبناء الحركة الإسلامية، أو هم من قاداتِها؛ لذا ربطوا أدَبَهم بِهذه الحركة.

وعَمَلُهم هذا يُذَكِّرُنا بِمرحلة الواقعية الاشتراكية في نسختها العربية وبأدبائها. هؤلاء خرجوا من أحضان اليسار، وأحزابه. فحين كتبوا، ربطوا كتاباتِهم بِهذه الأحزاب. فكان الاهتمام منصبا على المضامين على حساب الشكل؛ ولهذا حين نعود اليوم إلى التراث الأدبي للواقعية الاشتراكية في عالمنا العربي، نجد نصوصا باهتةً، وميتة، لم تستطع مقاومة الزمن. والأدبُ الإسلامي في المشرق العربي خاصة، قد يقع له ما وقع لهذا الأدب الواقعي إذا ما اقتصر الأدباء الإسلاميون على اعتبار الأدب الإسلامي هو الأدبَ الذي يواكب الحركة الإسلامية مشرقا،

ومغربا. ويدعو إلى مبادئها، ويتغنَّى بأبطالها، ويرثي شهداءها.

والحق أن الأدب الإسلامي ليس مرتبطا بهذه الغاية وحدها، بل هو مرتبط بالإنسان كما خلقه الله سبحانه وتعالى، وكما أراده أن يكون. لهذا خاطب الإسلامُ في الإنسان عقلَه وقلبَه. أي: خاطب فيه روحه، وجسده باعتبارهما زوجين.

وأرى أن أكبرَ مشكلٍ تعاني منه الآدابُ الغربيةُ راجع إلى كونها تقتصر على خطاب العقل تارة، وتارة على خطاب القلب؛ وهذا سرُّ انْهيار قيمها، مع البحث الدائم عن قيم جديدة. وهذا أيضا سر انهيار الحضارة التي أعطت هذه الآداب.

ولهذا أرى أن على الأدب الإسلامي أن يكون المنهجُ الإسلاميُّ من مكوناته؛ فإذا ما خاطب الإنسانَ، فينبغي أن يخاطب فيه هذين العنصرين الزوجين؛ لأن التوازن يحصل بزواجهما؛ ولذا أقول: ما المانع من أن يكون لنا أدبٌ تأملي، أو أدب وجداني، أو أدب غزلي، إلى جانب أدب الدعوة؟

◁◁ العرض:

آ- وصف الديوان من حيث الأشكال الشعرية:

تتألف هذه المجموعة الشعرية من أربعة وعشرين نصا شعريا على الشكل التالي:

- ١٢ قصيدة.
- رباعيتان.
- ٧ نصوص من الشعر المقطوعي.
- قصيدتان حرتان.
- مسمط واحد.

فالقصيدة إذن باعتبارها شكلا شعريا موروثا يمثل حضورُها ٥٠ ٪. إن هذا يجعلنا نتصور أن الشاعر نجيب الكيلاني يميل إلى الأشكال الشعرية المستحدثة، خاصة وأن بالديوان قصيدتين حرتين. أما الأشكال الأخرى فمرتبطة بالقصيدة الحرة. وهذا ما يحملنا نقول: إن الشعر الإسلامي شعر منفتح، شعر لا يتقوقع في ما أنجزه الشعراء الجاهليون. بل هو شعر قادر على تجاوز الموروث، والدخول إلى أزمنة الحداثة. فالإسلام الذي حافظ على الشكل الشعري المنجز في العصر الجاهلي، لن يرفض الشكل الشعري الذي أنجزه رواد الحداثة في أدبنا العربي، من حيث لغته، وإيقاعه.

لكن إذا نحن فحصنا الأشكال الشعرية المستحدثة في (كيف ألقاك) اكتشفنا حقيقة مضمرة، وهي أن نجيب الكيلاني تسيطر على شعره البنية التقليدية، رغم تظاهره بمهادنة الحداثة. وهذا يتجلى واضحا حين ننظر إلى شكل البيت في النصوص الشعرية التي تشتمل عليها هذه المجموعة. إذ نجد أن واحدا وعشرين نصا شعريا يقوم البيت فيه على شطرين متساويين، ونجد ثلاثة نصوص، البيت فيها ذو شطر واحد.

إذن فالبيت التقليدي يغطي ما يقرب من ٩٠٪. هذه البنية التقليدية للبيت سوف تؤثر في بنية النصوص الكبرى، إذ بسبب هذه البنية، سيحضر المضمون على حساب الشكل، وبخاصة المضمون الإسلامي.

وهيمنة المضمون تتجلى لنا واضحة قبل قراءة النصوص؛ أي تتكشف هذه الهيمنة من خلال العناوين:

ب - العناوين بمعزل عن النصوص:

حين نستعرض عناوين قصائد هذه المجموعة الشعرية، وهي أربعة وعشرون عنوانا، نكتشف أن أكثر من ستين في المائة من هذه العناوين تدل على اهتمام الشاعر بالمضمون الإسلامي، دون أن نكون بحاجة إلى قراءة القصائد. وهذه العناوين هي: ليل وقضبان، يقول شيخي، اركب الصعب، أمة الرسول، الحليف، أم الخبائث، الروس قادمون، رسالة إلى جمال الدين الأفغاني، مرثية القرن الرابع عشر الهجري، الشيطان، أرض النبوة، الله والكون، خواطر سجين، نشيد، طبول الحرب.

وثمة عناوين أخرى بنسبة تقترب من الأربعين في المائة دالة على النفس الوجداني الرومانسي. وهي: عيناك، أنا وحبيبتي، أحزان جيل، بكاء على الأطلال، عودة، الركب التائه، القمر، الشاعر والليل، كيف ألقاك.

إذن يمثل المضمون الإسلامي اعتمادا على العناوين ثلثي الديوان. أما الثلث الباقي فيمثله المضمون الوجداني / الرومانسي / الغزلي. ورغم ضعف المساحة التي يحتلها هذا الحيز فإن هذا الحضور أمر هام، إذ الأديب المسلم بحاجة إلى ملء هذه المساحة العاطفية حتى نمكن القارئ المسلم من إشباع عواطفه الإنسانية اعتمادا على شعر ينطلق من التصور الإسلامي بدل أن يفر بعواطفه إلى شعر يؤجج بداخله رغبات الجسد، فتهيج. ثم لا يستطيع كبحها.

جـ العناوين والنصوص:

إن الوصف الذي قدمناه لهذه العناوين وصف مجرد؛ أي لم نربطه بمحتوى النصوص. على أن الملاحظَ بعد قراءة المجموعة، أن العناوين الدالة على المضمون الإسلامي لا تحتاج، لكي نختبر صحة ما تدل عليه، إلى العودة إلى نصوصها. ولهذا سنقتصر على العناوين المرتبطة بالنفس الوجداني. ونحن حين نقرأ النصوص الممثلة لهذه العناوين، سنكتشف أنها ذات مضامين إسلامية. ولتأكيد هذا سنقتصر على ثلاثة عناوين، وهي: عيناك، وأنا وحبيبتي، وكيف ألقاك.

أولا: العنوانان الأول والثالث يقدمان السؤال التالي: ما جنس كاف الخطاب؟ أهو المذكر، أو المؤنث؟ هذه لعبة جميلة من الشاعر، إذ بواسطتها سيثير فضول المتلقي. ولعل هذا ما جعله يختار العنوان الثالث عنوانا كبيرا لهذه المجموعة الشعرية. كيف ألقاك: هل كان نجيب الكيلاني بحاجة إلى وضع هذا السؤال؟ هل هذا النص الذي يحمل هذا العنوان نص غزلي؟ هل الديوان كله ديوان غزل؟

لكي يحتفظ الشاعر بحماسة القارئ، وبفضوله، لم يفتتح ديوانه بالقصيدة التي تحمل عنوان «كيف ألقاك»، بل خبأها وسط قصائد الديوان. فلكي يصل القارئ إليها؛ ليتعرف على كنه كاف الخطاب، عليه أن يعبر أربعا وخمسين صفحة من أصل سبعين صفحة؛ ليصل إليها؛ أي: عليه أن يقطع ٧٠ ٪ من الديوان.

وحين يصل القارئ إلى هذه القصيدة يجد نفسه، قبل القراءة، أمام شعر مقطوعي يتكون من اثني

عشر مقطعا، لكل مقطع رويه الخاص. وهذا الشكل «الرومانسي» يوهمنا بركوب الشاعرِ الجديدَ، مما يجعل القارئ يتصور أن مضمون الغزل – إن صح أن النص غزل – هو الذي استدعى هذا الشكل «المتطور»، لكن سرعان ما يدرك القارئ، منذ البيت الأول أن كاف الخطاب يعود على الله سبحانه وتعالى:

كَيْفَ أَلْقَاكَ يا إِلَهِي وقَلْبِي
فِيهِ مَا فِيهِ - ربِّ - مِنْ نَزَوَاتِ
قُدِّسَتْ بَيْنَنَا صُنُوفُ الْخَطَايَا
وَرَكَعْنَا لِكُلِّ طَاغٍ وَعَاتِ
أَصْبَحَ الْخَوْفُ عِصْمَةً وَدَهَاءً
وَالبُطولاتُ عَثْرَةَ العَثَرات
وَالدُّعَاةُ الْهُدَاةُ ضَاعَ نِدَاهُمْ
كَضَلِيلٍ مِنْ مَهْمَهٍ أَوْ فَلاةِ (ص: ٥٥)

وهكذا يتصدر كلَّ مقطع قولُ الشاعر «كيف ألقاك» تارة، و«كيف ألقاك إلهي» تارة أخرى. لكن رغبةً في الوضوح، كانت العبارةُ في المقطع الأول هي: «كيف ألقاك يا إلهي» حتى لا يؤول الكلام، وحينما أدرك الشاعر أن القارئ أدرك كنه الكاف، أباح لنفسه، في بعض المقاطع، استعمالَ «كيف ألقاك»، دون أن يُرفقها بجملة النداء الدالة على مرجعية كاف الخطاب.

عيناك:

قياسا على «كيف ألقاك»، هل نعد الكاف أيضا ضميرا يعود على المذكر؟ ولكن الأحسن أن نقرأ النص:

عَيْنَاكَ تُشْبِهُ غَابَةً تَعْوِي بِمَحْفَلِهَا الذِّئَابْ
وتَضِجُّ باللَّحْنِ الْخَؤُونِ مُعَرْبِداً بَيْنَ الصِّحَابْ
وَشِرَاكُ لَحْظِكَ يَالَهُ مِنْ جائِعٍ لِمَنِ اسْتَطَابْ

يجعلنا هذا المقطع، اعتمادا على ما به من علامات، نتأكد من أن كاف الخطاب يعود على أنثى.

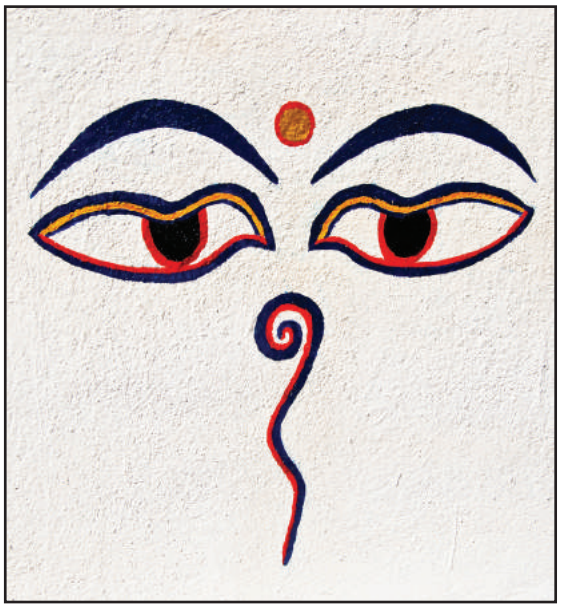

هذا معناه أن الشاعر يخاطب المرأة، أو يخاطب عينيها. وليس بِهذا الخطاب ما يُسعف على التأويل الصوفي. صحيح هذه المرأةُ المخاطَبَةُ امرأةٌ ذاتُ ملامحَ أسطورية. ومطلع هذا المقطع يُذكِّرنا بقول السياب المشهور:

عَيْنَاكِ غَابَتَا نَخيلٍ سَاعَةَ السَّحَرْ

وهذا يدفعنا إلى أن نعقد موازنة بين عَينَي حبيبةِ السياب، وعيني حبيبة الكيلاني. أو بلغة أخرى، أن نوازن المرأةَ في أنشودة المطر، بالمرأة في (عيناك)، (والغريبُ أن كلا الشاعرين جعل من عنوان قصيدته عنوانا لديوانه).

شَبَّه الشاعران العَيْنَيْن بالغابة. حذف السياب أداة التشبيه، بينما أبقى عليها الكيلاني. مما يدل على أن عيني صاحبةِ السياب هي فعلا غابةٌ. أما عينا صاحبة الكيلاني فليستا كذلك، وإنما الناظرُ فيهما يكتشف شبها بينهما وبين الغابة.

الملاحظ أن للغابة في الشعر الرومانسي مدلولين؛ فهي إمّا أن تكون رمزا للجمالِ، والحبِّ، والسكينة؛

ولهذا يفر إليها الرومانسي الذي أثقله العيشُ الصاخب بالمدينة. وإما أن تكون رمزا للخوف، والمجهول. فَمَنْ يدري، لعل الداخل إليها يُداهَم بحيوان مفترس. فماذا اختار الشاعران؟ هل اختارا معا مدلولا واحدا مشتركا، أو أن كلا منهما اختار مدلولا لا يشبه ما اختاره الآخر؟

جعل السياب عيني حبيبته غابتين. وتوحي تثنية الغابة بأن ثمة نظاما، والنظامُ معناه وجودُ يد رَتَّبَتْ هذه الغابة. ثم حدد السياب نوعَ الشجر، واختار النخيل. والنخلة رمز ديني معروف: إنه رمز للولادة، وللحياة، وللبعث. ثم إن النخل شجر مثمر. هذا معناه أن من يدخل هذه الغابة، فإنه يدخل إلى مكان به أمن، وأنس. هذا معناه أن السياب اختار المدلول الأول.

أما نجيب الكيلاني، فاختار لفظة الغابة بالمفرد. ولم يحدد طبيعة الشجر الذي تتكون منه هذه الغابة، أو نوعه. مما يوحي بأن هذه الغابةَ نبتت متوحشة؛ فهي إذن قد تشتمل على أصنافٍ عديدة من الأشجار، مما يدل على أَنَّها غابة موحشة. ويؤكد هذا الوصف قولُه: تعوي بِمَحْفَلها الذئاب

إذن فالمرأة في أنشودة المطر امرأة ذات سحر أسطوري. وهي في نص الكيلاني ذات سحر، لكنه سحر مُخيف؛ أي: إنّها امرأة فاتنة، وجميلة. لكنها في الوقت ذاته مخيفة ورهيبة. الأولى قد يستسلم لسحرها الرجلُ فيشعر بالأمان لِمَا تحمله عيناها من ثمار. أما الثانية فإن الرجل إذا ما استسلم لسحرها، ولفتنتها نَهشته الذئاب؛ لأنها امرأة تبثُّ لحنا توقعه أصابع الخيانة. فهل معنى هذا أننا أمام امرأة أحبها الشاعر الكيلاني، ولكن تَبَيَّن له غدرُها!؟؛ أي انكشف له ما كان يستر هذا الغدر، وهذه الخيانة؛ إذ كان خلف جمالها ذئاب تعوي...

لنتابع القراءة:

مَنْ أَنْتِ يَا شَيْطَانَةً
لَعِبَتْ بِأَهْوَاءِ الشَّبَاب

عادةً ما نصف المرأة التي نحب حبا رومانسيا بالملاك. فلماذا وصفها الشاعر بالشيطان الذي لعب بأهوائه، أو بأهواء شبابه (هكذا نفهم لفظة الشباب الآن)؟ وهذا الوصف دليل على أنه يكرهها، وليس دليلا على أنه يحبها؛ لأن الحب عنده:

اَلْحُبُّ يَسْمُو لِلذُّرَى
وَأَرَاكِ عَاشِقَةَ التُّرَاب

فإذن هي امرأة منحرفة. هو يرى الحبَّ سُموا، وهي تراه رذيلة. وهكذا يصف الشاعر هذه المرأة بكل الأوصاف التي تجعلنا نقتنع معه بضرورة رفضها:

عَيْنَاكِ رَمْزُ شَقَائِنَا
وَجَمَال سِحْرِك كَالتُّرَاب
عَيْنَاكِ درب مُهْلِكٌ
يُفْضِي إِلَى الأَرْضِ الْيَبَاب
عَيْنَاك تَحْكِي قِصَّةً
مَضْمُونُهَا ظُفْرٌ وَنَاب

كلمة «شقاء» أُضيفت إلى ضمير المتكلمين، بدل أن تُضاف إلى ضمير المتكلم المفرد، وهذا يجعلنا نفهم أن لفظة «الشباب» في بيت سابق لا تعني شباب الشاعر، وإنما تعني الشبان. فإذن هذه المرأة لم تلعب بأهواء الشاعر، وإنما لعبت بأهواء الشبان. وليس عيناها رمزا لشقائه، وإنما هما رمز لشقاء أمته. هذا معناه أن هذه المرأة ليست مرتبطة به، بل هي مرتبطة بالأمة. فهل نتصور بعد هذا أن الشاعر يخاطب امرأة أحبها؟ أبدا.. لعل الأمر يتعلق برمز.. لعله رمز للدنيا الفاتنة. ولكنَّ الدنيا في الإسلام ليست مرفوضة كلَّ هذا الرفض؛ إذ الإسلام يدفع الإنسان المسلم إلى أن يأخذ نصيبَه منها، ألم يقل الله سبحانه وتعالى في سورة القصص: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [٧٧]. والشاعر المسلم لا ينبغي له أن يدعو إلى رفض الحياة.

فمن تكون إذن هذه الأنثى المُخاطَبة؟

إن الشاعر حَرَمَنا، مع الأسف الشديد، من لذة التأويل؛ حيث أنْهى نصَّه بتقديم حل للغز، حيث قال:

اللهُ يَعْلَم أنَّ في هذي الحضارة كلَّ عاب

إذن فالأنثى هي الحضارة الغربية.

وهكذا هاجم الشاعر هذه الحضارة بلغة رمزية جَميلة، لكنه مع الأسف، فضح سر هذا الرمز، معلنا بلغة واضحة عن كنهه!.

إن الطريقة التي تحدث بها الشاعرُ عن الحضارة، تذكرنا بنصوص شعرية مغربية أنشأها شعراءُ سنوات العشرين، من خلال ديوان اليمن

الوافر الوفي، حيث يبدأ الشاعر، في بعض النبويات، بمخاطبة الأنثى خطابا يوهم بأنداء الغزل الجميلة. لكن سرعان ما يتبين للقارئ أن المرادَ هو ليلة المولد. يقول مثلا العربي غَرِّيط:

بِنَفْسِيَ مَن زارت على مَوْعِدٍ صَبّا
فَـزَاد لَـهـا شَـوْقـا وزاد لَـهـا حُبّـا
تَغارُ الظِّباءُ العُفْرُ منها إذا رَنَتْ
وَتَرْتاع منها الأُسْد إن أَرْسَلَتْ هُدْبا
وتَحْسُدُها الغِيدُ البديعُ جَمالُها
على أَنّـهـا تَختار من حيها قربا
تَجـود لـنـا في كـل عـام بـزَوْرَة
وتَـتـرُكُـنـا نـرجـو لِـزَوْرَتِـهـا أَوْبـا

المعجم في هذا النص معجم غزلي: صَبّا، شَوقا، حبا، تغار الظباء، أرسلتْ هدبا، تحسُدها الغيد، رَنَتْ.... كلُّ هذه علاماتٌ على أن المتَحدَّث عنها امرأةٌ ساحرةٌ، وفاتنةٌ. لكنَّ بالبيت الأخير علامتين تكشفان عن سر هذا الرمز. العلامةُ الأولى: ضمير المتكلمين في قوله: «تَجود لنا» فلو كانت هذه المرأةُ محبوبةَ الشاعر لقال: تَجود لي، وتتركني بدل تتركنا.

ولكن قد يقول قائل: هذه علامةٌ ضعيفة؛ لأن الشاعر قد يستعمل ضمير المتكلمين، وهو يقصد ضمير المتكلم المفرد. هذا صحيح. إذن لنختبر العلامة الثانية وهي: «في كل عام زَوْرَةٌ». هذه المرأة إذن تزور الناس / الشاعرَ كل عام. وهذه العلامة لو توقف عندها لظل الإبداع متوهجا، ولكن خوف الشاعرِ الفقيهِ من أن يعتقد المتلقي، رغم وجود هذه العلامات، أن المخاطبَة امرأةٌ، جعله يفضل أن يضيف ما يحد من كل تأويل ممكن:

قَـرَرْتُ بِها عَيْنا كما قَـرَّ واجِـدٌ
بُعَيْد الضنا بُرْءا وَبَعْد الظما شربا
وما تلك إلا لَيْلَة العيد مَرْحَبا
بِها ليلة قد سَرَّت الشرق والغربا

أنا وحبيبتي:

يتكون هذا العنوان من اسمين متعاطفين. الأول مبتدأ خبره محذوف. وكأن الشاعر استغنى بالمعطوف عن الخبر، مما يدل على أهمية الاسم المعطوف، وهو «حبيبَتِي»، وكأن الشاعر يريد بهذا أن يوهمنا بأن لا وجود إلا لهما معا. وأنَّهما معا يملآن الجملة/ الحياة، ولا يهمهما الفَضلات، والعمد.

فمن تكون هذه الحبيبة؟

لعلها الأم..

لعلها الأخت..

لعلها المعشوقة، إما بلغة أهل التصوف، وإما بلغة أهل الغزل.

«أنا وحبيبتِي» من الشعر المقطوعي:

وكأن العنوان المستفز، جاء استجابة لمضمون جديد وجداني يصلح له هذا الشكل الشعري غير التراثي.

حين نقرأ المقطع التالي، ندرك أن الحبيبة امرأة، وليست رمزا:

لا تَسْأَلي عَن ذكرياتِي
وَحُدائِنا في الأمسياتِ
والنشوةِ الكبرى التِي
فاضت كأحلى أغنياتِي
والكونُ يرقص حَوْلَنا
وشبابُنا غضُّ السمات

لا يمكن أن تكون المرأة هنا رمزا، ولا يمكن أن يكون الحديث الوجداني حديثا صوفيا.

إذن نحن أمام شعر غزلي. وهذا أمر هام؛ لأن الشعر الإسلامي المعاصر الآتي إلينا من المشرق العربي لا يعرف هذا الغرض، أو لا يُنشر.. لا على صفحات الصحف، ولا في الدواوين المطبوعة.

لكن حين نتابع قراءة النص، نكتشف أن هذا الغزل غزل «مذبوح». إنه غزل قائم على التجربة. فالشاعر يعترف لحبيبته بحبه، لكن يؤكد لها أن الزمن ليس زمن ممارسة الحب:

أَنَا يا حبيبتِي لم أزل أهفو إلى ذاك الأملْ
لكنْ رويدكِ إن بِي شوقا إلَى أمر أجل
تحرير شعبٍ ضائع تُشقيه أشتاتُ العلل

ثم ينهي النص بقوله:

فإذا تحرر شعبُنا وانْجاب ليلُ هوانا
غَنَّتْ بلابل حبنا وتَرنَّحت أجيالنا
الحبُّ نور عيوننا الحب حرٌّ مثلنا

الحق أن هذا النظم يفتقر إلى الصدق؛ إذ لا علاقة له بالواقع الإنساني؛ ينبغي أن يكون الإنسان ملاكا كي يسلك سلوكَ هذا الشاعر. أو إن هذا السلوك دليل على أن الشاعرَ/ الإنسانَ ليس صادقا في حبه، أو لم يذق نار العشق؛ إذ لو كان يتحدث انطلاقا من معاناة لما طلب تأجيلَ ممارسةِ إحساسه بهذا الحب، أو لنقل: قد يكون الشاعر صادقا في تجربته، لكن النص الشعري لم يُقنعنا بصدق التجربة. وكأني بالشاعر، وهو يكتب هذا النص، أدرك أن الحب الرومانسي لا يَحق للشاعر الملتزم أن يعيشه؛ لِهذا غلف النص بالعقل، فأفسد الانسياب الوجداني المنتظرَ في مثل هذه النصوص، وتلك إحدى ضرائب ما يسمى بالالتزام.

وأجمل من هذا النص نصٌّ للشاعر الجزائري صالح خرفي عنوانه «نداء الضمير» كُتب سنة ١٩٦٠م. ولا شك أن الكيلاني قد اطلع عليه؛ لأنه من أجمل ما غنت المطربة وردة الجزائرية من ألحان رياض

السنباطي:

يا حبيبي ذكرياتُ الأمس لم تَبْرَح خيالي
كيف تغفو مقلتي عن حُبِّنا عبر الليالي
لا تلمني إن تَرامَتْ بِيَ أمواجُ البعادِ
لا تلمني لم يزل يَخْفِق للحب فؤادي
غير أن القلب هَزَّتْه نداءاتٌ شجيةْ
صَعَّدتْها في دجى الليل قلوبٌ عربيةْ
وجفونٌ مَسَّها الضَّيم فَغَصَّتْ بالدموعِ
فاستطارتْ شعلةُ الْحُب لهيبا في ضلوعي
وتراءتْ لِيْ وراءَ الصوت أعلامُ البشائرْ
فوهبتُ الْحُبَّ قربانا وبايعتُ الجزائر

يخاطب الشاعر في هذا المقطع حبيبته خطاب المذكر. ويُفهم من النص أن الشاعر / العاشق يحيا بعيدا عن حبيبته، فهي بأرض الوطن، وهو يعيش بعيدا

بأرض المنفى / الغربة، لهذا ظهرت في النص نغمةُ الحزن. يعترف الشاعر لحبيبته بأن حبها باق رغم البعاد، ورغم ما يتركه هذا من عذاب في القلب. لكن قلب هذا العاشق، جمع عذابين، أو يحيا عذابين: عذاب مصدره البعد عن الحبيبة، وعذاب آخر مصدره وطنه الذي بسببه يعاني الغربة، فهذا الوطن المستَعمَر هو الذي فرض عليه أن يضحي بحبه، وأن يقدمه قربانا لحب بلاده.

قد يظن المرء أن لا فرق بين هذا النص ونص الكيلاني. لكن القراءة العاشقة وحدها قادرة على إدراك ما يميز هذا عن ذاك. فالشاعر صالح خرفي وضع حبه، أوتحدث عن حبه في إطار الذكرى. فالثورةُ فرضت عليه أن يعيش بعيدا عن أهله، وعن كل من أحبهم. فحبه في الحقيقة هو الذي دفع به إلى أن يقتحم غمار الثورة، وهذا أدى به إلى أن يعيش بعيدا عن وطنه، وهذا واضح في المقطع الأخير من النص:

يا حبيبي رَبْعُنا بالأمس ربع الذكريات
إنه مأوى ذئابٍ كَدَّرَتْ صفوَ الحياة
كان عشا للتناجي كان أنسا ونعيما
ثم أمسى للرؤى الغضة نارا وجحيما
يا حبيبي كم فَرَشْنا الربع وردا وزهورا
كم بنينا من هوانا لأمانينا قصورا
فتعالت صرخةُ الرعب بأشباح المنايا
غير أن الحب أمسى ثورة بين الحنايا
لك حبي في ذرى الأطلس في تلك الروابي
فهناك الأفُق الرحب لأحلام الشباب
سوف ألقاكَ مع النصر وأفراح البشائرْ
سوف نبني عشنا في ظل تحرير الجزائرْ

يقدم الشاعر من خلال هذا المقطع الطويل، ذي النفس الجميل الأسبابَ التي دفعت به إلى التضحية، أو إلى تقديم حبه قربانا..

يستعرض في هذا المقطع ذكرياتِ الأمس، ويتحدث عن الربع الذي كان يجمع بينهما. هذا الربع لم يعد أطلالا كما في الشعر الجاهلي، ولكنه صار مأوى للذئاب/ المستعمِر. هذا الربع الذي كانت حياتهما صافية وهما يعيشان بين أحضانه، جاء المستعمر وكدَّر صفو هذه الحياة. ثم ذكر أن هذا الربع فرشاه، بالأمس، في ظل الحرية، ورودا وزهورا (...)، كل هذا ذهب مع الريح. فلكي تعود الحياة إلى هذا الربع، لكي تعود الحياة إلى صفائها، لا بد من التصدي لهذه الذئاب. ولن يتصدى لها أحد سوى الأقوياء، والشاعر واحد منهم؛ ولهذا حمل السلاح لتحرير الأرض؛ لأن الحرث لا يتم إلا في أرض محررة يملكها صاحبها.

وأنْهى الشاعر نصه بنغمة كلها تفاؤل، حين أعلن أن لقاءً سيجمعه بحبيبه حين تتحرر الأرض، إذ ذاك سيعيدان بناء العش الذي خربه الذئاب...

واضح من هذه الموازنة أن نص الكيلاني كان العقلُ، وقيدُ الالتزام حاضرين فيه، وأن نص صالح خرفي نص ملتزم، لكنه شُيدت مكوناته الجمالية من صدق عاطفته. وعندي أن الشعر الذي يدخل أو يتسلل إلى قلب المتلقي هو الشعر الصادق النابع من معاناة الشاعر.

◁◁ الخلاصة:

هكذا نخلص إلى أن الأدب الإسلامي، كما درسه المرحوم نجيب الكيلاني، لا كما نفهمه نحن ونمارسه، أدب يهتم بالمضمون الإسلامي. وهذا الاهتمام جعل الشاعر لا يقبل تعدد القراءة للنص؛ لهذا كان يُقدم الرسالة بلغةٍ واضحة غير قابلة للتأويل، وإن كان ذلك، في كثير من الأحيان، على حساب الشكل. ولهذا يلاحظ أن لغة الإيحاء تظهر عنده باحتشام شديد، وذلك حين يستعير المضمون الرومانسي/ الوجداني. كل هذا يعود إلى أن المرحوم الكيلاني، على مستوى التطبيق، يعتبر الأدب وسيلة لا غاية ■

رجل من الجيل القديم

د. آمال لواتي - الجزائر

استيقظ على أذان صلاة الصبح، فالصلاة عنده هي التي تذيب صقيع قلبه في فصول البرد والمطر، وتنعش أنفاسه في فصول الحر والجفاف. وتبدد ظلمة الليل الطويل.

ارتشف فنجان قهوته. وهو يقرأ ما تبقى من مقال صحيفة الأمس، حمل محفظته بعد أن رتب أوراقه ودفتره، وترك مصروف البيت اليومي لزوجته.

اجتاز الشارع الممتد إلى موقف الحافلات، وبعد انتظار ممل ركب الحافلة المكتظة. لم يأبه بالزحام والضجيج، بل غرق في تفكيره الدائم.. ما بال الحياة تغيرت؟! ما بال القيم اضطربت! ما هذا الجيل المتمرد؟!

ويزداد أسفه لما يتذكر تلاميذه الذين هم صورة لهذا الجيل الجديد، ويتألم أكثر لأنه أصبح لا يدري كيف يسهم في تنويرهم وتهذيبهم بعد أن فقدوا معنى الحياء والبراءة، وتخلوا عن غاية ذهابهم إلى المدرسة.

نزل من الحافلة، أمسك بمحفظته التي تكاد تسقطها الأيدي المتزاحمة للنزول دون نظام أو احترام لهذا الرجل الذي سيلتقي ببعضهم بعد قليل.

اتجه نحو قاعة الدرس التي كان ينبعث منها صخب كبير، وما إن دخل حتى تراجع الجميع عن صخبهم، أخذوا مجالسهم وهم يحدقون في تقاسيم وجهه الغاضب.. استدار نحوهم مثقلا بشعور مرير محدثا نفسه: لقد نسوا قول الشاعر:

قم للمعلم وفه التبجيلا

كاد المعلم أن يكون رسولا

ابتلع غيظه مخاطبا إياهم: كما تعلمون، اليوم الدرس الأخير في هذه السنة الدراسية، وموضوع هذا الدرس نصائح ومواعظ لغدكم ومستقبلكم العلمي، وبخاصة أنكم ستنتقلون من مرحلة إلى مرحلة دراسية أخرى، قاطعته أصواتهم غير المتأدبة مرددين بسخرية: «الدرس الأخير!... الدرس الأخير...!

استلقى على كرسيه بعد أن نفض غبار الطباشير عنه جراء مسح السبورة مخاطبا نفسه مرة أخرى: كم من سنة وأنا أنفض هذا الغبار عن كرسيي وطاولتي وملابسي وشعري! وكم من عناوين دونتها على هذه السبورة الخضراء!

وراح يرسم دائرة فارغة من الطباشير باحثا عن أثر جهده وإخلاصه، وشعر أنه لايراهم، ولايسمعهم رغم وجوده معهم مستحضرا ككل مرة في كل موقف شواهده الأدبية والتاريخية: «إن العلماء ورثة الأنبياء». يا ليتهم يعرفون هذا التقدير الكبير! يا ليتهم يعرفون!...

حدقت فيه العيون باندهاش وقد سرح ببصره في جدران وفضاء القاعة، وتمتم أحدهم: أستاذنا مازال ينشد المثالية، ويفكر في مدينة الأبراج العاجية المليئة بالعباقرة والمخترعين والمصلحين والفنانين..!

نطق آخر: عندما نتحرر من هذه الجدران الحصينة والمزينة بالأحلام والرسوم والأقوال المأثورة سنتوجه – كما تقول الهيئات العلمية –إلى حياة عملية أفضل، فماذا نفعل بالعلم المركون بالأدراج القديمة الصماء!؟

تأفف ثالث من الصف الأخير: « ماذا يفعل لنا العلم بعد عصر الكومبيوتر والفضاءات المفتوحة وسوق المال والاقتصاد؟!.

حاول أن يخفف عن نفسه من هول ما سمع بكتابة عبارة جميلة لهم على السبورة «العلم نور والجهل ظلام» من دون أن يحاول شرحها أوتحليل أبعادها، فلا أحد يسمعه في هذه الحصة الأخيرة –بالنسبة لهم- وهم غارقون في لهوهم وعبثهم، ينتظرون انقضاءها دون شعورهم بقيمة الزمن في حياتهم، فالدقائق والأيام والأعوام كلها متسارعة متشابهة.. وما هي إلا أن دق الجرس فأسرعوا كالمجانين إلى الخارج غير مودعين، ولا معتذرين، وغير آبهين بالنجاح أو الرسوب.

بقي صامتا ساكنا، أغلق دفتره، وغاب عن درسه، وتساقطت أمامه كل المفاهيم والقيم التي كانت تملأ أعماقه أملا وصبرا.. وساورته أحاسيس خيبة وانكسار، فلأول مرة شعر أنه أستاذ فاشل لم يستطع أن يواجه طيشهم بشجاعة وإرادة، وتركهم يتكلمون عن الوجه المزيف للواقع والحقيقة، ولم يمل عليهم نص الدرس الأخير.. لم يقنعهم بأنهم بحاجة إلى العقل والعلم، إلى القيم والأخلاق،.. إلى.. إلى.. ولم يستطع أن يدافع عن قيمة الأدب والتاريخ والفن والحضارة، أمام أرقام وحسابات مبرمجة في أذهان هذا الجيل.

مسح العرق المتصبب على وجهه المتعب ،وقد بدأت تباشير التراخي والكسل في هذا الشهر الأخير من فصل الربيع، عانقت يده المرتجفة محفظته العتيقة التي بقي محافظا عليها لأنها كانت رمز تفوقه ونجاحه، وخرج من المدرسة محزونا متأوها.

ياله من درس أخير بعد ثلاثين سنة! ياله من درس أخير!... يلاحقه صوته الشجي: يستحيل أن تكون هذه هي النهاية.. يستحيل!.■

أستاذ الحضارة الإسلامية، ومن أوائل الشخصيات الأكاديمية الذين انضموا إلى رابطة الأدب الإسلامي في تركيا، وواكب نشأة المكتب الإقليمي للرابطة في إستانبول جنبا إلى جنب مع الأستاذ الأديب علي نار، وتناوبا على رئاسته، وعملا على إصدار مجلة الأدب الإسلامي التركية، وأعدا لمؤتمرات الرابطة العديدة التي عقدت في إستانبول. كان لمجلة الأدب الإسلامي معه هذا اللقاء:

الدكتور عثمان أوزتورك لـ (الأدب الإسلامي):

أي إبداع نثري أو شعري في الأدب الإسلامي ينبغي ألا يكون بحثا مباشرا عن الإسلام

■■ في البداية نرجو تعريف القراء بنبذة عن سيرتكم الذاتية؟

■ ولدت عام ١٩٤٣م في مدينة طرسوس. وقد ختمت القرآن الكريم قبل أن أبدأ بالمدرسة الابتدائية، وكان ذلك في عام ١٩٤٨-١٩٤٩م، وحينذاك كان تدريس القرآن أو تعليمه محظورا في تركيا. ورغم الحظر كان المرحوم أحمد خوجه إمام جامع شيخ أوغلو بأضنة يُعلم تلاميذه القرآن الكريم ويُدرس اللغة العربية في غرفة الإمام بالقرب من المسجد.

حوار: سيامي أق يل - تركيا

وفي عام ١٩٥٦م نُقل محل إقامتنا إلى إسطنبول، وكنت أدرس العلوم الشرعية وأحفظ القرآن الكريم. ومن جهة أخرى أنهيت الدراسة المتوسطة والثانوية في آن واحد. وكان في إسطنبول أساتذة ممن عاصروا العهد العثماني، وقد تلقيت منهم دروسا خصوصية، وكنت أشارك في دروس تلقى في الحلقات، وأحيانا أزور بعض الأساتذة في مساكنهم لتلقي العلوم.

ومن هؤلاء الأساتذة الذين أذكرهم في الوهلة الأولى: الأستاذ حلمي طوروس(لتعليم القرآن وحفظه)، والأستاذ عمر نصوحي بلمن، والأستاذ بكر حقي ينر، والأستاذ السيد شفيق الأرواسي، وأيضا الأساتذة: علي يعقوب جنكجيلر، وأمين سراج، وأحمد إنجه؛ درست عليهم الدراسات العليا، وعلوم العربية.

وفي عام ١٩٦٤م تلقيت دروسا خصوصية من الشيخ سعيد رمضان البوطي في دمشق، وحضرت دروس الحلقات في مختلف العلوم عند عدد من الأساتذة.

تخرجت من قسم اللغة العربية والفارسية بكلية الآداب بجامعة إسطنبول. وحصلت على شهادة الدكتوراه عام ١٩٧٢م ثم عينت أستاذا مساعدا عام ١٩٧٩م، ثم أستاذاً (بروفيسور)عام ١٩٨٤م، وقمت بالتدريس في خمس جامعات تركية. وما زلت أدرس في جامعة (قرقلرإيلي) حتى الآن. ومنذ عام ١٩٧٤ وأنا مستمر بتنظيم ندوات أسبوعية بتوجيه من أستاذي ماهر إز –رحمه الله.

■■ متى بدأتم العمل الأكاديمي؟

■ لقد بدأت بالعمل الأكاديمي فور تخرجي، وعُيِّنت أستاذا مساعدا في جامعة (حاجي تبه).

■■ ما هو موضوع أطروحة الدكتوراه وما أبرز مؤلفاتكم الأخرى؟

■ كان موضوع أطروحتي في الدكتوراه هو «مجلة الأحكام العدلية ومكانتها في التشريع العثماني»، وقد صدرت لي كتب عديدة منها: المؤسسات التعليمية العالية التكنيكية في العهد العثماني، والرجل الشاب، وأحسن الأحاديث، وأجمل السبل، وأسوتي.. سيدي محمد، والعبودية.. المنهج الثابت للمسلم، وغيرها.

■■ من هم الأساتذة الذين تأثرت بهم في التذوق الأدبي؟

■ كنت أحب الأدب في المرحلة الثانوية، ولكني تذوقت معنى الأدب حقيقة وتعلقت به بتأثير أستاذي ماهر إز، وهو تلميذ وصديق الشاعر الكبير الأستاذ محمد عاكف أرصوي –رحمهما الله.

■■ ما هي نتاجاتكم الأدبية في مجال الشعر، والقصة، وغيرهما من الفنون الأدبية؟

■ بدأت بالشعر كعادة الأدباء الشباب المندفعين. وكنت أحاول الكتابة في غرض الهجاء. ولكن ذلك لم يعجبني، فلم أفكر بنشره. وقد تلاشت هذه الرغبة بعد ذلك تدريجيا.

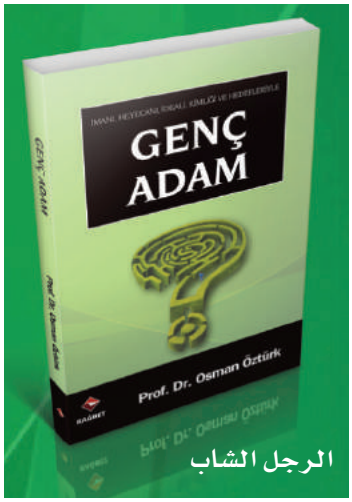

الرجل الشاب

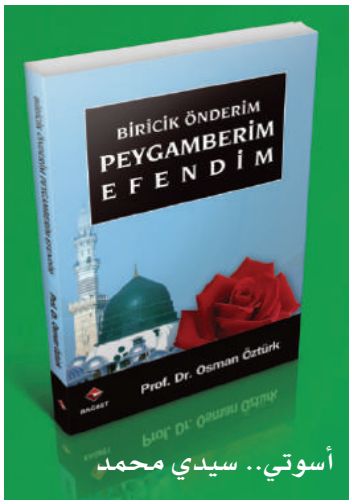

أسوتي.. سيدي محمد

■■ قلت: إن الأستاذ ماهر إز هو الذي دفعك إلى تذوق الأدب والتعلق به؛ من هو ماهر إز؟ وما مكانته الأدبية؟

■ الأستاذ ماهر هو آخر ممثل للأدب الإسلامي في تركيا من جيل الكبار. وكانت محفوظاته باللغة العربية والفارسية وآدابهما مدهشة جداً، وقد لمست ذلك بنفسي. فكان يتفوق في المبارزات الشعرية المعروفة التي تعقد، بأن يبدأ الثاني بالحرف الذي انتهى به المبارز الأول. وكانت هذه المبارزات تعقد بهذا الأسلوب في

الشعر العربي، والفارسي، والتركي على سواء. وهذه المحفوظات الشعرية كانت تلقى بشكل أناشيد غالبا، وكان ذلك يضيف رونقا على القراءة، بحيث لا يمكن للسامع أن ينساها، وتبقى في الأذهان كالنقش في الأحجار.

وكانت هذه الأشعار وعلى رأسها «صفحات» لمحمد عاكف وغيرها، سواء أكانت باللغة العربية أم بالفارسية أم بالتركية من المجموعات المنتخبة تحفظ في حينها. وهكذا كان الاهتمام بالأدب في العهد العثماني، وكان الشعراء والأدباء كوَّنوا مجلسا للشورى.

■■ من الذي قام بتدريسكم مواد مجلة الأحكام العدلية؟ ومن وجهكم إلى كتابة أطروحتكم؟

■ عندما كنا تلامذة في المرحلة الجامعية كنا نستمع إلى المحاضرات والندوات. وأكثر الأساتذة كانوا يتمثلون بشواهد فقهية من المئة الأولى من قواعد مواد المجلة؛ مثل: براءة الذمة أصل (المادة:٨)، لا اجتهاد في مورد النص (المادة:١٤)، لا يزول اليقين بالشك. وهكذا...

و كان الأستاذ ماهر إز واحداً من هؤلاء. وهذه الشواهد التي يتمثل بها أساتذتنا زادت فضولنا لمعرفة «مجلة الأحكام العدلية»،

من مؤتمر الهيئة العامة الثامن للرابطة في إستانبول

من اليمين: حسن الحازمي، عبدالباسط بدر، رئيس بلدية إستانبول، عبدالقدوس أبو صالح، علي نار.

ولما بدأت بالبحث عن المواضيع التي فيها؛ واجهني شيئان:

الأول: هل هناك علاقة بين التطبيقات القانونية في أنحاء العالم وبين القانون الإسلامي؟ وما هي هذه العلاقات؟.

والثاني: إلغاء المجلة عام ١٩٢٦م. ولم تكن للدولة رغبة بهذا الإلغاء. ولهذا؛ فقد كانت الجامعات لا تهتم بهذا الموضوع.

وقد علمت بعد ذلك أنه لم يوجه قبلي أحد من طلبة الدكتوراه في كلية الحقوق للتسجيل في هذا الموضوع.

وقد تم الاتفاق مع البروفيسور طيب كوك بلكن؛ على التسجيل بهذا الموضوع رغم عدم علاقته بهذا الموضوع. ومن ناحية التاريخ فإن قسم التاريخ في كلية الآداب بجامعة إسطنبول؛ لم يتمسك بالشروط القانونية ولا الحقوقية، ولم تكن لهذا القسم علاقة بموضوع المجلة أيضا.

وقد بدأت بإعداد البحث للدكتوراه عام ١٩٧٢م، وأكملت بحثي بوجود الأستاذ الدكتور محمد حميد الله –رحمه الله– في لجنة الإشراف والمناقشة، وكان عضوا فيها. وهكذا أحرزت شهادة الدكتوراه.

■■ ما هو تعريفكم للأدب الإسلامي؟ وما خصائصها؟

■ إن الأدب الإسلامي هو إبداع يحافظ على المبادئ الإسلامية، عقيدة وشريعة. ولرابطة الأدب الإسلامي تعريف في كتيبه الخاص

جاء فيه: «الأدب الإسلامي هو التعبير الفني الهادف عن الإنسان والكون والحياة وفق التصور الإسلامي.»

ومن هذا التعريف نرى أن أي إبداع نثري أو شعري يحاول الحصول على مكانته في إطار الأدب الإسلامي ينبغي ألا يكون بحثا مباشرا عن الإسلام. بل ينبغي أن يراعي مبادئ الإسلام، ومعتقداته المميزة التي يتصف بها، وألا يكون مخالفا لما جاء به الاسلام.

■■ ما الخصائص الأدبية للشعر الإسلامي في رأيكم؟ وكيف يجب أن يكون؟

■ أولا يجب أن يكون متشبعا بالحكمة، ومؤثرا في الوجدان، وأن يكون بعيد الغور في المعنى، ثم ينظر إلى صحة الوزن، واستواء القافية. ولا يقوم الشعر بغير هذه الخصائص.

■■ من هم أبرز الأدباء الأتراك بالنظر إلى إبداعاتهم الأدبية؟ ومن هم الذين يمثلون الشعر الإسلامي؟

■ إذا تأملنا جيداً نرى أن أبرز شعراء القرن العشرين هم محمد عاكف أرصوي، وكمال أديب كوروكجو أوغلو، ونجيب فاضل قيصاكورك، وسيزائي قره قوج، وجاهد أوناي، ومحمد عاكف

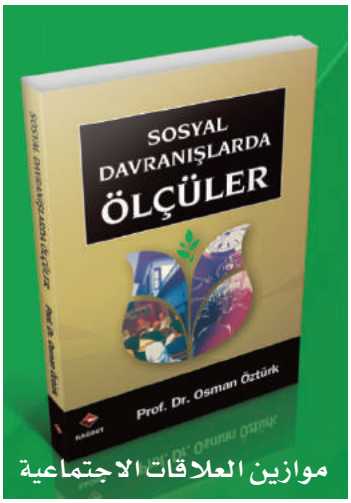

موازين العلاقات الاجتماعية

التعليم مهنة

إينان. هؤلاء أول من يتبادر إلى الأذهان.

■■ من هم الذين أوصلوا الاتجاه الإسلامي في الأدب وخصائصه في تركيا إلى نهاية القرن العشرين؟

■ هؤلاء الذين ذكرتهم آنفا، ومن واكب عصرهم في هذه القافلة قاموا بإيصال الاتجاه الإسلامي في الأدب وخصائصه في تركيا إلى نهاية القرن العشرين، وإلى يومنا هذا. ومنهم أيضاً الأستاذ علي نار الذي تم على يده استمرار مسيرة الأدب الإسلامي وخصائصه من القرن العشرين إلى الواحد والعشرين.

■■ من هم الشعراء الذين يمكن أن نسميهم شعراء العصر الحديث من حيث الأسلوب والمضمون؟

■ من أبرزهم: سيزائي قره قوج، وأردم بايزيد، وبهاء الدين قره قوج، وأوزجان أونلو، ومشتهر قره قايا، وعبد الله آقباش.

■■ لعلك تعطينا مثالا للشعراء المجيدين البارعين في شعر المناجاة والرثاء؟

■ منهم: معلم ناجي، وشيناسي، وإسماعيل صفا، ومحمد عاكف أرصوي، وكمال أديب كوروكجو أوغلو، وعارف نهاد آسيا.

■■ كيف تعد قصيدة من القصائد أثرا فنيا؟

■ تعد بالنظر إلى الانسجام الموسيقي، والانسياب في التراكيب، وجودة المعاني التي تحتويها، والصور الخيالية التي تتضمنها، وغيرها من العناصر تجعل القصيدة أثرا فنيا باقيا على مر العصور.

■■ أي النصوص الشعرية توصي بترجمتها من التركية إلى العربية؟

■ أوصي بترجمة ديوان الشاعر فضولي، والشاعر باقي، والشيخ غالب، وديوان صفحات لمحمد عاكف أرصوي ■

قلعة الأمجاد

خالد بن عبدالله الغازي - السعودية

(زار الشاعر قلعة «روملي حصاري»[1] فرأى في صدر باحتها منصة كبيرة أعدت لتقيم عليها الفرق الموسيقية الأوروبية حفلاتها الغنائية؛ فكانت القصيدة).

تيهي فمفرق رأسك الجوزاء ... ولحاظُ طَرْفِك هيبة وسناءُ
يا قلعة الأمجاد أذعنت العلا ... لعلاكِ وازدانت بكِ الخيلاء
تجثو على أعتاب عزّك صولة الـ ... ـباغي وتدنو عندكِ العظماء
من ذا أراه على جبينكِ صورة ... وضّاءة تُجلى بها الظلماء
أسد الأناضول الهمام سما به الـ ... ـإسلام وافتخرت به الخلفاء
ناءت بحمل طماحه عشرونُه ... وتعاظمت أحلامَه الآناء
وتلفّتت عزماته وقّادة الـ ... ـنظرات يعلوها هدى ومضاء
وعروس قسطنطين تقصر دونها الـ ... ـأطماع فهي الغادة العذراء
ذُخِرت له حتى استباها عنوة ... فزها بها للمسلمين لواء
فتح الفتوح هوت على تكبيره ... أحلام بيزنطا فهُنّ هباء
وسرى الأذان مُغرِّبا فتذامرت ... أشتات أوروبا وهم فرقاء
وتيقّنوا أنّ السدود - إذا تلا الـ ... ـطوفانُ آياتِ الجهاد - غثاء

■ ■ ■

يا قُنَّة البوسفور كلَّت أحرفي ... وسرى بخافق روحي الإعياء
وكبت رؤاي فما تُقيلُ عثارَها ... في الرّوع إلا فتنةٌ عمياء
فأتيت أستجليك ملء بصيرتي ... أملا نمته العزّة القعساء
وأتيت أستملي الشواهق عِلْمَها ... وحديثَ: «ماذا يَصنعُ الشهداء»
وأتيت أُطرِب مسمعي بملاحم الـ ... ـبارود وهي قصيدة عصماء
ودَلَفتُ مأسدةَ الفخارِ فهالني ... في الصدر منها طعنةٌ نجلاء

■ ■ ■

يا فاتح البوسفور ماذا قد ترى ... عاد الفرنجة حين حُمّ قضاء
نامت على قصص الألى آمالنا ... وصحت لهم أسطورة سوداء

وأتت طلائعهم فألفوا أمّة ... ثرثارة وفعالها خرساء
وتتابعت زمر الذئاب تَناهَشُ الـ ... ـبطل المريضَ فمجدُه أشلاء

■ ■ ■

يا صخرة البوسفور كيف علا الفرند ... ـجة سور حصنِك واحتووا ما شاؤوا
نصبوا معازفهم فغاضت صيحة التـ ... ـكبير خجلى واستحرّ غناء
والمدفع العملاق يمضغ حزنه ... صَدِئا ويجثم فوقه الإغضاء
كانت كُماة الروم تخشى ذكره ... واليوم ترقص تحته الدهماء
يا فخر إسطنبول لا تتغافلي ... مُلسُ الأفاعي حشوُهنّ الداء
لا تخدعنّك بسمةٌ برّاقةٌ ... وتظاهرٌ ومبادئٌ جوفاء
أين العدالة والسلام؟ لمن هما؟ ... أين الحقوق؟ وأين ثمّ إخاء؟
قومي اسألي بغداد عن أقوالهم ... تخبِرُكِ ماذا يفعل الأعداء
خَبِرَتهمُ كابول عانت مكرهم ... وتوجّست من شرّهم صنعاء
نحروا بني العباس فوق فراتهم ... وتألّقت بعيونهم فيحاء
وربى بني عثمان موعد جمعهم ... يا قُنّة البوسفور حان لقاء
قولي لهم: أنا معقل الإسلام را ... يتيَ التقى وشريعة غرّاء
لم أحتقب حقدا، ولا ناوأتكم ... كرها، وما أسرتني البغضاء
إن صنتم عهدي فبِرّي مغدق ... أو خنتمُ فَقِراكم بأساء

(١) هي قلعة شيّدها السلطان محمد الفاتح على ضفاف مضيق البوسفور بإسطنبول قبيل فتحه للقسطنطينية، ونصب على أبراجها المدافع لتحمي جيش الفتح من سفن أوروبا التي ستهب لنصرة إخوانهم في القسطنطينية.

عبد الحميد إبراهيم صاحب الوسطية الجديدة

رحل عبد الحميد إبراهيم (١٩٣٧-٢٠١٢م)، بعد حياة علمية وأدبية حافلة بالرؤى والمواقف والتصورات والمواجهات، وكان في كل فعل وقول وفيا لإخلاصه وذاته، فأثرى الحياة العلمية والثقافية مع صعوبة الحركة المستقلة داخل حقل ثقافي ملغوم بالولاءات والعداوات والإغراءات والترهيبات، ولكنه استطاع أن يقول كلمته ويمضي في هدوء دون اهتمام يذكر من جانب أجهزة الإعلام والثقافة التي كان أحد فرسانها ذات يوم بعيد!

د. حلمي محمد القاعود - مصر

وقد روى سيرته في كتاب بعنوان الجذور، وأضاء جوانب عديدة من حياته ومسيرته الفكرية والعلمية بأسلوب أدبي ممتع، منذ نشأته الإسلامية في رحاب قريته الزينية، التابعة للأقصر (كانت ضمن محافظة قنا)، وحفظه القرآن الكريم كاملا في طفولته، وانبهاره في مرحلة التكوين بالثقافة الغربية وكتابات المروجين لها من الكتاب المصريين، حتى إثبات وجوده الأدبي والعلمي في الواقع الثقافي، وتعرفه على العالم الغربي وخاصة فترة عمله مدرسا في معهد الدراسات الشرقية في لندن لمدة سنتين، وهناك كان واعيا أن الحضارة تقاس بأنفاس الإنسان وليس بالمباني الشاهقة

والتقدم المادي، ولذا لم ينخدع بروعة مباني لندن وعماراتها وحدائقها ونظافة شوارعها عن إدراك هذه الحقيقة .

وكان واعيا بطبيعة المجتمع العربي وأهم عناصر تماسكه، وفي بعض حواراته الصحفية قال: إن هناك شيئين يمسكان بالمجتمع العربي ويحفظانه من السقوط، هما العقيدة واللغة، وقد تنبه الاستعمار إلى هذه المصادر الغنية التي تقوي المجتمع، فأخذ يهاجم العقيدة واللغة، ويدعو إلى إحياء فكرة قديمة تاريخية قد انقرضت، وهي فكرة الفرعونية. مع أن الفرعونية ليست حية وليست ثقافة. وذكر أنها تقوم في جوهرها على فكرة الوثنية وتعدد الآلهة، وتأليه البشر، وقد خفتت فكرة الوثنية الآن تماماً؛ لأن التاريخ الروحي للبشرية قد تجاوزها ووصل إلى التوحيد من خلال الأديان السماوية الثلاثة. ثم إن الواقع العربي الإسلامي يتمثل في الجماهير التي تملأ المساجد، وتؤمن بالله الواحد. ففكرة الفرعونية مرفوضة فكرياً ووجدانياً وجماهيرياً، ولا تمثل واقعا حياً في الحياة المصرية المعيشة.

بيد أن اشتباكه مع الثقافة الغربية جعله منذ كان طالبا في دار العلوم يفكر في الحوار مع هذه الثقافة ومعطياتها من خلال استغراقه في مطالعتها وقراءة التراث العربي والإسلامي في وقت واحد، ومحاولة اكتشاف الذات الحضارية للأمة من خلال أدبها وتاريخها وعقيدتها وشريعتها وحكمتها وأعلامها وعلومها وتصوراتها، وجعله هذا الاشتباك يقدم للحياة الثقافية العربية والإسلامية ثروة بحثية وأدبية كبيرة، فقد ترك عبد الحميد إبراهيم أكثر من خمسين مؤلفا في الأدب والنقد، والأدب المقارن، والبلاغة، والإنشاء الأدبي والوصفي؛ قصة ورواية وتراثا وترجمة، ومن أبرز ما تركه:

عبدالحميد إبراهيم

القصة المصرية صورة المجتمع الحديث، الأدب وتجربة العبث، القصة اليمنية المعاصرة، المسرح المصري بين ثلاثة أجيال، القصة في الستينيات، القصة القصيرة في السبعينيات، لقطات مترجمة عن آلان روب جرييه، الرعشة الأولى وهؤلاء الأدباء، مقالات في النقد الأدبي (١٥ جزءا)، قاموس الألوان عند العرب، نقاد الحداثة وموت القارئ.

وكان أبرز ما قدمه هو تأصيله لما سماه الوسطية العربية في ستة أجزاء، ثلاثة منها تناولت المذهب، والتطبيق، والوسطية العربية، وثلاثة أخرى تبدو أقرب إلى التطبيق الأدبي في الرواية العربية وحلم ليلة القدر والقرآن الكريم

والمذهب الوسطي، والأجزاء الستة تتجاوز ألفي صفحة من القطع الكبير..

لقد خاطب عبد الحميد إبراهيم الحياة الثقافية بالمذهب الوسطي قبل أربعين عاما تقريبا (١٩٧٩م تحديدا) حين أخرج الجزء الأول من الوسطية بعنوان: المذهب، وأهداه إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – أول من بعث عبقرية الصحراء، وإلى الرجل الذي سوف يأتي ليواصل الطريق.

وتنبع أهمية هذا العمل الضخم من كونه يحاول إبراز الهوية العربية الإسلامية في مواجهة الغرق في متاهات غريبة وثقافات معادية، ونزعة تخجل من الذات وخصوصيتها، أو تدعو إلى بعث ثقافات انعزالية قديمة، ولذا ينطلق من الواقع، ويستخدم مصطلحات مستمدة من التاريخ العربي، وينطلق من مذهب أصيل ليحاور من خلاله المذاهب الأخرى مثل الماركسية والوجودية، متجاوزا مرحلة الدفاع التي يقف عندها كثير من الباحثين في العصر الحديث.

وقد جاء مشروع عبد الحميد إبراهيم في سياق موقفين على الساحة الفكرية والثقافية، الأول يصرخ مطالبا بالاستقلال الفكري، والآخر يفسر تاريخنا – بل ومستقبلنا – على ضوء ما يوجد في الغرب من وجودية واشتراكية ومدنية...

ولعل هذا يفسر الصمت على مشروع الرجل كما يظن، فقد قدم من وجهة نظره ملامح مذهب متكامل ينتزع من البيئة أدلة تطبيقاته المختلفة على مستوى

الممارسة اليومية، وعلى الخلق والجمال والفن والأدب والمنهج.

والوسطية لدى عبد الحميد إبراهيم تتحدث بمصطلحات مختلفة عما هو سائد في الحياة الثقافية، فهي مثلا تتحدث عن الحكمة بدلا من الفلسفة، والوحدة التركيبية بدلا من الوحدة العضوية، ومدارس الخط العربي بدلا من المدارس التشكيلية الفنية، وعن الغربة بالمفهوم الإسلامي بدلا من غربة الآلة، وعن السكينة بدلا من البقاء للأصلح، وعن الدفع بين الناس بدلا من الصراع الطبقي، وعن عناية الله التي تحكم التاريخ بدلا من منطق التاريخ وحتميته..

في هذا المشروع يحتل العقل مكانته الطبيعية، فالوسطية لا تلغيه كما يظن بعضهم، ولكنها تستدعيه بكل قوة، وتدعو إلى استثماره كهبة منحها الله للبشر، فهو ميزان الله في أرضه – كما يقول الغزالي – يتعامل به الناس، ويصلون عن طريقه إلى الاختراعات والصناعات.

إن الوسطية تحرص على الموازنة بين الخاص والعام، وتجمع بين العروبة والإسلام، وهي ليست نظرية، ولكنها حياة يعيشها المسلم، وإذا كان التفكير الثنائي موجودا عند كل الأمم التي لا تعدم من يتحدثون عن الإنسان بوصفه مادة وروحا معا، فإن الوسطية العربية تبدأ من هذا التفكير الإنساني، ثم تسلخ نفسها عنه لتصنع خصوصيتها.

ويمكن القول: إن الوسطية العربية كما يراها عبد الحميد إبراهيم تشبه صقرا، يتمتع

بجناحين قويين، يحفظان توازنه في السماء، فإن اهتز الجناحان أو أحدهما، اختل التوازن، وسقط على الأرض فريسة للهوام والدواب.

ولعل اشتباك عبد الحميد إبراهيم من خلال كتابه الأدب المقارن من منظور الأدب العربي – مقدمة وتطبيق، يمثل الجهد المباشر في إبراز الهوية العربية الإسلامية، فهو يسعى أن يكون للأدب المقارن هدف قومي، ويحاول أن يقارن بين ما كتبه الحريري صاحب المقامات من ناحية، وكافكا ورولان بارت من ناحية أخرى، حيث يستعرض الشخصيات القصصية والمناهج الأدبية لدى الطرفين، ويتناول ما يقدمه نقاد الحداثة العرب، والرحلة إلى السماء بين إقبال والزبيري، وجريمة قتل بين إليوت وصلاح عبد الصبور، وانتقال المصطلح الأدبي من خلال السعي للمصطلحات الأدبية، ثم يختم كتابه الضخم بالأدب المقارن والصراع الحضاري.

بيد أن موقفه من نقاد الحداثة كان جريئا وشجاعا عندما ناقش مقولاتهم ومنهجهم وإنتاجهم باستفاضة، وقدم البديل العربي الإسلامي في القضايا المطروحة.

وقد رأى أن العزلة بلغت ببعضهم أن يتعشق كاتبًا أجنبيًّا، ويتوحَّد بأفكاره، فهو يردد اسمه في كل مناسبة، ويشير إليه في كل مرجع، ويصبح في النهاية صدًى له، يود حتى أن يتسمى باسمه لو استطاع.

وهكذا عرفت ثقافتنا العربية المعاصرة من يتعصبون لسوسير حتى أصبح سوسير عربيًّا، ومن يتعصبون لبوشلار حتى أصبح بوشلار عربيًّا، ومن يتعصبون لرولان بارت حتى تحول إلى رولان في طبعة عربية.

كما رأى أن المصطلحات عند نقاد الحداثة تبدو في صورة مربكة، وتكون النتيجة أن القارئ لا يعرف شيئًا، وقد تحدى عبد الحميد إبراهيم أي قارئ يتمكن من أن يخرج من مؤلفات نقاد الحداثة في العالم العربي، بالفارق بين البنيوية وما بعد البنيوية، والحداثة وما بعد الحداثة، والسيميولوجية والتشريحية، والأسلوبية والألسنية، أو يعرف الفروق الدقيقة بين مناهج كل من كافكا وبيكيت وسارتر ويونسكو وفولكنر وألان روب جرييه.

إن القارئ لا يعرف ذلك لسبب بسيط، وهو أن المؤلف نفسه لا يفهم ما يقرأ، هو فقط مأخوذ بالحداثة، يسرع إلى تقديم المصطلحات الأعجمية، والأعلام الأجنبية، ويكتسب بذلك منزلة عند القارئ، وتتسابق الصحف وأجهزة الإعلام إلى التقاط همهمته، فهو يعرف ما لا يعرف الغير، وهو يجيد ثقافة العالم الغربي أكثر مما يجيدها الآخرون، وهو يرطن بلغاتهم، ويتحمس لأفكارهم أكثر مما هم متحمسون.

ويضيف عبد الحميد إبراهيم أنه من الصعب جدا تصنيف أقوال الحداثة في العالم العربي، أو

وضعها في سياق منظم ومفهوم، فهي كثيرة، متداخلة ومتضاربة. لقد ركزوا في أفكارهم على مسألة موت المؤلف، والنصية أو ما يمكن أن نسميه بالتركيز على الشكل، نتيجة للقضية الأولى.

يقول: «أقرأ للواحد من نقاد الحداثة، فكأني قرأت للجميع، وأقرأ كتاب الواحد منهم، فكأني قد قرأت جميع كتبه. وما أظن أن ذلك بسبب ذكاء نادر عندي؛ وإنما لأن المصادر واحدة، واللغة واحدة، بل إن المصطلحات والأعلام تكاد تتكرر من ناقد إلى ناقد، ومن كاتب إلى آخر».

وليس من الصعب متابعة المصادر عند نقاد الحداثة، فهم يذكرونها ويكررونها، ويتباهون بها، ونظرة إلى ثبت المصادر في مؤلفاتهم، أو إلى فهارس الأعلام عندهم، تدل على المباهاة الشديدة بالمصادر الأجنبية، وعلى الولع بترديد الأعلام الإفرنجية.

وهم بذلك يريدون أن يظهروا بمظهر المتعالي على القراء، يعرفون ما لا يُعرَف، ويرددون من المصطلحات ما لا يُردد، ويلوكون بألسنتهم من الأعلام الأعجمية مالا تستطيعه ألسنة الآخرين، ويضعون الكثير من الكلمات الأجنبية في مقابل مصطلح عربي (انظر كتابه: نقاد الحداثة وموت القارئ، نادي القصيم الأدبي، بريدة، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م، ص٣-٦).

ولعل موقفه هذا كان من وراء القطيعة بينه وبين المؤسسة الثقافية الرسمية التي اتخذت نهجا مغايرا لما يذهب إليه، فتجاهلته، ولم تمنحه أيا من جوائزها، مع أن جهات عديدة رشحته، وبينت أسباب استحقاقه، وكان هو يدرك أن من يحصل على جوائز الدولة لا بد أن تكون له مواصفات خاصة تتعلق بالسلوك العام، لا تنطبق عليه. وتقتضي من الشخص - كما يقول - أن يعرض نفسه، وأن يذل كبرياءه، وأن يتوسل إلى المقربين، وأحيانا يدعي المرض حتى يستثير عاطفة الإشفاق عند الذين يمنحون الجوائز. ويقول: «أنا أرفض هذا المنهج السائد الآن في مصر، وإن كان هذا الرفض قد أبعدني عن الجوائز الحكومية الرسمية».

كان الرجل يملك تاريخا ثقافيا جيدا يؤهله للحصول على أعلى الجوائز التي تمنحها الدولة التي لم تصل إليه، فقد أسس مركز المخطوطات العربية بجامعة المنيا، وأسهم فى تأسيس كلية الآداب بالمنيا، وكلية دار العلوم بالمنيا أيضا، وكلية الآداب بصنعاء، وقسم اللغة العربية بجامعة سوكوتو بنيجيريا، وكان من أوائل المؤسسين لمؤتمر أدباء مصر. وكان عميدا سابقا لكلية الدراسات العربية بجامعة المنيا، وأسس للمؤتمر السنوي عن طه حسين، وشارك في الحياة الثقافية بالكتابة النقدية عن الإصدارات الجديدة (صدرت في ١٥جزءا)، ولكن كل ذلك لم يشفع للرجل عند مانحي الجوائز الحكومية!

لقد ظل يعمل ويقرأ ويكتب حتى آخر أيامه في الدنيا، وقد هاتفني قبيل رحيله ليبلغني أنه سيرسل إلي مجموعة قصصية وكتابا آخر في القصص التي استخرجها من تراث السيرة النبوية، وصاغها بأسلوب معاصر، وتلقيت الكتابين، ونشرت عنهما خبرا صحفيا، وكان يحدثني عن بعض أوجه القصور الثقافي الذي يحكم الحياة الثقافية، مع أن ظروفه الصحية كانت صعبة للغاية، وفي كل الأحوال فقد كان حرصه على العمل والمشاركة، يجعله دائما مشغولا بحركة الفكر والأدب داخل مصر وخارجها. رحمه الله.■

وضباب الحوار كان كثيفا

بلبلٌ لم يزل يزف الحروفا ... لم يزل لحنه الشفيفُ شفيفا
لم يُغرِّدْ منذ استبدَّ به القيدُ ... وألقى عليه ليلاً كثيفاً
كلما لاح في سمائك نسرٌ ... مَسَّ في مقلتيك شوقا عنيفاً
وإذا أطلق الخيالُ شعاعاً ... رحت تجري في إثره ملهوفاً
رفّة الطير تستبيح خلاياك ... وتُدمي جناحك المكسوفا
جرَّدتْ غنجَها لديك وقالت ... «هيتَ لك»: ثم غمغمت كي تضيفا
وتولّيت كي تظل نقيا ... مثل قطر الندى وتبقى عفيفا
كم هممتَ التقاط حبةِ قمحٍ ... بين شوكٍ وكم ولجت كهوفا
لم تعد مثلما عهدتك من قبل ... رقيقاً يا شاعري وأليفا
كم تذكّرتَ أن صمتك قاسٍ ... وبأن الصراع كان سخيفا
والحوار الذي يدور غبي ... وضباب الحوار كان كثيفا
والحروف التي أقمت عليها ... باذخات الرؤى نزفن الحروفا
ولقد تشتكي من الجوع عمرا ... كي تُخلِّي من مخلبيه الرغيفا
ولقد تسكب الدموعَ الغوالي ... ولقد تركبُ الطريق المخوفا
كي تروي عرائش الكرمِ في الصَّيف ... وتحمي من الجراد القطوفا
كي ترى عالم الطفولة أبهى ... وترى عالمَ الجمال وريفا
والصبايا تعود قدّا فقدّا ... كالطواويسِ قد شمخن أنوفا
وإذا ما انحنيت للريح يوما ... فلأن الإعصار كان مُخيفا
ولأن الربيع صار شتاء ... ولأن الشتاء صار خريفا
رحل الشعر عن شفاه الغواني ... لم يُشيِّدْ لهن قصرا منيفا
لم يُرصِّعْ سماءهن نجوما ... لم يُجرِّدْ من أجلهن سيوفا
ظل يحبو فلا يمدُّ جناحاً ... ويعاني فلا يُجيد الوقوفا

محمود مفلح - فلسطين

توظيف الزمان والمكان في الشعر الإسلامي المعاصر

د. زينب بيره جكلي - سورية

هناك أزمنة أفضل من أزمنة، وأمكنة أفضل من أمكنة، فرمضان وموسم الحج، وماضينا المجيد أزمنة لها قدسيتها واحترامها، وكذلك الحال في الأماكن المقدسة كالمسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى لها آثارها في نفس كل مسلم، ومن هنا أكثر الشعراء الإسلاميون من ذكر الأزمنة والأمكنة ووظفوها لتعميق الإحساس بها أو بالفكرة التي جيئت من أجلها.

◁◁ الزمان ودلالته في الشعر الإسلامي المعاصر:

يطلق اسم الزمان على العصر أو التاريخ وما يتعلق به من نمو فكري واجتماعي يؤثر في الفكر اللاحق وقضاياه الاجتماعية وهو لذلك أحد المؤثرات الثلاثة الجنس والبيئة والعصر، كما يطلق على الوقت الذي يعيش فيه وعلى مستقبل أيامه أيضا[1].

محمد عياش الكبيسي

فالزمن تاريخيا له أهميته عند الشاعر الإسلامي لأنه يكشف ماضيه المجيد، كما يبين عقوبة الله للأمم السالفة التي انحرفت عن منهجه وشريعته. فالشاعر محمد عياش الكبيسي يتحدث عن انتصارات المسلمين على الصليبيين والتتار، وعن رفض السلطان العثماني عبد الحميد الثاني إعطاء أرض لليهود في فلسطين فيقول:

سائل ربوع القدس لما نالها
سهم الصليب من الذي قد ضمدا
من رد أوربا على أعقابها
تشكو المهانة والمصير الأنكدا
من رد أمواج التتار وقد أتت
سيلا تحدَّر أو غماما أرعدا
من كان للأقصى وقد حاطت به
فتن تجمَّع شرها وتلبدا
عبد الحميد وللرجال مواقف
حييت لن ننسى البطولة والفدا[2]

ولقد جاء الحديث عن هذا الماضي وبطولاته بالزمن الماضي(نال، ضمد،رد، أتت سيلا تحدر، أرعد، حاطت، تجمَّع، حييت).

أما حديثه عن شكوى أوربا والواقع المعاصر فقد جاء بالمضارع للدلالة على الاستمرارية (فأوربا تشكو المهانة، ونحن لن ننسى البطولة) كما نرى تداخل العصور بين زمن التتر وصلاح الدين والعهد العثماني وهذا كله من التاريخ المجيد.

حسان حتحوت

أما الزمن نفسيا فيعبر عنه الشاعر من خلال أحاسيسه أثناء إبداعه الفني، وقد يراه عاملا إيجابيا،فالشاعر حسان حتحوت يتحدث عن آلام نكسة حزيران التي خسرنا بها القدس الشريف فيقول في حزن وأسى:

نوم طوانا في غيابته وما
كان المنام على الممات دليلا
أيام كان وجودنا عدما
وكان جهادنا التزمير والتطبيلا
أيام كان السجن للأحرار يصـ
ـلَوْن الأذى والنفخ والتكبيلا
أيام كان عدوُّنا يقظا يكيـ
ـد لنا وكان ضميرنا مسطولا[3]

فهذه الأيام كانت معاناة يعانيها المسلم من غفلة قاتلة، وقد عبر عنها بالماضي (نوم طوانا)، وبالوجود العدم، والسجن للأحرار، وقد عبر عن عذابه بالمضارع (يصلون) للدلالة على الاستمرار، وكذلك فعل حينما ذكر استمرارية كيد العدو.

سمات الزمن في الشعر الإسلامي المعاصر:

وللزمن في الشعر الإسلامي المعاصر سمات أهمها:

١- التقلب والتغيير:

فالزمن في الشعر الإسلامي يتغير ويتبدل من حال إلى حال، وقد يتجه نحو الأفضل أو الأسوأ، ففي مناجاة محمد علي حمودة لله سبحانه يحس أن حاله سيتغير بحسن الظن به والإنابة إليه، ولذلك يروح يقول:

محمد علي حمودة

راشَ الزمانُ سهامه ورماني
وهوى عليَّ بصارم وسنان
أحسنتُ ظني بالإله وعدله
فأقالني من فاقة وهوان
من يتق المولى الكريم ويخشه
يرزقه خيرا دونما حسبان[٤]

وقد يكون التغيير نحو ماهو أقسى وأمر كقول د. عثمان مكانسي واصفا حال المسلمين لما تركوا الهدى:

لما تجافينا الهدى حلت بنا
النكبات والأرزاء والأوزار
وتجاذبت أطرافنا أمم طغت
فكأننا في أرضنا زوار
وكأننا خول لهم وعبيدهم
وهم السراة السادة الأحرار[٥]

وقد يكون التحول أمنية ترتجى كما في قول رافع الحديثي مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم:

سيد الرسل سيدي يايتيما
لاذ عسر بجنبه ويسار
هل ربيع تأتي القرون وتمضي
وهو باهي السنا وريف نضار
غير يوم تهالك الظلم فيه
وتهاوى صرح له واعتبار[٦]

وقد يكون التحول إحساسا بزمن غير الزمن الواقعي الحقيقي، وذلك تبعا لنفسية الشاعر، وهذا مابدا من قول الشاعر ناجي صبحة في أبطال الحجارة:

بوركت يامن تحمل الأحجار
يازهرة الربيع في تشرين
ياباعثا في الليل أشعة الضياء[٧]

عثمان مكانسي

فالخريف بدا له ربيعا مزهرا، والليل مضيئا، وذلك تفاؤلا بانتصار الانتفاضة.

والحي يغدو كالميت إن لم يقدم في عمره خيرا، وهذا التحول يعبر عنه د.وليد قصاب بقوله:

والميتون هم الذين حياتهم
كسحابة في الصيف ذات نهار
ماخلفوا لنا شيئا يحدث عنهم
لم يكتبوا سطرا من الأسطار
لم يزرعوا في الأرض شبرا واحدا
أو يورثوا التاريخ بعض ثمار[٨]

٢- الديمومة والأزلية:

الإسلام دين صالح لكل زمان ومكان لأنه شريعة

من خلق العالمين وعرف مايحتاجون إليه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وبدونه تعاني البشرية من التخبط والانحراف، وهذا ماعبر عنه الشعراء الإسلاميون، يقول أحمد الجدع في نشيده « هداة البشر»:

أحمد الجدع

بنور الإله نقود الأمم
ونرخص في الله مالاً ودمْ
فنحن الذين أضاؤوا الوجود
بعدل وصدق وحزم وعزمْ

* * *

تقاسي الشعوب البلاء الأمرّ
وتجني الحياة شقاء وشر
ستلقي لنا في غد أمرها
فنحن لها الأمل المنتظرْ[٩]

وقد تكون الديمومة تخليدا لذكرى راحل قدم الكثير للأمة، ففي مرثية للشاعر الدكتور حسين علي محمديقول د. وليد قصاب مشيدا بأعماله الأدبية:

ماعمر أهل الفضل كالأعمار
أو سِفرهم في الأرض كالأسفار
يبقى بأسماع الزمان دويهم
ويظل ينشدهم فم الإعصار

والموت رحلة أبدية أيضا إلى زمن لاينقضي، يقول محمد عبد الرحمن صان الدين مبينا أن الإنسان يخلد في الدار الآخرة:

ذي حياة ثم موت
وانبثار بين حفرة
ثم نشر وانبعاث
حين يلقى الله أمره
ثم خلد في نعيم
أو جحيم مستعرَّة[١٠]

والزمن يدور، وتنتهي القرون ويرحل الزمان إلى مالا نهاية، وفي ذلك دلالة على علم الله في الوجود، وقصور علم البشرية عما يصل إليه علم الله المخبوء، يقول عبد الله إدريس مخاطبا القرن الرابع عشر الهجري المنصرم:

الشيخ عبدالله إدريس

ترحلتَ لادارا تريد ولا أهلا
ولا غاية تنهي سُراك ولا سبلا
ترحلتَ لايدري مصيرَك ذو النهى
ولا عالم الإنسان يدري به أصلا
ومثلك آلاف القرون تكسرت
مضيّاً على هام الوجود بها قبلا
فيا أنت ياهذا الزمان أنِرْ لنا
سُراك من الآزال وانشر لنا فصلا

* * *

لعل به الأفهام تدرك دربها
إلى بعض أسرار الوجود فتظهر
تجادلني نفسي لأبحث غامضا
بأسرار ما تحت السجوف فيسفر
فقلت تعالى الله عالم ما اختفى
بأطواء هذا الكون والله أكبر

* * *

فما ضلل الأقـــــوام إلا تفلسف
يروم سوى المنظـــور عمدا فيحتذى
فيـــارب فاملأ باليقين بصيرتي
وللحق فاجعلني نصيرا منفذا[١١]

٣- الطبيعة والزمن الرمزي:

وتغدو الطبيعة وأزمانها رمزا أحيانا، فالاستعمار ظلام، والهدى نور وفجر وصباح مشرق، والعواصف الشديدة في نيسان وحرارة الصيف استعمار صهيوني يقاومه الصغار، يقول ناجي صبحة في أبطال الحجارة ومقاومتهم للعدو:

ناجي صبحة

قاومَتْ أغصاننا الصغيرة
عواصف الرياح في نيسان
حرارة الأيام في تموز
بوركت يامن تحمل الحجارة
يابسمة الصباح في تجهم المساء
ياصخرة قوية التكوين[١٢]

ويقول محمد منلا غزيل في التفاؤل بالخلاص من الطغيان رامزا له بالليل، وللخلاص بالفجر:

سيـــزول ليـــل الظالمـــين وليل بغي مجرم
وسيشرق الفجر المبين ويرتوي القلب الظمي
بشـــريعـــة الله العظيم وبالنظـــام المحكـم[١٣]

٤- الزمن مجال للذكرى:

وقد يكون الزمن موعظة تشي بقدرة الله سبحانه، فالأميري كان يتأمل في الكون بعيد صلاة الصبح وعند مطلع الشمس، فانطلق لسانه يسبح مولاه بقدرته في تحويل الليل إلى نهار في زمان سرمدي دائم، يقول:

سبحان من منح البُكورَ مفاتن السحر الطهور
وحبـا أشعتها قـوى تهَب المضـاء ولا تحـور
وأدار مابيـــن الدجى والفجر دولاب الدهور[١٤]

وقد تكون الذكرى في زمان له أهميته، فالمسلم يذكر في العيد أحباءه الذين فقدهم في نكبة حلت به، يقول د. عبد الرحمن العشماوي:

أيـها العيـــــد لاتسلنا فإنا
قـــد حملنا آلامـنـا ومشينا
كـم رأينـا جنـدا يـجـرون طفلا
وسكتنـــــــا كـأنـنـا مـارأينـا
أيـهـا الـعـيـد مـايئسـنـا ولـكـن
قـد بثثناك بعض ما عانينا[١٥]

المكان ودلالته في الشعر الإسلامي المعاصر:

للمكان أهميته وحبه في قلوب الناس ولاسيما الأماكن المقدسة في أفئدة المسلمين عامة والشعراء الإسلاميين خاصة. فهو موطن عبادة وذكرى، والمسلم يعتقد أن الأرض كل الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، وعلى المسلم أن يسعى لنشر الإسلام وأحكامه في ربوعها، ولعل أهم سمات المكان في هذا الشعر:

د. حسام النعيمي

١- الشمولية:

فالأرض كلها لله سبحانه، ويجب أن يرفرف عليها علم الإسلام، وأن تخيم فيها شريعته، يقول د.حسام النعيمي:

سـأحـمـل مشعـل الإسـلام حتى
أنـير الـكـون أو أثـوي شـهـيـدا

سنملأ باسمه الأقطـــــار عدلا
ونسمو بـاسمه كرما وجـودا[١٦]

ويحس المسلم أن الكون كله مجاله الرحب يطوف في أرجائه بفكره، وهو يسبِّح خالقه ويتأمل في ملكوته، فهذا هو الأميري يشعر وكأنه اجتاز عالم الأرض بروحه، فيقول مسبحا موحدا محبا للمولى تعالى:

كيف تذرو (سبحان ربي) قيودي
كيف تجتاز بي وراء السدود
كيف تسمو بفطرتي ووجودي
عن مفاهيم كوني المعهود[١٧]

والمكان لايقتصر على الدنيا وإنما يتعداه إلى الآخرة، أليس المسلم يوقن أن في الثانية حياة أبدية في نعيم الجنة أو جحيم النيران، ولهذا يقاوم شيطانه لئلا يغويه فيرديه، يقول الأميري:

الأميري

حذار ياشيطان جسمي حذار
من بطش إيمان غضوب مثار
لمِلمْ أحابيلك من ساحتي
خزيان مرجوما ولُذْ بالفرار
مُكَبكَبا في سقر خاسئا
مُخَلدا فيها وبئس القرار[١٨]

٢- قدسية المكان:

بعض الأماكن لها في نفوس المسلمين قدسية لاتضاهى وفي مقدمتها بيت الله الحرام ثم المسجد النبوي ثم المسجد الأقصى، إذ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى»، يقول الأميري حاثا على الانطلاقة الإسلامية الكبرى من مركز الإسلام الأول ومنطلقه « مكة المكرمة»:

يامسلم المسجد والذل قاس
والمجد لايجنى بغير الكفاح
شمر تولى الليل والفجر ماس
ولاحت الصحوة والنصر لاح
فعد إلى الكعبة والعزم راس
وانفر من الكعبة واهد البطاح[١٩]

أما الشاعر يوسف العظم، شاعر الأقصى فيعبر عن حبه للمسجد الأقصى ويطالب بحرارة باسترجاعه ليعود إليه مركزه الديني:

يا قدس يا محراب يا منبر
يا نور يا إيمان يا عنبر
من لوَّث الصخرة تلك التي
كانت بمسرى أحمد تفخر
وأمطر القدس بأحقاده
فاحترق اليابس والأخضر[٢٠]

٣- المكان موطن ذكرى وعبرة:

يوسف العظم

فكل أرض دخلها الإسلام هي موطن لذكرى وجوده وحضارته، هذه الأندلس يقول فيها كامل أمين وهو متحسر على ضياعها بأيدي من استعان بعدوه على أخيه:

كانت لنا في أرض أندلس عظا
ت ينبغي أبدا أن تذكرا

درس لكل من استعان على ذوي
ـه بكافر يرجو به أن يظفرا[٢١]

وحركات الكون تشي بقدرة الخالق على تحريك الجماد في ملكوت الله القادر، يقول يوسف العظم:

في صنعة الكون توحيد لصانعه
في ومضة العقل آيات وبرهان
في دورة الفلك الدوار منتظما
للعقل والقلب إفصاح وتبيان[٢٢]

٤-تحولات المكان:

وهي عامل نفسي يحسه الشاعر الإسلامي، وقد يرى منه موقفا ما، هذا د.محمد علي الرباوي أحس بأن تل أبيب دخلت البلدان العربية كلها متجاوزة مكانها في إسرائيل، فراح يقول:

د. محمد علي الرباوي

تل أبيب
تتسكع في طرقات دمشق
وتدوس حوافرها كل شوارع بيروت
والقدس الأشرف
أذِن الليل لها أن ترفع
في ساحة وجدة
دخلت في هذه السنة الشهباء
إلى قلب المدن العربية[٢٣]

ومساندة قطر مسلم لآخر فيه تحول عند د.حسن الأمراني، يقول لأم درمان في السودان:

لاتقلقي فالمغرب العربي صار لك الجناح
وبنوه أهلوك الذين تمردوا
ضد الطغاة[٢٤]

فالمغرب الأقصى انتقل فكريا إلى أم درمان فصار جناحها المعين لها.

والغربة النفسية تجعل المسلم يرى نفسه غريبا وإن كان بين أهله، يقول د. الرباوي:

في الشارع أنت غريب
غريب في البيت وأنت تجالس
شاشتك الفاجرة الصوت، الفاسقة الصورة
غريب إن أنت استلقيت كطفل
في حضن جرائد تقطع أوصالك كل صباح[٢٥]

ومن تحولات المكان تهديم المنازل بجرائم العدو وتحول لون الرصيف إلى أحمر بالدماء، تقول لولوة جاسم:

سأل الفتى عن والديه وما جرى
وعن الديار توسدت سطح الثرى
سأل الفتى مابال حارتنا بدا
فيها الرصيف وقد تلوَّن أحمرا[٢٦]

ومن ذلك أيضا زلزلة الكون يوم القيامة، يقول الأميري:

إذا في غد حُمّ يوم الحساب
(وزلزلت الأرض زلزالها)
ونادى إلى الحشر والنشر داع
(وأخرجت الأرض أثقالها)
فماذا يكون الجواب الصواب
وكيف نوازن مكيالها؟[٢٧]

٥-تداخل الأمكنة بين الماضي والحاضر:

عبدالرحمن فرحانة

فالشاعر عبد الرحمن فرحانة في قصيدته «شوكة في عين صهيون» يرد على الشاعر الصهيوني إيلي رندان الذي نظم قصيدته «سم في

مذاق العسل» ليدعي فيها أن فلسطين لليهود، فيقول فرحانة: إن فلسطين للعرب قبل أن يوجد اليهود، وكان اسم القدس في ذلك الزمن «يبوس»:

رندان
هل تسمع صوتي
فأنا كنعان
منذ الألف الثالث.. يارندان
وكتبت الشعر الكنعاني
على صخرات يبوس
وصقلت السيف لـ « مَلْكي صادق(٢٨)» في سلوان
رندان
أنتم لقطاء
جئتم من عرض البحر
الأرض لجدي إسماعيل
لأبيه الأول إبراهيم

ومن تداخل الأمكنة قول علي حُوم وهو يتحدث عن الفاروق عمر بن الخطاب الذي كان يتفقد الرعية في أرض الجزيرة، ثم يفاجئنا بهذا الخليفة الراشدي في فنادق معاصرة، ثم يعود به ثانية إلى عام الرمادة، ثم يجتاز مكانه في الجزيرة إلى منازل مكيفة بأجهزة التكييف المعاصرة، يقول بغية تنبيه الوعي إلى الواقع المعايش سعيا وراء تغييره:

حسن الأمراني

كان الفاروق ابن الخطاب
يتفقد أحوال رعيته
شيء ما شد القدمين إلى رُدهات الفندق:
مفروشات، سجاد
أنوار كاشفة وهاجة
والعام رمادة
عرقي المتصبب في وقت القيظ يجف
الجو مكيَّف
كيف؟
والأكشاك الخشبية (مأوى الفقراء) احترقت
من وهج الشمس.

وبهذا التحول يبين الشاعر في مفارقة الرفاهية التي يعيش فيها بعض المسلمين، وما كان عليه المسلمون الأوائل من فقر، ليصور واقع بعض المسلمين اليوم، وبذلك يتعمق الإحساس بالواقع المتناقض.

٦- جمالية المكان:

وتبدو في جماليات ملكوت الله الواسع، يقول الأميري في التعبير عن بديع خلق الله سبحانه في الطيور التي تعزف في أرجاء الكون، وفي حفيف الشجر وزهور الرياض، فكأن الكون في لحن متناغم على الأرض:

فالطيور المِـــراح تشدو وتغدو
تلقف الزاد في هوى وشهية
والحفيف الخفيف كالهمس تحكي
فيه للزهر عن رؤاها العشية
إنها خفقة الحياة بقلب الـ
كون لاحت على مرايا البرية
كل لحن مناغمٌ لأخيه
كل حسن لذَّ يلف نجيَّه(٢٩)

٧- المكان الرمز:

يصور الشاعر د. حسن الأمراني نهر (درينا) منكوبا في حديثه عن البوسنة والهرسك فيقول:

قد غدا نهر (دريـنا) ظامئا
ولكم كان يروي الظامئينا(٣٠)

وأحمد ياسين نجم اعتلى كبد السماء وإن كان مقعدا على كرسيه في الأرض، يقول د.عبدالرحمن العشماوي:

ستظل نجما في سماء نجومنا
يامقعدا جعل العدو جبانا[٣١]

وصرح الطغاة رمز للعدوان، يقول محمود مفلح:

قطفوا كرمة النجوم وها نحـ
ـن نخوض الطريق شوكا ووحلا[٣٢]

والوسطية دلت على مكان رمز للمنهج الإسلامي المعتدل، الذي لاينحاز إلى الشرق ولا إلى الغرب، يقول وليد الأعظمي:

وسطا نعيش كما يريد إلهنا
لانستعير مبادئاً لانجتدي

د. عبدالرحمن العشماوي

وليد الأعظمي

قرآن ربك يامحمد عزنا
ونظامنا الداعي لعيش أرغد[٣٣]

وهكذا غدا الزمان والمكان برؤيا الشاعر الإسلامي أداة فنية يعبر بها عن حياته ومعاناته وعن واقع الأمة الأليم ■

الهوامش:

(١) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب/٢٧١.
(٢) القصيدة الإسلامية/٣٤٦.
(٣) دواوين الشعر الإسلامي/٨٤.
(٤) معجم الأدباء الإسلاميين ٣/ ١١٩٧.
(٥) نبضات قلب/٤٢.
(٦) القصيدة الإسلامية/٢٠٦.
(٧) جراحات/٩٩.
(٨) مجلة الأدب الإسلامي، ع٧٠ جمادى الأولى –رجب ١٤٣٢هـ أبريل نيسان –يونيوحزيران٢٠١١م د. وليد قصاب، خلود الكبار/٣٥.
(٩) أناشيد الدعوة الإسلامية ٢/ ٥٢.
(١٠) معجم الأدباء الإسلاميين ٣/ ١١٩١.
(١١) من الشعر الإسلامي الحديث/٦٧-٦٨.
(١٢) جراحات/٩٩.
(١٣) معجم الأدباء الإسلاميين ٣/ ١٢٦٥.
(١٤) ألوان طيف/٢٨٩.
(١٥) مجلة الإصلاح ع١٨١ في ١٩٩٢/٤/٣م، د. عبد الرحمن العشماوي، العيد/٤٥، ومثلها للأميري في: مع الله/١٠٢.
(١٦) القصيدة الإسلامية/١١٣.
(١٧) مع الله/٩٧.
(١٨) مع الله/١٢٧.
(١٩) الزحف المقدس/٦١.
(٢٠) في رحاب الأقصى/١١.
(٢١) دواوين الشعر الإسلامي/٢٠١.
(٢٢) في رحاب الأقصى/١٨٠.
(٢٣) أول الغيث/٥١.
(٢٤) أشجان النيل الأزرق (مخطوط إلكتروني).
(٢٥) أول الغيث/٦٧.
(٢٦) تؤرقني الهموم/١٣٣.
(٢٧) أذان القرآن/١١٤.
(٢٨) ملكي صادق ملك كنعاني موحد استقبل إبراهيم عليه السلام عندما دخل القدس، وقدما معا القرابين لله سبحانه عند الصخرة المشرفة في ساحة الأقصى: زيتونة بيت المقدس/٧٦، والشعر في الصفحة نفسها.
(٢٩) أذان القرآن/٢١.
(٣٠) ديوان البوسنة والهرسك/٣٩، إصدار رابطة الأدب الإسلامي.
(٣١) الشيخ أحمد ياسين مجددا/٧١.
(٣٢) من الشعر الإسلامي الحديث/٢٣٠، لرابطة الأدب الإسلامي.
(٣٣) القصيدة الإسلامية/٤١٤.

الإسلام وحضارة الغد

إلى صاحب الميلاد الأسنى ﷺ

عبير حسين إبراهيم - مصر

هذا الزمان زمانهُ ... محمد عنوانهُ ... كان الوجود غابة ... أشجارها أحزانهُ

يسمو به وجوده ... يعلو به إنسانهُ ... حتى أطل أحمد ... فازدهرت أغصانهُ

شعاره توحيده ... سفيره قرآنهُ ... ولاح ألف كوكب ... يضيئها إيمانهُ

طريقه حقيقةٌ ... ونورها برهانهُ ... قيصر ثُلَّ عرشه ... كسرى هوى إيوانهُ

فهذه آثاره ... وذلكم بنيانهُ ... وشردت أخباره ... وأخمدت نيرانهُ

حضارة للخالدي ... ـن أسُّها إيمانهُ ... كأنه ما كان يو ... ماً ها هنا مكانهُ

راسخة دعامه ... شامخة جدرانهُ ... وانشق ليل الأرض عن ... فجر زهت ألوانهُ

للعالمين لا لشعـ ... ـب واحد كيانهُ ... من مكةَ النورُ سرى ... تشدو به ركبانهُ

أين زمان غابر ... هوى به سلطانهُ ... كل بلاد داره ... وكلها أوطانهُ

ظالمة رجاله ... جبارة أعوانهُ ... شرقيها غربيها ... وإنسه وجانهُ

السوط من أسمائه ... وربه شيطانهُ ... يرفع باسم أحمدٍ ... في أفقها أذانهُ

وعرشه على القلو ... ب ثبَّتت أركانهُ ... دين علت راياته ... وثبتت أركانهُ

بحر عميق للأسى ... دموعه شطآنهُ ... محمد رسوله ... وهديه فرقانهُ

من مقدمة كتاب
«فقه اللغة وسر العربية»

قال أبو منصور الثعالبي(*):

من أحب الله تعالى أحب رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم، ومن أحب الرسول العربي أحبّ العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحب العربية عُنيَ بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها.

ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان وآتاه حسن سريرة فيه؛ اعتقد أن محمداً صلى الله عليه وسلم خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ثم هي لإحراز الفضائل، والاحتواء على المروءة وسائر أنواع المناقب، كالينبوع للماء والزند للنار.

ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها، والوقوف على مجاريها ومصارفها، والتبحر في جلائها ودقائقها، إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة البصيرة في إثبات النبوة، التي هي عمدة الإيمان، لكفى بهما فضلا يَحْسُنُ فيهما أثره، ويطيب في الدارين ثمره، فكيف وأيسر ما خصها الله عز وجل به من ضروب المادح يُكِلُّ أقلام الكتبة، ويتعب أنامل الحسبة!؟.

ولَما شرفها الله تعالى عز اسمه وعظّمها، ورفع خطرها وكرمها، وأوحى بها إلى خير خلقه، وجعل لسانَ أمينه على وحيه، وخلفائه في أرضه، وأراد بقضائها ودوامها حتى تكون في هذه العاجلة لخيار عباده، وفي تلك الآجلة لساكني جنانه ودار ثوابه، قيض لها حفظة وخزنة من خواصه من خيار الناس وأعيان الفضل وأنجم الأرض، تركوا في خدمتها الشهوات، وجابوا الفلوات، ونادموا لاقتنائها الدفاتر، وسامروا القماطر والمحابر، وكدّوا في حصر لغاتها طباعهم، وأشهروا في تقييد شواردها أجفانهم، وأجالوا في نظم قلائدها أفكارهم، وأنفقوا على تخليد كتبها أعمارهم،

فعظمت الفائدة، وعمّت المصلحة، وتوفّرت العائدة.

وكلما بدأت معارفها تتنكّر، أو كادت معالمها تتستّر، أو عَرَض لها ما يشبه الفترة رد الله تعالى لها الكرة فأهب ريحها، ونفق سوقها بفرد من أفراد الدهر أديب، ذي صدر رحيب، وقريحة ثاقبة، ودراية صائبة، ونفس سامية، وهمّة عالية، يحب الأدب ويتعصّب للعربية، فيجمع شملها، ويكرم أهلها، ويحرك الخواطر الساكنة لإعادة رونقها، ويستثير المحاسن الكامنة في صدور المتحلين بها، ويستدعي التأليفات البارعة في تجديد ما عفا من رسوم طرائفها ولطائفها؛ مثل الأمير السيد الأوحد أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي أدام الله تعالى بهجته، وأين مثله!؟ وأصله أصله، وفضله فضله؟

هيهات لا يأتي الزمان بمثله ... إن الزمـــان بمثلـــه لَبَخيـــلُ

وقد اخترت لترجمته وما أجعله عنوان معرفته ما اختاره أدام الله توفيقه من «فقه اللغة» وشَفَعْتُهُ بـ «سر العربية» ليكون اسما يوافق مسماه ولفظا يطابق معناه. وعهدي به -أدام الله تأييده- يستحسن ما أنشدته لصديقه أبي الفتح: علي بن محمد البُستيّ ورثه الله عمره:

لا تُنكِرَنّ إذا أَهدَيتُ نحوك مِنْ ... علومكَ الغُرَّ أو آدابكَ النُّتَفا

فَقَيِّم الباغ قد يُهدي لمالكـــه ... برسم خدمَته من باغه التُّحَفا[1]

وهكذا أقول له بعد تقديم قول أبي الحسن بن طَبَاطَبَا فهو الأصل في معنى ما سقت كلامي إليه:

لا تُنْكِرَنْ إهداءنا لك منطقاً ... منك استَفَدْنا حُسنَهُ ونظامَهُ

فالله عزّ وجلّ يَشكُرُ فعلَ مَنْ ... يَتْلـــو عليه وحيَهُ وكلامَـــهُ

والله الموفق للصواب، وهذا حينُ سياقة الأبواب ■

الهوامش:

(*) هذه رسالة جعلها أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري (٣٥٠-٤٢٠هـ) مقدمة لكتابه (فقه اللغة وسر العربية)، الذي ألّفه لمجلس الأمير السيد أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي، عفا الله عنه. وقد أخذنا من المقدمة ما يخص مكانة اللغة العربية.

(١) الباغ: كلمة فارسية وتركية تعني البستان وكرم العنب.

الماضي المحرم

لبابة أبو صالح - سورية

أطبقت الباب خلفي، أدرت المفتاح وأقفلته وارتميت في بطن العتمة بعيدًا عن كل شيء حاضر.. طعنت في اتفاقية النسيان التي أبرمتها مع ذاكرتي، وباغت نفسي بالتذكر العاصف لكل شيء.. ولم لا أتذكرك الآن وأنا في معزل عن كل شيء حصل بعدك..!؟

لقد تعبت من نسيانك.. تعبت من تجاهل كل الألم الذي يحشوني.. والذي كان أعظم بكثير من روحي، والذي حولني إلى دمية منتفخة بحشوتها، تكاد تشقق من الألم.. ولست تعلم بعذابي هذا أبدا..!

تنهمر لحظاتي الجميلة معك مثل مطر سخي بالبلل.. وأتندى بك مجددًا رغم أن الزمن قد استطال بيننا، صرت أمًا لخمس بنات، وصرت أبا لثلاثة أطفال، وزوجا لامرأة تشبهني، كما علمت، وليست أنا!!

لم أكن أعتقد أن للسياسة هذا الظل الممتد القاهر، لم أكن أفهم كيف تلقيت نبأ اعتقالك قبل خمس وثلاثين سنة وأنا أكوي شالي الحريري لأتزين لك به تلك الليلة على العشاء..!!

السجن الذي اختفيت في عتمته لم يكن مختلفًا عن الواقع الذي سجنتني فيه، وذلك الشال الذي صرت أتشاءم منه، بقي سنوات في خزانتي غير مكتمل الكيّ، ينتظر عفوًا يمنّ به رئيس الدولة على سجناء الرأي السياسي..!

أهلك كانوا ينتظرونك، وأهلي ينتظرون.. لكنني كنت أحترق من الانتظار.. ولا تأتي..

كل شيء ننتظره لايجيء،.. ولايتأخر.. ولكننا حين نقرر تجاوزه.. يصبح أمامنا فجأة مثل كل شيء لا قيمة له!

ولم أفهم، أنا التي انتظرتك سنوات كثيرة كنت أتخيلك بقربي، وأجمع لك كل ما سأخبرك به.. عني وعن الصدمة التي خلفها نبأ اعتقالك.. وعن كل الذين سافروا وماتوا وولدوا في العائلة.. السجن كان عقابًا مزدوجًا لكلينا، غير أنك دخلت في عالم مختلف قاس وممتلئ بشخصيات لها قيمة تشكل خطرًا على النظام الحاكم.. كانت مأساتك.. ملهاة في ذات الوقت! وكنتَ تكبر وتتغيرُ كل يوم بطريقة تجعلك طاعنا في الحياةً، ومدركاً أشياء كثيرة!!

لكنني لم أدخل عالما في غيابك، لأنني كنت مرصودة لك، ومتمسكة بك.. وأنتظرك لنكمل حلمنا معا.

أتذكُرُ تلك الأحلام التي كنا نؤلفها في قصائد الشعر، نسرق أوزان الشعراء القدماء وننسج أحلامنا على أوزانها!؟ حين كنا نضحك، ونرتبها ونحن جالسون في المدخل الخلفي لحديقة بيت أهلي..

تراقبنا أمي من طاقة المطبخ ونحن نضحك، وتناديني كي تمنعك من الاختلاء بي! وحين أحذرك من نظراتها المتلصصة علينا كنت تقرصني من كتفي وتقول لي بهمس: إنني زوجك أيتها الحسناء! كلانا يحتفظ بعقد الزواج.. وكل قبلاتي التي سأسرقها منك حلال في حلال!! ليس لأحد عندي شيء!!

لقد سرقك السجن من أحلامي، فشاب قلبي بعدك واكتوى واحترق، صرت أحقد على النظام الظالم في بلدنا، وألعنه كل ليلة وأنا أخرج قميص النوم من الخزانة، حين ألمح ذلك الشال الذي لم ألبسه لك..

وليس أشد علي من غيابك سوى أنني لم أعد أعرف شيئا عن أخبارك، وينعصر قلبي من الخوف عليك حين أسمع نبأ استشهاد أحدهم تحت التعذيب في السجن الذي ساقوك إليه!!

كنت أبكي طول الليل وأدعو الله.. أنني لن أحتمل ألماً كهذا يحيط بك، وأرجوه أن يحفظك سالما لنفسك.. ولي!!

بعد خمس عشرة سنة استجاب الله نصف دعائي فخرجت سالماً إلى أهلك، ولكنك حين سألت عني علمت أنني طلقتُك غيابيا قبل شهرين فقط.. بعد أن يئستُ من الانتظار.. وأنني سافرتُ مع زوجي إلى بلاد بعيدة..!

خبرتني اليمامات التي كانت تقف على نافذتي كل تلك السنين أنك وقفت طويلاً أمام باب بيتنا، ولم تقوَ على زيارة خالكَ لأنه سيذكرك بي.. أنا ابنته التي أحببتها كثيراً لدرجة جعلتك تبحث عن امرأة تشبهها لتتزوجها!!

اليمام البري يسافر إلى بلاد بعيدة، وقد خبرني كل شيء لم أكن أجرؤ أن أسأل عنه بعد أن أصبحت زوجة رجل آخر!!

كان بودي لو أخبرك كم افتقدتك! وكم كنت وفيةً لك!! وكم رفضت الزواج بغيرك!!

لكنه القدر الذي أطفأ شمعة الانتظار، وزوجني بغيرك..

والآن.. لم أكن أتخيل أبداً.. أن يسلبني النظام الحاكم في بلادي السعادة مرتين، مرةً حين اعتقالك، ومرة حين يكون من تزوجتُهُ مواليا للنظام.. وحاقدا على كل المعارضين له.. وأسمعه يؤلب من يعرف في الداخل كي يتتبعك ويؤدبك... وربما يقتلك!!

لا لشيء.. فقط، لأنه يريد أن يقف على الجبهة المقابلة لك، بعد أن أصبحتَ حُرا تنادي بإسقاط النظام!! ■

نظرة الإصلاحيين للشعر في الجزائر

إن القول بمصطلح «النظرية» شيء صعب، لأن فيه من المجازفة ما يجعلنا ربما لا نرسو على حقيقة علمية نقدية دقيقة لما لهذا المصطلح من بعد وعمق.

ومن الأحسن أن نستبدله بـ«نظرة شعراء الإصلاح لمفهوم الشعر ودوره» بدلا من نظرية الشعر الإصلاحي، ومن ثم يبقى الجزء الأخير من الجملة «الشعر الإصلاحي» قائما. أما مصطلح النظرية فنستبدله بنظرة الإصلاحيين، ثم نحاول طرحه من خلال نظرتين مختلفتين في الرؤية ومتفقتين في الهدف هي:

١- نظرة الإصلاحيين المحافظين.

٢- نظرة الإصلاحيين المجددين.

نظرة الإصلاحيين المحافظين

هذا التيار يتفرع إلى فرعين:

الأول: يتزعمه الشيخ البشير الإبراهيمي وكل من يستند إلى النقد اللغوي، وهؤلاء ينظرون إلى الشعر بمنظار لغوي أي مقياسهم الجيد للشعر لكي يكون شعرا هو حسن اللغة والوزن.

د. عبدالرحمن تبرماسين - الجزائر

الثاني: أنصار التراث الذين لا يخرجون عن الدائرة الأولى ومنهم بن باديس والأخضر السائحي ومثلهم في ذلك شوقي والمتنبي والبارودي.

يقول الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله: «الشعر العربي هو أصل ثروتنا الأدبية، وأصل بلاغتنا ومرجع

شعرائنا في اللغة والبلاغة العربية، والاستفادة منه أمر ضروري لحفظ هذا اللسان المبين. فكيف نبني دعوتنا إلى توسيع الشعر العربي بالتزهيد فيه»[١] وكلا الفرعين (أ) وَ (ب) مرتبطان بالدين الإسلامي وقيمه النبيلة.

التيار الثاني:

يمثله كل من رمضان حمود، والهادي السنوسي، والسعيد الزاهري، وهؤلاء تشبعوا بالثقافة العربية الإسلامية التي تلقوا مبادئها في قراهم، ووسعوا معارفهم بعد أن التحقوا بالمعاهد العليا ثم جامع الزيتونة، وهم برصيدهم التراثي يحسنون قراءة اللغة الفرنسية التي تلقوها في صغرهم، ومن خلالها تعرفوا على الثقافة الفرنسية ومبادئها التي تنادي بالحرية والأخوة والمساواة، وكان شعراء الثورة الفرنسية مضرب المثل لهم وخاصة رمضان حمود «لأنهم أذكوا نار الثورة بطريقة ذكية»[٢]، وألهبوا الحماسة في نفوس الجماهير فأيقظوا الهمم الفاترة وألبوها على النظام الفاسد، فثارت ضد الظلم والاستبداد.

إن المحافظين المنطلقين من عنصر اللغة يرون فيها هويتهم وأصالتهم وشخصيتهم ودينهم. لأنها لغة القرآن، ومن ثم فهي مقدسة عندهم إلى أبعد مدى. ولأن اللغة الفرنسية أخذت في التسرب لدى الأوساط العامة وخاصة الفئة التي تمدرست في المدارس الفرنسية برغم قلتها مقارنة مع مجموع السكان، ولذا فالنظرة إلى اللغة الفرنسية كانت نظرة عداء وبقيت إلى يومنا، ولا يستطيع أحد أن ينكر الصراع القائم بين ما يسمى بالمفرنس والمعرب في الجزائر.

وربما كانت نظرة الإبراهيمي من هذا المنطلق، أي الصراع بين اللغة العربية والفرنسية، ولأجل البقاء والحفاظ على كيان الأمة وشخصيتها كان التركيز على العنصر اللغوي، والإبراهيمي لا يدرس الشعر ولا ينظر إليه إلا من «زاويته اللغوية»،[٣]، ويقومه بناء على صوره البيانية وفصاحته، ومدى تعلق هذا الشعر وصلته بالأدب القديم أي بالتراث، فكان عبد الحميد الكاتب وابن العميد والجاحظ والحريري وأبو تمام خير من يمثل التراث، ومن يقتدي بهم وأنصار التراث لا ينظرون إلى قيمة الشعر والأدب عموما إلا من خلال زاوية هؤلاء إعجابا بالأدباء المبدعين، وهؤلاء لا يخرجون في تعريفهم للشعر عمن سبقوهم من النقاد القدماء وفي طليعتهم قدامة ابن جعفر.

البشير الإبراهيمي

أحمد الأكحل

وهذا أحمد الأكحل يحاول تعريف الشعر فيقول عنه:«الكلام الموزون، المقفى، السهل العبارات، ذو الخيال البديع والاستعارات البليغة الفائقة، والمعاني الرقيقة الشائعة دون الغريبة، لأن البلاغة ما فهمته الخاصة والعامة»[٤].

لقد كان إعجاب هؤلاء بمدرسة الإحياء إعجابا شديدا فشوقي وحافظ إبراهيم هما النموذج الأمثل لهم جميعا «لأن شعرهم يعالج في مضامينه واقعهم، ويلمس أذواقهم، ويثير مشاعر العروبة والإسلام

فيهم»[٥]، وهذا الإعجاب الكبير البالغ درجة النموذج والمثال هو الذي أثار حفيظة الشاعر مفدي زكرياء فصرح قائلا:

ليس الشمال بمثل شوقي عاجزا
لو أن في بعض النفوس سخاء
إن الجزائر كالكنانة حرة
تلد الرجال وتنجب العظماء[٦]

والمتتبع للحركة الإصلاحية ونشطائها من الشعراء والأدباء وخاصة المحافظين منهم نجدهم لم يولوا أهمية لماهية الشعر، ولم يكلفوا أنفسهم عناء البحث لينظروا له لأن مهمتهم ليست التنظير بقدر ما كانت مهمة إحيائية وإصلاحية لأوضاع اجتماعية وثقافية ودينية كادت أن تزول أسسها بفعل التدمير الذي أحدثه الاستعمار الفرنسي وما أحدثه من تخريب في البنيات الأساسية التي يرتكز عليها المجتمع وفي طليعتها الدين والثقافة. لذا فهم لم «يقفوا وقفات طويلة في تحديد ماهية الشعر وتعريفه بقدر ما أولوا أهمية كبيرة لوظيفة الشعر ودوره ومكانته في الحياة والمجتمع، وكذلك مهمة الشاعر ورسالته في التوجيه»[٧].

مفدي زكريا

رمضان حمود

أما المجددون فيتزعمهم وبلا منازع رمضان حمود بن سليمان، ونظرته لا تخرج عن نطاق المحافظين الإصلاحيين إلا فيما يخص قوانين الشعر وهو القائل: «الشعر تيار كهربائي مركزه الروح، وخيال لطيف تقذفه النفس، لا دخل للوزن ولا للقافية في ماهيته، وغاية أمرهما أنهما تحسينات لفظية اقتضاها الذوق والجمال في التركيب لا في المعنى كالماء لا يزيده الإناء الجميل عذوبة ولا ملوحة، وإنما حفظا وصيانة من التلاشي والسيلان»[٨].

وقد حكم على الذين يظنون بأن الكلام الموزون والمنمق هو الشعر بأنه «ظن فاسد واعتقاد فارغ وحكم بارد»[٩]. وماهية الشعر عنده هي الروح والخيال وليس شيئا آخر، وربما تحول النثر ليصبح شعرا، و«قد يتفوق في إيصال التجربة على بعض القصائد العمودية التي ليس لها من عناصر الشعر غير الوزن والقافية»[١٠].

ويلتقي رمضان حمود مع نزار قباني في قضية الشكل والوزن في قصيدة النثر، ويختلفان في نقطة هامة، فرمضان حمود يتكئ على الدين ويتخذ القرآن عاملا أساسيا ومساعدا في الاستدلال بإمكانية القصيدة النثرية ونجاح تجربتها لما قالت العرب عن القرآن: «إنه شعر» وهي لا تعرف بحور الشعر، وأنه لا أثر فيه للوزن، وأن العرب لما كانت تنشد الشعر كانت تحاكي أوزانا «تلقتها عن الطبيعة المترنمة وكانت صالحة لاحتواء ما يختلج في صدورهم النقية»[١١].

أما نزار قباني فقد ادعى أن سورة مريم هي قصيدة شعرية[١٢] لأن الله أول ما تكلم، تكلم بالشعر كما يقول. وقد يحمل كلام نزار على المجاز لا على الحقيقة من قبل بعض الأدباء والنقاد المتمرسين،

وفي ذات الوقت قد ينظر إليه غيرهم من زاوية غير هذه فيرمى بالجنون أو الإلحاد مرة واحدة.

أما قضية اللغة فله رأي فيها، فلا يسمى الشاعر شاعرا عنده «إلا إذا خاطب الناس باللغة التي يفهمونا بحيث تنزل على قلوبهم نزول ندى الصباح على الزهرة الباسمة».

ويضيف قائلا: «يجب على الشعراء الكبار أن يتنازلوا إلى مخاطبة الطبقة الوسطى والسفلى من الأمة أي العامة التي هي هيكل الشعوب ومرجعها الوحيد عند المدلهمَّات، ويقتدوا – بقطع النظر عن اختلاف الأديان- بشعراء فرنسا وأدبائها في إبان انفجار بركان الثورة الكبرى»[١٣] أي تحريض أبناء الأمة على طلب المساواة والحرية، وإثارة وجدانهم وتحريك ضمائرهم للقيام بالعمل المنتظر منهم وهو تحرير الوطن والإنسان من الاستعمار.

محمد دويدة

وهو في هذا ليس بغافل عن قضية الصدق الفني، فالشعر عنده «إلهام وجداني ووحي الضمير»[١٤]، ولكي يكون خالدا لابد «أن يصدر عن نفس حساسة في نفحاتها»[١٥]، وأن يكون من النوع الذي يتسرب إلى «أعماق النفوس المثيرة الحية»[١٦].

هذه بعض القضايا التي تعرض لها رمضان حمود في كتابه«بذور الحياة» والتي اعتمد عليها كل من الدكتور محمد ناصر والدكتور صالح الخرفي في دراساتهما المتعلقة برمضان حمود وبالشعر الجزائري عموما.

أما وظيفة الشعر فيتفق فيها الإصلاحيون جميعا ولا خلاف بينها، فلابد للشاعر أن يكون «روح شعبه» ومدركا لرسالته الحضارية لأنه مستخلف، والمستخلف في الأرض من حقه الرئاسة، وكيف يترأس أو يتملك من لا يملك حرية نفسه ولا يتمكن من «النطق بالحقيقة العميقة الشاعر بها القلب»[١٧] الحقيقة التي يشعر بها الشاعر قبل غيره. فالشعراء الفنانون هم رسل الشعوب بعد الأنبياء «فالشاعر الصادق قريب من الوحي»[١٨] على حد قول رمضان حمود. أو كما قال الشاعر محمد بن دويدة:

كم كهرب الشعر مغلوبا على وطن
فجرد السيف يتلو آية الغلب[١٩]

إن رسالة الشاعر تكمن في التوجيه والتوعية، والدفاع عن الشرف، والتغني بالأمجاد، والنظر إلى حال شعوبهم وواقعها بمنظار نقدي فعال. فالهادي السنوسي عندما هم بجمع ديوان الشعر الجزائري أخرج منه مواضيع الرثاء والمديح والهجاء «لما بينها وبين الحقيقة اليوم من التباس، لما في المديح من التنازل عن الكرامة، وفي الهجاء من البذاءة، وفي الرثاء من التعداد الذي قلما يصدق فيه قائله. والجميع في الأكثر لا يفيدنا معنى اجتماعيا ولا غيره وعلى الأخص في

بيئتنا»[٢٠] لأن هذا الفعل في حد ذاته توجيه للشاعر وللشعر لخدمة الوطن والاهتمام بقضاياه الملحة وتجسيدا للنحن بدلا من الأنا، وبذلك يكون «الشعر سلاحا من أسلحة الفكر الإصلاحي، الأمر الذي يجعل منه أداة لنشر المعاني الإصلاحية، فنشأ ما أطلقنا عليه «شعر الدعوة» دعوة إلى النهوض، إلى العلم، إلى اليقظة، وأخيرا دعوة إلى رفض الفكر الغيبي»[٢١] ورد الاعتبار للقيم الدينية السمحة.

نماذج من إبداعات شعراء الإصلاح:

لا يمكننا الادعاء أن الشعر الجزائري الحديث هو النموذج الإصلاحي في الشعر الإسلامي الناطق بالعربية، إلا أن هذا الشعر قد غطى جميع الأغراض، والتزم الخط الإصلاحي الذي تمليه العقيدة الإسلامية. وهو التقيد بالقرآن والسنة وأخلاق الرسول ﷺ، ومن ثم الالتزام في كل قول. فأي كلام مبدع لابد أن يكون معياره الأخلاقي «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها».

فالنظرية الأدبية والشعرية إذا تنبثق من التعاليم الإسلامية المتوارثة المتمثلة في مختلف القيم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية القائمة على المنهاج الإرشادي.

شعر الغزل:

ولذلك فالشعر الغزلي يكاد ينعدم لدى شعراء الإصلاح إلا ما ورد عن قلة قليلة، وهو نوع من دغدغة الخواطر والعواطف لا أكثر، وأحيانا يسمو إلى القضايا السياسية وكأني به يتحول إلى التغزل بالأرض «القضية الأم». فالشيخ زهير الزاهري الذي قمنا بجمع بعض قصائده المتناثرة هنا وهناك، لم نعثر له إلا على قصيدة واحدة قالها وهو شيخ كبير، وكانت عبارة عن فاكهة يقصد بها التندر وإكرام صاحبه أكثر مما هي غزلية، وربما كانت عاطفة الشاعر – لا نقول مقيدة– لاتتعدى حدودها الشرعية والمتمثلة في الحديث النبوي الشريف «النظرة الأولى لك والثانية عليك»، أو أن هذه القصيدة هي تكريم لصاحبة المقام أكثر من ارتقائها إلى درجة الغزل أو التغزل، أو أن هذه القصيدة ما هي إلا ذكرى لمصادفة وجه مليح وقلب طيب خلوق، وتلاقي أرواح. يقول:

زهير الزاهري

يـا بـنـت بـسـكـرة الـنـخـيـل
وقـد زكـت شـمـسـا وتمـرا
عـجـز الـلـسـان وإن في
بـحـر الـهـوى مـدا وجـزرا
قـد قـوسـتـني الحـادثـات
وكـنـت في الأجـواء صـقـرا
رفـض الـركـوع أو الخضـو
ع، حـيـاتـه- عـزا وكـبـرا[٢٢]

قد يقول قائل: إن هذا نوع من الزهد أو التسامي! وأنا أقول: إنه نوع من التربية المكتسبة من الدين والبيئة التي تمجد الدين، كي لا أقول: المحافظة، لأن لفظة المحافظة قد تجرنا إلى نوع من التطرف، وهذا ما نستشفه من هذه الأبيات لابن رحمون:

وأنـا كمثلك أحسـن التشبيب لَـ
كـنـي نـبـذت سـفـاسـف الخـلـعـاء

فتركت ذاك لمعشر قد أولعوا
وتشبثوا بمطارف الأهواء
زعموا السعادة في فتاة موهت
ومطارف قشب وفي الصهباء[٢٣]

ويقول أيضا في قصيدة «حنين العفة»:

أهوى الجمال وتُصْبيني مناظره
مالم تدنسه كف الآثم الجاني
إني امرؤ صاغني الرحمان من صغري
أقدس الحسن في سري وإعلاني
لولا الجمال الذي بالوجد كهربني
ماكنت أفنيت في التغريد ريعاني
لكن لي همة لم ترض لي بهوى
يجر لي ندما أو وخز وجدان
والناس إن كان لفظ الحب يشملهم
فهم بحكم الهوى العذري ضربان
هذا هواه ميول الجسم تدفعه
وذا شريف شريف القصد روحاني

شعر الرثاء

إذا كان هذا الموضوع قد استبعده الهادي السنوسي من كتابه «شعراء الجزائر في العصر الحاضر» مبررا موقفه بتعداد المناقب التي قلما يصدق فيها قائلها، فإن شعراء الإصلاح لم يبعدوه وإنما عرفوا من يرثون، ليس الأقارب وذوي الرحم، إنما رثوا إخوة الروح من العلماء والمصلحين مثل:

عبدالحميد بن باديس

محمد بن أبي شنب، وحافظ إبراهيم، وأحمد شوقي، والأمير خالد، والإمام محمد عبده، وشكيب أرسلان، وجمال الدين الأفغاني، وعبد الحميد بن باديس لأن هؤلاء وأمثالهم يمثلون الأسس والأعمدة التي ترفع الحضارات، يرثون فيها القيم والمبادئ التي يحملونها وعاشوا من أجلها.

وهذا ابن رحمون يرثي ثلاثة من شهداء المغرب الإسلامي الذين لقوا حتفهم بعد سقوط الطائرة التي تقلهم سنة١٩٤٩ وهم الدكتور: لحبيب ثامر، ومحمد بن عبود، وعلي الحمامي، يقول:

شهداءَ الحق مُتُّمْم ميتةً
يتمناها الملوك العظما
أودع الرحمان فيها آية
من معاني المجد تغذو الهمما
وعلى الدنيا تراءت فلكا
من مساعيكم يباهي الأنجما[٢٤]

أما عبد الحميد بن باديس فقد رثاه أكثر من شاعر لما له من مكانة علمية وأدبية ودينية في الأوساط العامة والخاصة، وفقدانه يعد خسارة للعالم الإسلامي أجمع. ويقول زهير الزاهري في قصيدته: «إلى روح بن باديس»

سائل التاريخ عن عبد الحميد
بن باديس أو الشيخ الفقيد
يوجب التاريخ أنا أمة
تنشئ الأبطال من عهد بعيد
إن أعلام العلا من نسجنا
وعلى هامتنا خفق البنود
وهلال النور منا يرتوي
بدماء من جريح أو شهيد
هذا زمان للبطولات التي
خلدت بالوحي في الذكر المجيد[٢٥]

محاربة الطرقية:

لما حل الاستعمار ببلاد الجزائر، قام بدراسة للمجتمع من جميع زواياه وتعرف على الذهنيات السائدة، وأدرك أنها تنجذب إلى الغيبيات وتنقاد إلى المشايخ، وتعلن خضوعها وولاءها له، فشجع هذا الجانب بعد أن طعمه بما يخدم مصلحته، فتعلق أفراد الشعب بالأشياخ، وقدسوا الأولياء لجهلهم وسذاجتهم «ووقفوا المدح على قداساتهم وكراماتهم بعد أن كان في مدح الرسول ﷺ.

وكان الانحطاط الفكري قد عراهم من كل أصالة في التفقه(...) وأصبحت العلاقة بين الشيخ والأتباع شبه تعبدية لا مجال فيها لإعمال العقل»[٢٦].

واستغل المستعمر هذه الفرصة ودخل الحصن بمساعدة من هم بداخله، وتمكن من الإسلام باسم رعايته ورعاية الأولياء والمناسبات الدينية، وسار السذج والجهلة بأمر دينهم في هذا الطريق ظنا منهم بأنهم يخدمون دينهم، وإذا بهم ينحرفون عن جادة منهجه، فقيض الله من ينصر دينه بالكلمة الطيبة الفصيحة، خطابة ونثرا وشعرا وتوجيها، بل ومقاومة في كثير من الأحيان على كافة الأصعدة، وسنذكر أمثلة لذلك.

ووصل الحد بالطرقيين المزيفين إلى استعمال العنف السياسي لإيقاف الصحف كالبرق[٢٧]، والجسدي كالتعدي على الإمام بن باديس قصد التخلص منه نهائيا وقتله حتى يصفو لهم الجو الوثني.

لقد ظن عامة الناس -والسذج خصوصا- أن الشيخ هو بمثابة الرب «يعطي ويمنح، يقبض ويبسط، هو منبع كل خير، ومصدر كل شر. وتفشت إثر ذلك بدع وأباطيل شوهت وجه الإسلام وسودت وجه البشرية»[٢٨].

وقد اعترف العديد من الأدباء الذين أنقذهم المعهد الباديسي بعد الدراسة فيه بأنهم كانوا ضحية هؤلاء المدمرين لدينهم المفسدين لعقيدتهم الناشرين لوثنية ما أنزل الله بها من سلطان.

محمد الهادي السنوسي

يقول الجنيدي أحمد مكي: «كم قضيت من الليالي الطوال في سرد أخبار وكرامات من نعتقد فيهم الصلاح!(...) أما عن زياراتي للأضرحة وتقبيلها والتوسل بأحجارها وما على توابيتها من الرياش وترابها لا تسأل»[٢٩].

وقال محمد الهادي السنوسي عن نفسه: «كنت قبل صحبتي لهذا الأستاذ الإمام-(يقصد بن باديس)- ولوعا بأباطيل الخرافيين من الطرقيين، راسخ اليقين في الإيمان بطواغيت الدجالين، ولقد أصبحت والحمد لله حر الضمير والعقيدة والفكر، راسخ اليقين في أن الإسلام هو ما جاء به محمد ﷺ، لا التصوف وما يدعيه الصوفيون»[٣٠].

ولما عاد الشيخ الطيب العقبي من أرض الحجاز، وقف للطرقية والطرقيين بالمرصاد، وسد عليها كل المنافذ، وحاربها بكل ما أوتي من بيان وفصاحة، شعرا ونثرا. واستطاع أن يبرز كالشعلة في الليلة الظلماء فاهتدى به أولو الألباب، لما يملك من قوة الإقناع، ومن حجج دامغة، وبرهان مستمد

من الذكر الحكيم والسنة النبوية الشريفة. وبذلك استطاع وإخوانه في الحركة الإصلاحية إنقاذ المجتمع وإعادة الفاعلية له، وأذكوا في الشباب روح الوطنية المبنية على الإسلام والعربية.

واللافت للانتباه أن الطيب العقبي كان عنيفا في بداية مشواره حين أعلن الحرب على الطرقيين ولم يهادنهم أبدا وأشعاره تعكس ذلك بقوة. وهاهو يفتخر بمحمد السعيد الزاهري أحد الفرسان الذين أعلنوا الحرب على الطرقيين فيقول:

يسائلني أهل الغواية من فتى
أغار عليهم عامدا في مقالتهْ
ومزقهم في الناس شر ممزق
وصيرهم أضحوكة بكتابته
فقلت لهم يا قوم لو تعرفونه
عرفتم فتى يشتد عند إرادته[٣١]

إن هذا المدح وهذا الوصف الكامل للزاهري هو دعامة وسند له في محاربته للدجل والزور والبهتان وكل الآفات المتعلقة بالخرافة والأباطيل التي أنيطت بالدين، أو حيكت له عن جهل، أو بدعم من السلطات الإستعمارية.

ولم يتوان الطيب العقبي أو يتقاعس لحظة واحدة في كشف هؤلاء الدجالين، ووصفهم بالكفر والمارقين والشياطين، وبأنهم رؤوس الضلال، وأن سلوكاتهم باطلة ومزيفة:

أئمة كفر مذ قديم بأرضنا
ومثلهم من بالهداية يكفر
شياطين إنس خادعون بإفكهم
رؤوس ضلال للزهادة أظهروا
يقولون هم أهل السلوك بطُرْقهم
وما هم عليه باطل ومتبر
وكم فعلوا الفحشاء سرا وجهرة
وعنهم قبيح القول يروى ويؤثر
فراعنة ما بيننا قد تألهوا
وقد هودوا الأتباع منا ونصّروا
وكم فرقوا الاسلام بين اجتماعه
ولكنهم في غيهم قد تجمهروا
وكم تركوا الطاعات وارتكبوا الخنا
وقالوا لمن ينهاهم الله يغفر[٣٢]

في هذا النص يكشف الشاعر درجة الانحطاط الخلقي والانحراف الفكري ونشر العقائد المخالفة للدين، بل وتزييفه من قبل الطرقيين، وأصبح الناس «يعتقدون في شيوخ المرابطين على أنهم واسطة تقربهم إلى الله، وصاروا لا يصلون ولا يخشعون إلا بين أيدي من يتبركون بهم، ويشحون في إخراج الزكاة ويتسابقون إلى الوفاء بما ينذرون للمزارات والمقامات، ويصومون رمضان لا على أساس الحجة الشرعية في ثبوته وانقضائه ولكن على أساس رؤسائهم الروحيين من المرابطين والطرقيين»[٣٣].

الشيخ الطيب العقبي

ومكث العقبي سنوات عديدة يجادلهم ويذكرهم بالآيات القرآنية وبمختلف الحجج الدامغة المستندة على القرآن والسنة وإن عجزوا في الرد فإن الشيخ قد أفلح في إيقاظ الوعي لدى الشباب وخاصة المتعلم واستطاع أن يؤثر في الكثير من الأباطيل وأن يكون له أنصار بفضل استقامته وتدينه ووضوح أسلوبه، وهو القائل:

وجادلتهم بالواضحات مبينا
طريق الهدى وما به الدين يأمر
وقد عجزوا إذ لا دليل لديهم
وليس لهم في موقف الصدق مخبر
فقلت هلموا واسمعوا لمقالتي
ومن سنة المختار لا تتنكروا
خذوا من كتاب الله أبلغ حجة
وقول رسول الله دين محرر

إن الشعر هنا لم يعد ذلك المعبر عن مكنونات الذات أو عن تفريغ شحناتها المكتنزة أو المكبوتة. وإنما أصبحت له وظيفة ليست إبلاغية أو بلاغية فقط، إنما هي توجيهية إرشادية، بل تأطيرية وتربوية، ولذلك فهو «سلاح من أسلحة الفكر الإصلاحي؛ الأمر الذي جعل منه أداة لنشر المعاني الإصلاحية فنشأ ما أطلقنا عليه شعر الدعوة، دعوة إلى النهوض، إلى العلم، إلى اليقظة، وأخيرا دعوة إلى رفض الفكر الغيبي الذي لاسند له من الكتاب والسنة»[٣٤] ■

الهوامش:

(١) الشهاب، ج٢، م٦، مارس١٩٣٠، ص١٢٦.
(٢) محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، ط١، ١٩٨٥، دار الغرب الإسلامي، ص٧٢.
(٣) م نفسه، ص٤٦.
(٤) أحمد الكحل، ما هو الشعر، جريدة النجاح، ع٨٢٨، ٢٠مارس ١٩٢٩.
(٥) محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، ص٦١.
(٦) ينظر المرجع السابق، ص٥٩، قصيدة ألقاها في المؤتمر الخامس لطلبة الشمال الإفريقي المنعقد بتلمسان في سبتمبر ١٩٣٥، ونشرت بجريدة الأمة، ع٤٣، (١٩٣٥/٩/٢٤) .
(٧) ينظر المرجع السابق، ص٦٨.
(٨) د.صالح خرفي، رمضان حمود. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٥م، ص١٠١.
(٩) نفسه، ص٩٧.
(١٠) محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ط٢، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٥م، ص٩٧ .
(١١) نفسه، ص٢٠.
(١٢) ينظر: نزار قباني، الشعر قنديل أخضر، منشورات نزار قباني، ص٦٣.
(١٣) د.صالح خرفي، رمضان حمود، ص١١٧و١١٨.
(١٤) محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص٦٧
(١٥) نفسه، ص٦٧.
(١٦) نفسه، ص١٧
(١٧) نفسه، ص٦٥.
(١٨) نفسه، ص ٦٥.
(١٩) محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج٢ ، ١٣٤٥هـ ١٩٢٦م، المطبعة التونسية، ص١٤٤.
(٢٠) نفسه، ج١، ص١٠.
(٢١) عن الدكتور كمل عجالي، الطيب العقبي أديبا، مخطوط أطروحة دكتوراه دولة، جامعة باتنة ١٩٩٧/١٩٩٨م، ص١٤٢.
(٢٢) نسخة التواتي بن المبارك (مدير مدرسة متقاعد).
(٢٣) ابن رحمون.الديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٠م، ص١٣٧.
(٢٤) نفسه، ص٦٦.
(٢٥) نسخة التواتي بن المبارك، مخطوطة بالآلة الراقنة.
(٢٦) د.صالح خرفي، شعر المقاومة الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص١١٧.
(٢٧) ينظر الدكتور محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، من١٨٤٧ إلى ١٩٣٩م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر، ص٨٥ .
(٢٨) ينظر د.صالح خرفي. شعر المقاومة الجزائرية.ص١١٨
(٢٩) محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، الجزء الأول، ص٩٩.
(٣٠) نفسه ص١٨٦.
(٣١) البرق، عدد٥، ٤ أفريل١٩٢٧م.
(٣٢) البرق، ع١٢، ١٩٢٧/٥/٢٣ م.
(٣٣) بوالصفصاف عبد الكريم.. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية. ط١.دار البعث. قسنطينة ١٩٨٠م، الجزائر .
(٣٤) الدكتور. عبد الله الركيبي.الشعر الديني الجزائري الحديث.ط١. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ١٩٨٢م، ص٥٧٢و٥٧٣.

الأطلال المُخلَقة

إسماعيل مصطفى إبراهيم - مصر

طمس الطلولَ تقادم العهدِ ... مهجورة عقدا على عقدِ

أطلال أقوام مكارمهم ... مثل الفصاحة في بني سعدِ

أطلال أخلاق ومكرمة ... قد أخلقتها قلة الردِّ

أطلال أجداد ومعتقدِ ... نسبي إليه، ومن بني جلدي

أطلالها أوحشن زائرها ... وأهجن فيه حنين ذي ودِّ

يشتاق أن تحيا مرابعها ... حتى تعود كسابق العهدِ

معمورة بالدين ساحتها ... منحازة للمُلك والمجدِ

لكن ديار الزور عامرةٌ ... ويؤمها الزوار من بُعدِ

يتصاحبون، وكيف صحبتهم ... وكثيرهم من مخلفي الوعدِ

لا يصحبون سوى مصالحهم ... يضعون فيها الخدَّ في الخدِّ

فإذا انقضت فكأنما نُقِضَتْ ... تلك المودة عند ذا الحدِ

لما رأيت الناس أكثرهم ... يتصاحبون بكاذب الودِّ

ورأيت بعض الناس يحفرُ لي ... قَصْدَ الأذية حفرة تردي

من دون أي إساءة سلفت ... من غير عمدٍ أو على عمدِ

ويقول: أنت الحِبُّ أنصرهُ ... والصَّدْرُ ينفثُ منه بالحقدِ

وإذا رأى الأحزان قد نزلت ... في ساحتي، وبكيتُ من وجدي

أبدى الشماتة غيرَ مكترث ... ماذا يُصيبُ الشامتُ المُبدي

جنبت نفسي سوء صحبتهم ... وجعلت أكثر مجلسي وحدي

قصيدة القبو الزجاجي مرثية شعرية مطولة جاءت في صورة رسالة وجهها د.صابر عبد الدايم إلى السلطان العثماني العظيم «محمد الفاتح» وألقاها في مؤتمر رابطة الأدب الإسلامي العالمية الثامن في مدينة إستانبول في ١٣ من أغسطس عام ٢٠٠٨م.

وتتكون الرسالة من أحد عشر مقطعا، تضم هذه المقاطع أكثر من مائة وستين سطرا شعريا.

القبو الزجاجي

مرثية أمة ودعوة لابتعاث أمجادها

للدكتور صابر عبد الدايم

وهي تماثل تلك الرسائل الشعرية الكثيرة، الحافل بها تاريخنا الأدبي خاصة في مراحله المفصلية والمصيرية والتي ناشد فيها الشعراء وأهابوا بالزعماء والقادة التاريخيين – أن ينتفضوا لإغاثة الأمة، ويهبوا ذودا عن حياضها وصيانة لعقيدتها وأرضها ضد قوى الظلام والطامعين من حلف البغي والعدوان.

ولا غرو، أن توقيت الرسالة ومناسبتها كان مفروضا وسط هذه الظروف شديدة الوطء التي تمر بها الأمة، وربما كانت من أسوأ ما مرت به من مراحل في تاريخها الحديث والمعاصر، وأشد حقبه تدهورا، وأظهرها ضعفا وهوانا، وهي في غنى عن أن تذكر بانتكاساتها المتداعية وانهياراتها المتتالية، فهذه المآسي والنكبات يعيشها ويدركها القاصي والداني، وآخرها كان هولوكست الإبادة الصهيوني في غزة، ومن قبله في قانا وجنوب لبنان وجنين وغيرها.

أحمد رشاد حسانين - مصر

وحرب الإبادة الأخيرة في غزة كانت بجرائمها ومواقفها المخزية

على مـرأى ومسمع من الأمـة والعالم بأسره، هذه الحرب الظالمة جرت أحداثها الدامية بعد إلقاء هذه المرثية ببضعة أشهر، وكأن الشاعر كان يتوقع المزيد من الآلام، والآتـي من الانتكاسات في زمـن انهيار وسقوط طال وتوحش وامتد.

ومقاطع المرثية / الرسالة مفعمة بعاطفة من الأسى والحـزن العميق ومشاعر كثيفة من الرثاء، ممتزجة بتطلع وحنين جارف إلى استعادة مجد الأمة وهيبتها وصفحة وجهها الناصع، وهذا اللون من الشجن الوجداني يسري في جسم الرسالة وبنائها الشعري ألفاظا وتراكيب، صورا وموسيقى.

مفتتح حزين:

يفتتح الشاعر مقاطع المرثية بنـداء للسلطان العظيم فيه تعظيم وإشادة بقوله:

«أيها الفاتح» والشاعر بهذا النـداء يحـاول أن يستجمع قدر طاقته – كل ما يرتبط بالفاتح من معان وما يتصل به من أمجاد ليصنع مفارقات كثيرة ويستحضر أحوالا شديدة التباين بين سيرة الأمة المستدعاة مع نداء الفاتح من جهة وواقعها الأليم الباعث على الرثاء والمفجر للأحزان من جهة أخرى.

ملامح لزمن الضياع:

وفيما يشبه تقاليد التعديد في ريفنا المصري، أو ما يماثل ملاحم رثاء الممالك والدول في أدب الأندلس «فردوس الإسلام المفقود» – تتوالى المقاطع الشعرية تشير إلى واقع الأمـة في سطور متتالية، ولما كانت أوجاع الأمة كثيرة وأوصابها عديدة، لذا فإن السطور تومئ ولا تفسر، تجمل ولا تفصل:

أيها الفاتح.. ضيعنا مفاتيح المدائن!
ونسينا البحر والموج وتهليل السفائن!
ونسينا الخيل والرمح وأسرار الكمائن!
سورة الفتح هجرناها وبددنا صداها!
وتراءت في حنايانا أنينا وحنينا!
كل أشجار الفتوحات أراها
عاريات من رؤاها

سيوف حبيسة ومضيعة:

وما دامت الأمة قد هجرت سورة «الفتح» ونسيت «الخيـل والـرمـح»، صـارت رمـوزهـا مجـرد ذكـرى، وأسيافها معطلة حبيسة المتاحف والمزارات، موضوعة في أقبية زجاجية كآثار سياحية ومراسيم ضيافة:

هذه أسيافهم مثلومة تنعى إلينا
حدها المغتال في جوف القبور!!
أيها الفاتح أمسى السيف ظلا
ووشاحا ساكنا فوق الصدور!!
إنه أضحى بقصر الحكم مرسوم ضيافة
إنه أصبح نقشا فوق جدران الطلول
كل من يشهده
يقرأ في جبهته عصر روايات الأفول

مأساة دار الخلافة:

والشاعر إذ يقف أمام القبو الزجاجي في داخله يرقد سيف الفاتح العظيم، وبجواره سيف الإمام علي «ذو الفقار» يأتي مجردا، مثقلا بالأحزان، لا يملك بين يديه وفي وجدانه إلا هويته الإسلامية التي يرتفع صوته بها معلنا عقيدة التوحيد، لائذا بها، متشبثا بنورها وأصالتها، فهو لم يعد يحوز سواها، وهو إذ يدخل قاعة «آيا صوفيا» حيث الآثارات والرموز، يقدم نفسه بنسب العقيدة وآصرة القربى الإسلامية للفاتح العظيم، ولكنه لا يجد سوى أشلاء من العهد الطعين، ورائحة من أطلال تاريخ وأشباح رجال، ويتذكر الشاعر قصيدة شوقي في كمال أتاتورك:

د. صابر عبدالدايم

الله أكبر كم في الفتح من عجب
يا خالد الترك جدد خالد العرب

ويتساءل: أي فتح ذاك الذي خدع فيه أمير الشعراء؟! لقد كان فتح شؤم على الأمة، وضياعا للخلافة، وطمسا لوجهها الناصع الذي كان يتألق في الآفاق، ويتراقص متباهيا على صفحات البسفور.

ويصحح الشاعر بعض المقولات التي راجت عن أتاتورك، ويوضح الجرائم التي ارتكبها في حق المسلمين:

فلقد ألقى بماء النار في وجه الخلافة
شوه الوجه السماوي الجميل
جعل البسفور ملهى
للعرايا
فيه يسبحن ويعبرن مضيق الدردنيل
سفن الفتح
ويا للفتح! أحالوها مواخير سكارى العابثين

أبو أيوب فوق أسوار القسطنطينية:

وينصرف الشاعر عن صورة أتاتورك القبيحة، ويستدعي صورا أخرى كصورة محمد الفاتح، والصحابي أبي أيوب الانصاري وهو واقف يكبر على أسوار القسطنطينية، هذا التكبير الذي حملته رياح التاريخ العظيم إلى آذان محمد الفاتح فكان محفزا لفتوحاته، وملهما لانتصاراته.

ويشتكي الشاعر إلى القائد الفاتح العظيم ما حل بـ «إسلامبول» التي غزاها الجراد ومسجد «آيا صوفيا»، الذي أضحى متحفا وصار شيخا محطما تعصف به رياح العقم، ويستدعي مأساة التغريب والعلمانية وما جلبته علينا من مآس وجرائم يشيب لهولها الولدان في «سراييفو»، و«بيهاتشي» في «أبخازيا»، وفي «الشيشان»

المجاهدون أمل الأمة:

وبعد أن يفيض الشاعر في تذكيرنا بجرائم الصرب والروس في بلاد البلقان وآسيا الإسلامية، ينبئ الفاتح العظيم بالنبأ العظيم والأمل الكبير المتمثل في تلك الحفنة من المجاهدين التي صدقت ما عاهدت عليه الله، فهم الفئة الوحيدة الرشيدة، وهم الفئة التي تحيي مواتنا بالشهادة، وتبعث من رماد العدم شرارة الحياة والخلود:

إنهم من شجر النار يجيئون
إنهم ضوء التجلي
والخيول العاديات الموريات.
إنهم أحفادك الغر الميامين
يقودون سباق الشهداء

عود على بدء:

وكأن الشاعر ابن واقعه وزمنه لا يريد أن يستنيم للحلم، أو تأخذه الآمال السكرى والرؤى الحالمة، فيأبى

إلا أن يعود إلى الفاتح معيدا في حركة دائرية المشهد الأول ومكررا إياه، واضعا يده على أوجاع الأمة لعل الألم يبعث في جسد الأمة المسجى بنبض الحركة، وعل دموع الشاعر الساخنة وآهاته الحارة تبعث فيه دفء الحياة وحرارة العزة والنخوة.

ظواهر أسلوبية وجمالية:

١- تنطلق الرسالة بداية من رؤية وموقف جمالي إسلامي، ونقصد به ذلك التعبير الفني المؤثر النابع من الذات المؤمنة، المترجم عن الحياة أو الإنسان أو الكون وفق الأسس العقائدية للمسلم، والباعث للمنفعة والمتعة، والمحرك للوجدان والفكر، والمحفز لاتخاذ موقف أو تعديل رؤى.

٢- من المنطلق السابق تبدو الرسالة مفعمة بالروح الإسلامية، متأثرة بالتعبير القرآني الكريم حيث «سورة الفتح»، و«الصافنات الجياد»، و«الخيول العاديات الموريات»، و«واد غير ذي زرع»، وكذلك الرموز من الشخصيات والبقاع التاريخية الإسلامية مثل: إستانبول، وآيا صوفيا، وبيهاتشي، والشيشان، والشخوص مثل: خالد، والفاروق، والإمام علي، وغيرهم.

٣- يتردد نداء «أيها الفاتح» في الرسالة أكثر من عشر مرات.

٤- يتراوح بناء الجمل في تساوق وتوازن بين الصيغ الاسمية والفعلية، ويكثر تردد الفعل الماضي في مواضع التداعي التذكري والرثاء، والمضارع يأتي غالبا في جمل خبرية واصفة للحال الراهن ومآسيه، وهو المقصود من المرثية، حيث تقف على الحاضر وهي تسلط عليه أضواء الماضي بغرض المقارنة والمقابلة، ومن ثم الإثارة والتحريك.

٥- الأساليب الإنشائية تقل في الرسالة عن الخبرية، والقليل منها للتعظيم والإشادة مثل «أيها الفاتح»، أو للحث والحفز مثل: «أقبل»، و«انزع السيف» .

٦- تكثر صياغات الصور الفنية خاصة الكنايات الموحية المحملة بالدلائل في دقة وإيجاز مثل «نسينا الخيل والرمح»، و«سورة الفتح هجرناها»، «نسينا الموج وتهليل السفائن». كما تلتمع في الرسالة صور مركبة جميلة مثل قوله:

أعود حاملا في القلب مشكاة حزينة
ضوؤها الدري من نيران أشلائي تمتاح الوقود

أو قوله عن ضحايا البوسنة وهم يبادون:

شهدوا أعضاءهم تسقط من أجسادهم

٧- الموسيقا الصادرة عن تفعيلات الأسطر الشعرية، تتراوح إيقاعاتها بين أنصاف الأبحر التي تطول بنغمة الحزن العميق الممتد، أو تلك الصادرة عن مجزوءات البحور في إيقاعات سريعة متتالية في حالات الاستدعاء المثال بصور ماضي الأمجاد، أو حاضر ضحايانا في البلقان.

وتتآلف الموسيقا الخفية في الرسالة / المرثية من انصهار عاطفة الشاعر الدينية بأفكاره وتعابيره وصوره متجهة صوب المتلقي، ليقف بها لحظة مثيرا بها الوجدان، متأملا بها الحاضر، حيث يحتاج الظرف منا إلى كل جهد مخلص، وإبداع أصيل، وهوية أصيلة ناصعة لمواجهة عالم صار الصدام ونفي الآخر فيه شعارا ومبدأ ■

إشراقة عند الغروب

إحسان ديار بكرلي - الجزائر

لقد آن أوان الهجرة، ولقد امتلأ قلبي بالأماني عن بلاد ووديان وجبال مكسوة بأشجار الصنوبر، وسهوب مغطاة بالعشب والياسمين، وسهول تتمايل في جنباتها غراس اللوز والسنديان .

حلَّقتُ ورفاقي في السماء، وقلبي يخفق مردداً لحن السعادة والفرح، وقطعنا مسافات ومسافات متحملين المشاق والتعب والألم.

لقد وصلنا، يا إلهي! إنه مكان متألق أكثر مما كنا نتصور، إنه أكثر ضياء مما كنا نحلم، طوَّفنا حول الجبال، وهبطنا الوديان، وشربنا من الينابيع والأنهار، وارتشفنا من النقاء والطهر، وبقينا محوِّمين في السهول المترامية؛ صاعدين هابطين، نحلق وقد غاب عنا الشعورُ بالزمان والمكان، ننتظر كلّ يوم بزوغَ الشمس قبل الأوان، مشتاقين إلى الفجر، ومتطلعين إلى الأفق ننادي الشمس: ياشمس أقبلي فنحن مشتاقون إلى التحليق والدوران.

قطراتُ الندى تنادينا من فوق أوراق طرية وتهتف بنا أن نكفَّ ونهدأ، ولكن هيهات، فما كان بمقدورنا ونحن في هذه الجنة أن نتوقف عن الانطلاق والقفز مرفرفين بأجنحتنا فوق الأشجار وبين الأغصان.

في الصباح نستيقظ ونترقب بزوغ أول خيط من ضياء، فتشرئب إليه أعناقُنا، ويتلهف إليه الفؤاد، آملين رؤية الضياء وهو يبسط جناحيه على قمم الجبال والوديان لننهل من هذا العبق كلَّ ما لذَّ وطاب.

وحلَّقنا مع أول خيط من الضياء فوق السهوب الرائعة، وفجأة لمحتُ بين الحقول وردةً تميس في خيلاء، ناديتُ أصحابي: إني رأيت وردة تختال في بهاء ودلال.

لكن رفاقي لم يلتفتوا إليَّ وابتعدوا عني لاهين فرحين بعالمهم، أما أنا فقد وجدت نفسي مشدوداً إلى هذه الوردة، ووجدت نفسي أحوم حولها في دوران لا يفتر ولا ينقطع، أتأمل رشاقة قدها، وأتنسم عبيرها، وأشمُّ عطرَها الفوَّاح، ووجدت كياني منصرفاً عما حولي، مستغرقاً في فردوسي البهيج.

عند المساء عدتُ مع أترابي مضطرب الفؤاد، وكلي أمل في أن أعود إليها مع سطوع أول خيط من صباح الغد الباكر. لقد عدنا جميعاً، لكنني عدت مولَّه الفؤاد، أتحسس في أنفي وفي رئتيَّ عطر شذاها، فما نسيتُ أريجَها الذي عبقت به السماء، ناديتُها من الأعماق، فردَّت عليَّ النداء، ناجيتها حتى غرقت في بحار الليل المظلم مستسلماً لأحلام رائعة ونوم لذيذ.

بعدها، وفي كل صباح كنت أعود إليها وأبثها ما بي من لوعة، وأنني أخشى أن تنقضي هذه الأيام الجميلة، وأفضي إليها بخوفي من أن يحين موعد الفراق، فإنني لا أقوى على البعد عنها، ولا أستطيع تحمل حرقة ذلك الوداع.

ولكن وردتي أجابتني بصوتها الذي خنقته العبرات: اذهب يا مؤنسي فإن الشتاء قاس هنا، إنه لا يرحم مَنْ هم في مثل حالي وحالك من البسطاء والضعفاء.

ولما تزايدت وطأة البرد واشتدت الحاجة إلى الرحيل اجتمعت أسراب السنونو، وحان وقت الرحيل والفراق، فطرتُ إلى وردتي وحلقت فوق روضتها مودعاً لألحق بالركب المنطلق إلى بلاد الشمس المشرقة والحرارة والدفء، ونظرتُ إلى وردتي فوجدتُ أكمامَها قد اشرأبت إليَّ.

توقفتُ وتهاويتُ، وتركتُ القافلةَ تمضي، ولم ألحق بهم، وظللتُ أحوم وأحوم حولها ومشاعري تختلط فيها أحاسيس شتى من الفرح والمحبة والتضحية والوفاء، وقد خبأتْ وردتي دهشتَها مقدرةً فيَّ معاني المودة والوفاء والإباء.

لقد أخذت الأيام السعيدة تمضي وأنا أنشد لها لحن الحياة، وعندما تهب الرياح والأمطار كنت أرفرف فوقها لأحميها، وعندما يداهمها البرد القارس أغطيها بجناحيَّ لأوفر لها الدفء والحب والحنان، وعندما تهاجمنا العواصف العاتية والأعاصير أبسط فوقها كل جسمي وخفق قلبي لأردَّ عنها أي أذى قد يصيبُها أو يصيبُ أوراقَها الملونة الجميلة التي تهتز في اضطراب وخفقان، لقد صبرتُ وعانيتُ حتى رقَّ جسمي، ونحلَ عظمي.

يالفرحتي! إنها أسراب السنونو تعود مع الربيع القادم الجديد، لقد تحقق الرجاء، فهاهي ذي العصافير التي غادرت وتركتني وحيداً مع وردتي الجميلة عادتْ إليَّ فخورة بي، تهنئني على صبري ووفائي، وتتوجني أميراً عليها، لقد حوَّمت معي فوق وردتي مزهوةً بي، وما زلتُ أحوِّم وأحوِّم معها، والضعف والإنهاك يقتاتان من لحمي وعظمي حتى سقطتُ على أوراق وردتي والدم يتفجر من عروقي فوق أوراقها الزاهية، وينساب من بين أغصانها وفروعها الضعيفة، ويتجمع الدم عند جذوعها وجذورها ليسقيها عصارة قلبي، وناديتُ:عزائي أنني أحييتُ لك يا عزيزتي ربيعاً ثانياً، فالوداع الوداع ■

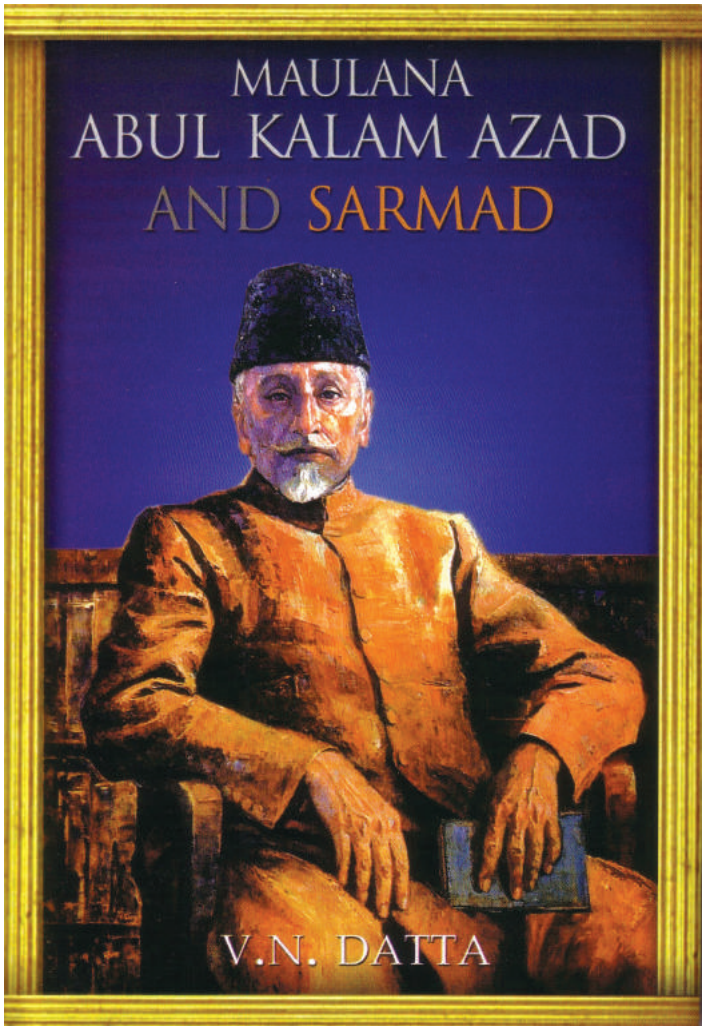

زاد اهتمام الباحثين هذه الأيام بدراسة الأدب العربي في شبه القارة الهندية، وصدرت دراسات مختلفة عن شعراء الهند وأدبائها ممن كتبوا بالعربية شعرا ونثرا في موضوعات قد تكون تقليدية، بعد أن وضع أدباء الهند أمامهم نماذج من الشعر العربي كانت متداولة في الهند، لكن ما يهمنا هنا هو استشهاد أدباء الهند بالأشعار العربية في كتاباتهم باللغة الأردية.

شواهد الشعر العربي في الأدب الهندي

أبو الكلام آزاد نموذجا

د. سمير عبد الحميد - اليابان

ونضع أمام القارئ نموذجا فريدا من نوعه هو الأديب الهندي «أبو الكلام آزاد» الذي نال اهتمام الدارسين العرب، فكتب عنه الدكتور عبد المنعم النمر كتابا ضخما بعنوان «أبو الكلام آزاد» ، وصدر عنه العديد من البحوث والدراسات بالعربية وغيرها.

ولد أبو الكلام آزاد بمكة المكرمة لأب هندي وأم عربية حجازية، ووصل إلى الهند مع أبيه سنة ١٨٩٨م وعمره لا يتجاوز العاشرة، وحين شب عوده برع في الآداب الشرقية وأصدر أكثر من صحيفة باللغة الأردية كانت عناوين معظم مقالاتها الأردية باللغة العربية.

تعرض للسجن أكثر من مرة، ومن داخل السجن كتب رسائل أدبية إلى أحد أصدقائه جمعت وصدرت في كتاب بعنوان «غبار خاطر» أي خواطر، أو شذرات خاطر، ومن رسالته التي كتبها في أغسطس ١٩٤٥م ما يلي:

«كنت أبحث في سوق الحياة عن الكثير من أنواع المقاصد لكني ابتليت بالبحث عن متاع جديد، وأقصد أنني الآن أبحث عن صحتي التي ضاعت. وصلت هنا أواخر الشهر الماضي وبقيت ثلاثة أسابيع ظنا مني أنه يمكنني أن أجد أثرا لصحتي الضائعة، لكن رغم بحثي لم أجد أثرا للمتاع الضائع، وهكذا وصلت إلى «سرينكر» حيث أقيم الآن. إنك لم ترسل الأشعار التي وعدت بإرسالها، لكنك فتحت عليّ كتابا كاملا وعلى كل حال:

(قليل منك يكفيني ولكن
قليلك لا يقال له: قليل)

وبعدها بأيام كتب أبو الكلام آزاد إلى الصديق نفسه رسالة جاء فيها:

«وصلنا إلى أحمد نكر في الساعة الثانية، وبعد ربع ساعة حبسونا في القلعة، والآن هناك مسافة سنوات طوال تحول بين ما كان خارج القلعة في تلك الدنيا وبين ما هو في داخل القلعة في هذه الدنيا ف:

(كيف الوصول إلى سعاد ودونها
قلل الجبال وبينهن حتوف)

وقد استيقظت في اليوم التالي كعادتي في الثالثة صباحا، وأدوات الشاي التي تبقى معي دائما في السفر كانت قد وصلتني أيضا مع بقية أمتعتي.. وهكذا نفخت في الشاي واضعا الفنجان أمامي، غارقا في أفكاري..»

وفي رسالة كان كتبها في أغسطس من عام ١٩٤٢م كتب ما يأتي:

«كان القطار قد مضى بنا وكان اسم «أحمد نكر» يتردد على لسان كل إنسان، لأنهم لم ينزلونا في بلدة «بونا» وهكذا لم يعد في هذا الخط سوى المحطة الأخيرة محطة أحمد نكر... لكن هل ينتهي سفرنا بالوصول إلى أحمد نكر؟! إن سفرنا يبدأ من أحمد نكر، وهكذا تذكرت رغما عني لامية أبي العلاء:

(فيا دارها بالخيف إن مزارها
قريب ولكن دون ذلك أهوال)

ومن العجيب أنني شاهدت كل الأماكن التاريخية في الهند لكن لم يحدث أن شاهدت قلعة أحمد نكر الأثرية، وقد جئت إلى بمباي مرة وعقدت العزم على زيارتها لكن الظروف لم تمهلني..إن بمباي مملوءة بالمناطق والأماكن الخاصة التي ارتبطت أسماؤها بحكايات الثورات عبر القرون... فمن بين معارك أحمد نكر هذه كانت معركة الرجولة والشجاعة التي خاضها عبد الرحيم خان خانان (أحد الأمراء في عهد الإمبراطور أكبر وجهانكير)، وأظهر فيها شجاعة نادرة أمام كثرة جيوش الأعداء، رافضا الاستسلام قائلا: على جثتنا..

(ونحن أناس لا توسط بيننا
لنا الصدر دون العالمين أو القبر)

وأديبنا أبو الكلام آزاد يستشهد هنا بشعر أبي فراس الحمداني، ثم يكمل رسالته هكذا:

«ومن هنا تجددت فجأة ذكريات أحمد نكر بينما كان القطار يسرع يقطع الطريق، يمضي من واد إلى واد، لا يترك أمام أعيننا منظرا واحدا على حاله، بينما كانت أحداث التاريخ تتابع مسرعة على صفحات ذاكرتي..» .

وفي رسالة من داخل سجن القلعة كتب آزاد ما يأتي:

«.. هذه هي التجربة السادسة لي في حياة السجن والحبس، كانت التجربة الأولى سنة ١٩١٦م وبقيت أربع سنوات في الحبس، ثم كانت تجربة سنة ١٩٢١م، وسنة ١٩٣١م، وسنة ١٩٣٢م، وسنة ١٩٤٠م، ثم هذه التجربة.. ووصل مجموع سنوات الحبس الخمس سبع

سنوات وثمانية أشهر... لقد وصلت إلى هذه المرحلة التي تكشفت لي فيها هذه الحقيقة، وهي أن أي صراع بين العلم والدين ليس في الحقيقة صراعا بين العلم والدين، بل هو من صنع من يدعون العلم، ونتيجة تمسك من يدعون التدين بالشكليات دون المضمون، أو أن العلم الحقيقي والدين الحقيقي يمضيان كل منهما في طريقين منفصلين لكنهما يصلان في النهاية إلى هدف واحد:

(عباراتنا شتى وحسنك واحد
وكل إلى ذاك الجمال يشير)

فالعلم يتعلق بعالم المحسوسات، بينما الدين يخبرنا بما وراء المحسوسات، وتتعدد دوائر كل منهما، لكن ليس بينهما تعارض..»

وكتب آزاد يشرح أثر تربية والده في تعوده على الاستيقاظ المبكر لصلاة الفجر وتلقي العلم:

«لم أكن قد بلغت الحادية عشرة من عمري حين تأصلت بداخلي هذه العادة الطيبة، كنت أستيقظ مبكرا، وأوقد الشموع وأستذكر دروسي، وكنت أتوسل لإخوتي حتى يوقظوني إذا ما طلع الفجر.. وهكذا تأصلت هذه العادة في جميع معاملاتي في حياتي التالية فقد:

(أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى
فصادف قلبا فارغا فتمكنا)

إنني أكتب هذه السطور في خلوة عالم الوحدة، أتمتع وأستمتع كثيرا وكأنه لا يوجد من أحد غيري على وجه هذه الأرض في هذه الساعة..»

وآخر ما نشير إليه هنا تلك الرسالة التي كتبها في ٢٩ أغسطس عام ١٩٤٢م يعبر فيها عن قسوة تجربة الحبس في السجن، ومع هذا ورغم حرمانه من الراحة الجسدية فيمكنه أن يقضي حياة مطمئنة هادئة: «.. حالتي هذه المرة تختلف عن حالتي في المرات السابقة، فهذه الحالة رسمت شكلا لحالة أخرى، فجميع الصور في الخارج لم تختف فقط عن النظر لكن الأصوات أيضا انقطعت فجأة، وقد ورد في ذكر أصحاب الكهف (فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا» وهكذا فقد طرأت عليّ حالة الضرب على الآذان تلك، وكأن الدنيا التي كنا نعيش فيها لم تعد هي تلك الدنيا:

(كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر)

وهكذا استشهد أبو الكلام آزاد بهذا البيت لعمرو بن الحارث، ثم كتب يشير إلى حالته هكذا:

«فقد جاؤوا بي فجأة إلى دنيا جديدة، وحبسوني في دنيا مساحتها الجغرافية لا تزيد على مائة ذراع، وعدد سكانها لا يزيدون على خمسة من أشباه الأحياء، وكل صباح تطلع الشمس على هذه الدنيا، ثم تغرب، فتنتشر الظلمة فيها كل مساء، وكما يقول شاعر الأردية:

(لم تعد الأرض هي الأرض، ولا السماء هي السماء)

وجميع هذا يدل على ما بلغه تأثير الأدب العربي في آداب الشعوب الإسلامية، ومنها الأدب الهندي الذي عرضنا منه بعض النماذج التي تدل على ذلك■

صوت من المـــرآة

رفعت المرصفي - مصر

يا قلمي ..
لا تنفر مني
وتوحد بالصدر العاري
هل كان لمثلي
أن يتسلق أشجار اللوز المتنائي
هل كان لمثلي أن يطمع في الثمر
المتعفن يوما
هل كان لمثلي أن يتطاير
فوق دخان الوهم المحترق
المتباكي؟
هل كان لمثلي أن يتحلل
أو يتناثر..
أو يحيا من غير الشدو
ومن غير الحلم
ومن غير عبير الأوراق؟

■ ■ ■

يا قلمي ..
يا لص دمائي
لا تنفر مني
وترفق
فحروفي
ما زالت تخفق
فالحرف ملاذي
ونفاذي
منه أسافر
فيه أسافر
أحمله بين الخفقات
أجدد نفسي..
أحضن روحي
وعلى شطآن البوح
أمدُّ جراحي
أغسلها
يلتئم كياني
وبياني
ويعود العصفور يغني
فوق الوتر المتمزق
لحنا
أشهى من كل الألحان
يا قلمي..
لا تنفر مني
وتوحد بالصدر العاري
ما كان لمثلي
أن يتسلق أشجار اللوز المتنائي
أو يطمع في الثمر المتعفن يوما
ما كان لمثلي أن يتطاير
فوق دخان
الوهم المحترق
المتباكي

المؤدى الفني للشعر الإسلامي
بين الواقع والخيال

شمس الدين درمش

كتب د.نبيل قصاب باشي في العدد (٧٧) من مجلة الأدب الإسلامي مقالا مستفيضا تحت عنوان (المؤدى الفني في الشعر الإسلامي بين التنظير والتطبيق)، تناول في الجانب التنظيري منه رؤية الأستاذ محمد قطب للشعر الإسلامي في كتابه الشهير منهج الفن الإسلامي.

ونعى د.نبيل قصاب باشي في مجمل كلامه ونقولاته من هذا الكتاب على شعراء الأدب الإسلامي حظهم في عدم تمثلهم المنهج الذي رسمه محمد قطب لهم في إبداع شعرهم الإسلامي، وأنهم لم يستطيعوا التخلص من الانزلاق في هوة التقريرية والتكرير والمباشرة.

وقال فيما يشبه تلخيص الرأي في هذا الموضوع: (إن نواتج منهجية محمد قطب الفنية في محصول طائفة من النتاج الشعري الإسلامي مازالت خاوية لم تقدم حتى اليوم حصيلة تجاربها التي ربت على نصف قرن، وليست العلة في المنهجية، وإنما العلة في التقصير أو العجز أو التخلف عن استيعابها وتمثلها، وهذه إشارة إلى

خواء ثقافة بعض المبدعين الإسلاميين الفنية وتقاطعهم مع أدبيات منهجهم الفني الذي بسطه محمد قطب في كتابه.)

أتجاوز نقولات د.نبيل من كتاب منهج الفن الإسلامي في رسم الخطوط العريضة للفن الإسلامي عامة، إذ يعد الشعر أحد المجالات المهمة لهذا الفن، ويحتاج لقدرات ومواهب خاصة لدى الشاعر حتى يصل إلى إبداع يشار إليه بالبنان، ويقارب رضا صاحب المنهج، وصاحب المقال الذي رسم الصورة المثالية للإبداع الفني في منهجه الفني، يتوزع المبدعون في الطريق إلى قمته بدءا من نقطة الصفر في محاولاتهم الأولى، وانتهاء بالقمة التي لن تتسع إلا لقلة من المبدعين في الزمان والمكان والظروف الواحدة!.

وجليٌّ أن د.نبيل انتبه لهذا فاحتاط لنفسه بكلمة (كثير) مثل قوله: (وإن كثيرا من شعراء الأدب الإسلامي لم يفقهوا آلية هذه العدسة التي تفيض أطيافها بشتى ألوان الجمال وظلالها الممتدة..)، وقوله: (إن تقوقع كثير من شعراء الأدب الإسلامي في بوتقة الوعظ المباشر يحجب عن النفس موحياتها..)، وهذا مثل ما أشرت إليه من استعماله كلمة (بعض). وهذا الأسلوب غير التعميمي في حديثه له فائدتان:

الأولى تعود عليه هو في إكساب تقويمه وحكمه النقدي المصداقية، فلا أحد يعترض على وجود ضعف الأداء الفني لدى بعض المبدعين في الأدب الإسلامي، أو وجود بعض من الضعف الفني لدى بعض من المبدعين في الأدب الإسلامي.

والثانية تعود على الأدب الإسلامي عامة، والشعر الإسلامي موضوع المقال خاصة، فهو قد أعطى حكمه غير المباشر بوجود بعض المبدعين في الأدب الإسلامي، أو وجود كثير من

الأدب الإسلامي - ومنه الشعر- قد حقق متطلبات الأداء الفني، أو المنهج الذي رسمه محمد قطب في كتابه منهج الفن الإسلامي، والذي جعله د.نبيل ميزانا أو مقياسا للنجاح والإخفاق الفني لمبدعي الأدب الإسلامي.

أعود إلى المقال فأقول: لقد انتهى د.نبيل إلى صياغة السؤال الآتي: (هل امتثل شعراء الأدب الإسلامي لثقافة هذا المنهج الذي طرحه محمد قطب منذ نصف قرن؟ وهل استطاع مؤداه الفني إثراء الأدب الإسلامي وبلورة نظريته النقدية؟)

ويجيب عن السؤال قائلا: (أزعم أن فريقا كبيرا من شعراء الأدب الإسلامي لم يتمثلوا هذا المنهج خير التمثيل والتطبيق، ولم يستطيعوا هضمه واستيعابه وامتلاك أدواته الفنية وإدراك أبعاده الجمالية، بل نراهم شذر مذر في مؤداهم الفني. ولا ضير أن يكون شعراء اتجاه عريض من اتجاهات الأدب مختلفي المنازع والأهواء في اختيار المؤدى الفني لطرائق أساليبهم الأدبية. لكن العجز والقصور عن تحقيق أدنى معايير الجمال في هذا المؤدى أمر يحتاج إلى بيان واستقصاء).

وفي هذا الزعم ينبغي الوقوف عند عبارة (لم يتمثلوا خير التمثيل والتطبيق)، ففيه أن فريقا صغيرا تمثلوا هذا المنهج واستطاعوا استيعابه وامتلاك أدواته الفنية وأبعاده الجمالية.. وهذا أمر إيجابي يسجل لصالح الأدب الإسلامي. ولكن هل يمكن أن يحقق كل شعراء الأدب الإسلامي هذا المنهج؟ وهل يجوز أن يحمل شعراء اتجاه عريض مختلفي المنازع والأهواء... - وأضيف أنهم مختلفو البيئات والثقافات أيضا- هل يجوز أن يحملوا على هذا المنهج المثالي الذي رسمه محمد قطب

في كتابه؛ ليتمثلوه خير التمثل أو التمثيل والتطبيق!؟ أو نسقطهم جملة وتفصيلا!؟ هل يجوز هذا!؟ أو هل هذا ممكن في عالم الواقع الأدبي العام أصلا، بله الأدب الإسلامي!. هل حصل في عصر من العصور الأدبية أن جيلا بكامله تمثل منهجا أو مفهوما من دون أن يخرموه؟ أسئلة كثيرة تطرح نفسها في مواجهة مثل هذه المطالبة والمحاكمة والنقد:

كم زهيرا في الشعر الجاهلي؟ وكم حسانا في الشعر الإسلامي في العصر النبوي؟ وكم جريرا في العصر الأموي؟ وكم بحتريا ومتنبيا في العصر العباسي؟ وكم شوقيا في الشعر العربي الحديث؟ وكم نزارا في الشعر العربي المعاصر؟ وكم إقبالا لدى المسلمين في الهند وباكستان؟ وكم نجيب فاضل لدى الأتراك؟ وكم أميريا في الشعر الإسلامي المعاصر؟

لماذا جعل ابن سلام الجمحي الشعراء القدماء في طبقات؟ وعقد الآمدي موازنته بين الطائيين أبي تمام والبحتري؟ وتوسط القاضي الجرجاني بين المتنبي وخصومه؟ وشنت مدرسة الديوان الحديثة هجوما عنيفا على أحمد شوقي وحافظ إبراهيم؟ وما دلالة بقاء أشعارهم في دائرة الضوء!؟

الجواب عن هذه الأسئلة يجعلنا نتواضع في مثل هذا الطلب الذي يطرحه د.نبيل وآخرون ممن دأبوا على وصف الشعر الإسلامي بالضعف عامة، وتكرار توجيه التهم إليه بالمباشرة والسطحية والتكرار، وتلمس الأمثلة لذلك – وهي كثيرة- من دون مراعاة الواقع الذي يتوزع الناسَ أينما كانوا من القاع إلى القمة!.

إن الإبداع الأدبي مصبوغ بصبغة الشخصية لا يمكن إنتاج نسخ مكررة منه في الجودة؛ بغض النظر عن

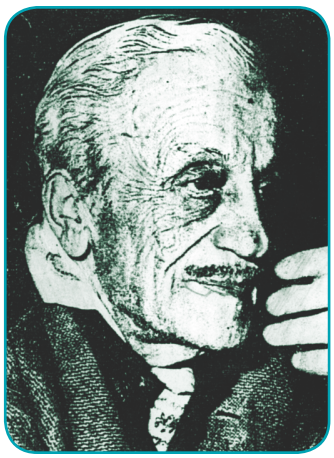

نجيب فاضل

إسلاميته أو عدم إسلاميته، وحداثته أو قدامته. ومثلما نجد أفرادا من الأدباء أو الشعراء استطالت أعناقهم نحو القمة نجد عند هؤلاء أنفسهم تفاوتا في نصوصهم الإبداعية صعودا وهبوطا ومن دون استثناء.

ومن هنا أقول: إن جعل كتاب منهج الفن الإسلامي دليلا لإنتاج أدب إسلامي أو شعر إسلامي يختبر المبدعون على أساسه، وتقاس إبداعاتهم بمقياسه؛ ليس واقعيا؛ لأن معنى ذلك وجوب توفير نسخة من هذا الكتاب مع دليل الاستفادة منه مثل كتاب المعلم ودليله في المدارس؛ لكل من يريد الإبداع، حتى يترسم في إبداعه خطوات المنهج الذي فيه. هل هذا ممكن!؟ هل هذا معقول!؟

وقبل الانتقال إلى الجزء التطبيقي من المقال، والنظر في النماذج التي استشهد بها د.نبيل من مجلة الأدب الإسلامي- أسجل عدة أساسيات في الجانب التنظيري المتأرجح بين الواقع والخيال، فأقول:

نقر جميعا بوجود إبداع ضعيف في الأدب الإسلامي عامة والشعر خاصة، على مستويات متباينة.

إن الجانب الإيجابي في صياغة د.نبيل رأيه، هو تجنبه التعميم في الحكم مثل قوله: (وهو إشارة إلى خواء ثقافة بعض المبدعين الإسلاميين الفنية..) فكلمة (بعض) تتيح لرأيه المصداقية، ليس فقط في المبدعين الإسلاميين، بل في المبدعين عامة، لأن الموهبة الأدبية الفنية قدر مشترك بين الناس، لا يؤثر فيها ثقافة المبدع وتوجهه العقدي والخلقي سلبا أو إيجابا، ولعل هذا هو ما قصده الجرجاني عندما قال: (إن الدين بمعزل عن الشعر.)

أكد د.نبيل في مقاله وجود شعر إسلامي حقق المواصفات الفنية حسب المنهج الذي يحتكم إليه في

كتاب منهج الفن الإسلامي، وذلك من خلال العبارات المتحفظة التي وصف بها الضعف مثل: (إن كثيرا من شعراء الأدب الإسلامي..)، و(إن تقوقع كثير من شعراء الأدب الإسلامي..)، و(..إن فريقا كبيرا من شعراء الأدب الإسلامي..) فهذا التحفظ دليل إقرار بوجود فريق آخر يقابل الأول حقق المنهج المطلوب في الشعر الإسلامي.

إن مطالبة جميع شعراء الأدب الإسلامي، أو غالبيتهم وهم يمثلون (اتجاها عريضا مختلفي المنازع والأهواء) بشعر إسلامي يرتفع إلى قمة متساوية في المواصفات الفنية بمقياس صاحب منهج الفن الإسلامي مطلب خيالي، لا يتحقق في واقع الشعر الإسلامي خاصة، ولا في واقع الشعر عامة. والدليل لما أقول النماذج التطبيقية التي استشهد بها محمد قطب في آخر كتابه، وهم:

عمر بهاء الدين الأميري من الشعر الإسلامي العربي الحديث، ومحمد إقبال من الشعر الإسلامي الأردي الحديث، وطاغور من الشعر الإنساني الهندي الحديث، وبيتان لسكينة بنت الحسين من الشعر الإسلامي القديم لم يجزم المؤلف في الهامش نسبتهما إليها، وقصيدة الأسفار لابن الرومي، وهنا نقطة في غاية الأهمية! هل الاستشهاد للشعر الإسلامي القديم ببيتين لشاعرة لم تعرف بالشعر أصلا، وقصيدة لابن الرومي (فحسب!) كاف لوضع منهج للشعر الإسلامي يحاسبُ به السابقون، ويطالب به اللاحقون!؟

وأقف مع شعر الأميري رحمه الله، فالأميري لم يحقق السمو الفني في شعره بناء على ما ورد من رؤية فنية في كتاب المنهج، وشعره كله ليس من مستوى فني واحد في السمو، من نوع النصين اللذين استشهد بهما

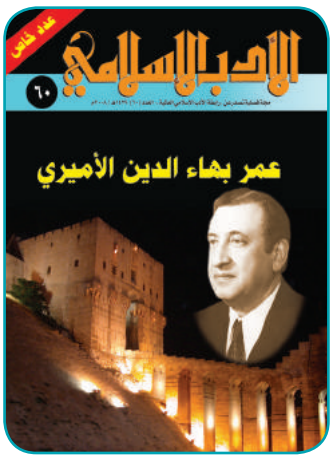

محمد قطب (ذرة، وضراعة ثائر)، ولا من نوع قصيدة (أب) التي قال عنها العقاد: إنها تستحق أن تكون القصيدة الأولى في ديوان الإنسانية!. ولو أن د.نبيل تصفح دواوين الأميري، وانتقى من أبيات قصائدها كما فعل في مجلة الأدب الإسلامي لخرج بالنتيجة نفسها، ولكان الأميري محكوما عليه بالإخفاق في تمثل منهج الفن الإسلامي!.

إن د.نبيل وضع حكما مسبقا أمامه هو (ضعف الشعر الإسلامي فنيا)، وراح يبحث له عن شواهد إثبات في مجلة الأدب الإسلامي فوجد ما يثبت هذا الحكم ويؤيده. ولو فعل العكس، فوضع أمامه حكما هو أن الشعر الإسلامي الحديث حقق مواصفات فنية عالية وتمثل المنهج الذي وضعه محمد قطب في كتابه، وبحث له عن شواهد في مجلة الأدب الإسلامي لوجد أيضا ما يريد من دون أي عناء، وشفيعه في ذلك صاحب المنهج نفسه الذي مثل لمنهجه من شعر عمر بهاء الدين الأميري. والشواهد غير منحصرة في مجلة الأدب الإسلامي، فدواوين الشعراء هي التي تمثلهم.

عمل د.نبيل في اختيار النماذج الضعيفة:

أصاب د.نبيل في التوجه إلى مجلة الأدب الإسلامي لاختيار نماذجه، والحكم عليها، ذلك أن المجلة صارت شعارا لهذا الاتجاه من الأدب، وهي بذلك مظنة تحقيق هذه الفكرة، ونجاحُها أو إخفاقُها يعني الكثير.

والمجلة كما أنها لا تدعي تحقيق المنهج الفني تحقيقا أمثل، فهي لا تقر بتاتا بما يذهب إليه د.نبيل وغيره في وصف الأدب الإسلامي عامة، والشعر الإسلامي خاصة بالضعف بهذه الصورة التي تعطي للقارئ انطباعا بالإخفاق الكامل، أو الفشل الكبير.

وما وقع فيه د. نبيل من الخطأ المنهجي في النقد وقع فيه غيره قبله من الذين كتبوا في الموضوع أو تحدثوا من داخل دائرة الأدب الإسلامي وخارجها، فلننظر كيف اختار د.نبيل نماذجه!؟

فقد استعرض مجلة الأدب الإسلامي من العدد ١٥ إلى ٥٢ ، وهذا يعني أنه نظر في ٣٨ عددا من المجلة، نستبعد منها العدد ٣٠ الخاص بالقصة القصيرة، والعدد ٤٠ الخاص بأدب الطفل، فالأول يخلو من الشعر، والثاني ليس موضوع البحث، فيبقى لدينا ٣٦ عددا.

بعد ذلك عمد إلى ٩ أعداد من ٣٦ عددا لاختيار قصائد الشواهد، ثم عمد إلى اختيار ١٠ قصائد من ١٤٣ قصيدة هي مجموع قصائد الأعداد التسعة، ثم عمد مرة أخرى إلى انتقاء ٥١ بيتا من ٢٠٨ أبيات هي مجموع أبيات القصائد العشر!.

والجدول الآتي يرسم الخريطة التي انتهجها د.نبيل في اختيار النماذج التي تدل على ضعف الشعر الإسلامي:

العدد المختار	عدد القصائد	عدد الأبيات	قصائد التفعيلة	القصائد المستشهد بها	عدد الأبيات المختارة للشاهد من القصيدة	الأبيات المختارة
١٥	٧	٩٦	٢	١	٤ من ١٩	١-٤
١٩	٦١	١٣٣٩	١٦	١	٤ من ١٥	١-٤
٢٠	٧	١٣١	–	١	٣ من ١٠	١، ٣، ٤
٢٥	١٠	٢٧٩	–	١	٥ من ١٩	١، ١١، ١٢، ١٧، ١٨
٢٨	١٦	٣٩٥	١	١	٦ من ٢٠	١-٤، ١٨، ١٧
٤١	١٢	١٥١	٢	١	٧ من ٣٢	١، ٤، ٩، ١٢، ١٣، ٢٧، ٣١
٤٨	٩	١١٧	٣	١	٦ من ١٣	١-٣، ١٣، ١١، ٦
٤٩	١٠	١٦٢	–	١	٨ من ٣١	١، ١٥، ١٦، ٢٣، ٢٦، ٢٩، ٣٠، ٣١
٥٢	١١	١٢٧	٤	٢	٤من ٢١ (١) ٤ من ٢٨ (٢)	١-٤ ١-٤
٩	١٤٣	٢٧٩٧	٢٨	١٠	٢٠٨/٥١	المجموع

فإذا وقفنا عند المجموع النهائي من الأرقام فقط؛ وجدنا أنه انتقى ٥١ بيتا من أصل ٢٧٩٧ بيتا في الأعداد التسعة!. وأقول: انتقى؛ لأن طريقته تؤكد ذلك، فهو مثلا قد استل ٧ أبيات من قصيدة (وكيف يغرد السرب) في العدد ٤١، المؤلفة من ٣٢ بيتا، وهي الأبيات: (١، ٤، ٩، ١٢، ١٣، ٢٧، ٣١)، فهل يمكن الحكم على القصيدة موضع الشاهد من خلال هذه الأبيات بهذه الطريقة، بله أن نحكم على الشاعر نفسه الذي له عدة دواوين!؟

من هنا جاء تقديم صورة قاتمة في المقال، يستحوذ على شعور القارئ العادي خالي الذهن، ويوحي له بتهافت الشعر الإسلامي، وإخفاق شعرائه في الجري في مضماره، بله ما يلحق مجلة الأدب الإسلامي من أذى عندما يعرف القارئ أن الكاتب نظر في ٣٦ عددا، وهو ليس قليلا، إذ يعادل تقريبا نصف مجموع الأعداد الصادرة من المجلة حتى الآن، فخرج بهذه النتيجة من البحث!.

فهل هذا المنهج صحيح في الحكم على (شعراء اتجاه عريض من اتجاهات الأدب مختلفي المنازع

والأهـواء في اختيار المؤدى الفني لطرائق أساليبهم الأدبية) للوصول إلى الحكم بالقول: (لكن العجز والقصور عن تحقيق أدنى!.. معايير الجمال في هذا المؤدى أمر يحتاج إلى بيان واستقصاء)!؟

نعم؛ إن الأبيات التي انتقاها د.نبيل متفاوتة في الضعف، وبعضها ليست ضعيفة بالدرجة التي يصورها، وإن مجلة الأدب الإسلامي فيها أبيات أكثر ضعفا منها إذا بحثنا بالطريقة نفسها، ولكن النتيجة خاطئة لخطأ المنهج النقدي الذي سلكه الناقد في الحكم العام الذي نقله من الأبيات إلى القصائد، ومن القصائد إلى الشعراء، ومن الشعراء إلى المجلة، ومن المجلة إلى هذا العدد الكثير من الشعراء الذين يمثلون اتجاها أدبيا عريضا.

منهج المجلة في النشر:

وهنا أشير إلى منهج المجلة نفسها في النشر! فإنه يجب أن يكون معلوما لدى كل باحث، أو ناقد أن مجلة الأدب الإسلامي – وأظن أن غيرها من المجلات مثلها- ليست مجلة النخبة المغلقة إلا على نفر من الأدباء والنقاد الذين يتسنمون القمة، وأن كل ما ينشر فيها يجب أن يكون نموذجا يضرب به المثل في السمو الفني في الإبداع، والجودة والإتقان في أدوات الدراسة النقدية.

فالمجلة تهدف إلى التواصل مع شريحة كبيرة من القراء، وهي تنشر أحيانا كثيرة نصوصا مقبولة في حدها الأدنى، وتتيح المجال للرأي فيما ينشر لترفع من مستوى المبدعين المشاركين، وتشجعهم في السير نحو الهدف المنشود. وقد دأبت على نشر نصوص كثيرة في باب الأقلام الواعدة.

نتيجة مغايرة مع منهج مختلف:

وبعد كل هذا فإن؛ دراسة القصائد التي تم اختيار أبيات منها تعطي نتيجة مغايرة في حال تناولها مع النص الكامل للقصيدة، ينظر فيه الناقد إلى جسم النص وروحه، وذات الشخص المبدع وملابسات إبداعه، بما في ذلك ما صار يسمى عتبة النص الذي هو العنوان، وغير ذلك من العناصر العديدة في تناول الشكل والمضمون والعلاقة بينهما، وخير مثال لذلك القصيدة التي أشرت إليها بعنوان (وكيف يغرد السرب) في رثاء الشاعر العراقي وليد الأعظمي، الذي يعد ظاهرة شعرية في الظروف التي عاشها، والأهداف التي سعى لها، والموضوعات التي تناولها، والأسلوب الذي انتهجه في شعره، كل هذه من العناصر التي أسهمت في بناء القصيدة التي غرد بها الشاعر الفلسطيني عبد الرازق أبو مصطفى في رثاء وليد الأعظمي.

إنني لا أصادر حق الشاعر والناقد د.نبيل قصاب باشي في التعبير عن وجهة نظره، ولكني أدعوه إلى ممارسة نقد منهجي متكامل في مثل هذا الموضوع الممتد بامتداد مساحة العالم الإسلامي، وهو يعلم أن النقد المتوازن يتناول الإيجابيات والسلبيات في النص كله حتى يصدق الحكم عليه. ولا يصدق الحكم على مبدعه إلا بتناول مساحة واسعة من إبداعاته تكفي للتعبير عنه.

والباب مفتوح للمزيد من الدراسات والآراء له ولغيره، وخصوصا أن الأعداد التي جعلها د.نبيل تحت المجهر تضم قصيدتين له هو؛ إحداهما بعنوان: صليل الحجارة في العدد ١٥، وهي من شعر التفعيلة. والأخرى بعنوان: يا دارة السعد في العدد ١٩ الخاص بالشعر، وهي من الشعر العمودي! ■

حدث في هذا اللقاء

مصطفى نصر - مصر

في هذه المرة اجتمع الأقارب فى«الصيوان» الكبير. الشيخ محمود يسمع المقرئ ويحرك رأسه وكتفيه مع الترتيل، يقترب المعزون منه – رغم قراءة القرآن – يشدون على يده، يحاول بعضهم تقبيل يده التي تمسك المسبحة، وهو يبعدها مسرعا.

درس الشيخ محمود في الأزهر حتى حصل على العالمية. يعيش الآن بين قريته وبين القاهرة والإسكندرية حيث له مشاغل في كل منها. يلجأ إليه أهل القرية – الذين تركوها وعاشوا بعيدا عنها – إذا قابلوه خارج القرية؛ يسألونه في أمور الدين والدنيا، فهو حكيم في الاثنين، ويحتكمون إليه في المشاكل التي تنشأ بينهم.

تابع حامد الشيخ محمودا من بعيد وفكر في أن يحدثه بخصوص عمه، فحامد ترك قريته منذ أكثر من أربع سنوات، دفعته أمه إلى ذلك دفعاً، قالت:

– عمك زاهر أصبح غنيا في الإسكندرية، وليس عنده أولاد، وعندما يراك سيقربك إليه وستكون- أنت – الكل في الكل.

لكن عمه زاهر لم يعبأ به. هو حقا رحب به أول الأمر ودعاه إلى بيته وعرض عليه أن يقيم في مسكنه، لكن العرض لم يكن متينا، فعمه معروف لدى أقاربه «وبلدياته» بأنه لا يحب أن ينام أحد في بيته.

وافترقا. عمل حامد أعمالاً كثيرة: كاتبا في مكتب محام، وبائعا في محل كبير ومشهور في الإسكندرية. لكنه لم يستقر في عمل ثابت ودائم. وأحس بأنه قد أخطأ عندما ترك قريته. فقد جاء من أجل أن يعمل لدى عمه. وعمه لم يسأل عنه. لا يتقابل معه سوى في المناسبات: الأعياد، أو حين يجتمع أهل القرية الموجودون في الإسكندرية في الملمات أو الأفراح. وقتها يحنو عمه عليه ويشده إليه:

– كيف حالك، لماذا لا تأتي لزيارتي؟

ويتمتم حامد بكلمات غير مفهومة ثم يفترقان

فكر حامد في أن يُسرع ليصافح الشيخ محمودا، لكنه فضل أن يبقى

حتى ينتهي المقرئ من قراءته. بعدها أسرع إليه. قال الشيخ:

- كيف حالك يا حامد؟ والدك كان رجلا طيبا.

- أريد أن أتحدث إليك في أمر مهم.

- بشأن عمك زاهر، أليس كذلك؟

- أربع سنوات في الإسكندرية لم يقربني إليه. عماله كثيرين، كلهم أغراب.

- هل أنت فرح لأن عمك في هذه الحالة من الغنى؟

تلعثم حامد وأراد أن يقول أي شيء. فأسرع الشيخ مكملا:

- اصدقني القول ولا تكذب.

لم يجبه حامد.

- هذه يا ابني مشكلتك، مال عمك أقرب إليه منك، لأنه جمعه بكده وتعبه ولا يرضى أن يذهب إلى أحد يكره النعمة لصاحبه.

صمت حامد وأحنى رقبته كأنه يعتذر عن عمل كريه أتاه ويخجل منه. ربت الشيخ على ظهره قائلا:

- اجعل قلبك صافياً واتجه إلى الله بصدق، وحينما تحس بأن عمك أحق بماله من غيره، سيأتي المال إليك دون أن تسعى إليه.

تركه الشيخ في حيرة، صافحه وهو شارد. وصافح عمه زاهرا وهو شارد أيضا، لا يدري ما الذي قاله عمه، هل دعاه إلى البيت ككل مرة يقابله فيها، أم لا!؟

عاد إلى بيته، شقته متواضعة، يعيش فيها وحده منذ أن جاء إلى الإسكندرية. أحس برغبة في البكاء. إنه لم يسأل نفسه ذلك السؤال الذي باغته به الشيخ محمود. ماذا؟! أيكره النعمة لعمه!؟ ألا يريده أن يكون غنيا، أيحسده على ماله وغناه؟!

كان هو وأمه يتحدثان عن ذلك - قبل أن يأتي إلى الإسكندرية - يتحدثان عن الثروة التي نزلت على عمه دون رضى منه ومن أمه.

بكى حامد، فعمه في منزلة والده. فلماذا يحس نحوه بذلك الإحساس الغريب. إنه يعرف حدود الله. لم يسرق، لم يأت بماله عن طريق غير شريف، كما أنه ليس بخيلاً. وإن كان لا يحب لأحد أن ينام في بيته، فهذا حقه. فلديه زوجة وعالمه الخاص الذي لا يريد أن يشاركه فيه أحد. ولا يستطيع أن يلومه أحد لذلك.

قام حامد وصلى العشاء. ظل فوق سجادة الصلاة لوقت متأخر جالساً. أحس بالخجل من نفسه. لاشك أن عمه كان محقا في عدم عرض العمل عليه. فقد كان يقرأ الحسد في عينيه. إنه - الآن - لا يريد أن يعمل لديه، ولن يسعى إلى ذلك. من الغد سيعود إلى قريته، يبقى بجوار أمه؛ فمن الممكن أن يلمح عمه ذلك الحسد في عينيه ثانية لو ظل موجودا في الإسكندرية بجواره.

نام حامد حزيناً. سيكتب رسالة إلى أمه في الغد:«لا أريد شيئا من عمي، ولا من غيره، وأنا قانع بما قسمه الله لي من رزق».

لا يدري حامد متى نام! استيقظ على دقات عنيفة على الباب. فأسرع فزعا ليفتحه:

- اللهم اجعله خيرا.

وجد عمه أمامه. ظنه آتيا ليلومه: «كيف - يا ابن أخي- تكره النعمة لي؟!».

- أمازلت نائما؟!

- نعم.

- لم تصل الفجر؟

- كنت متعبا ليلة أمس.

- ارتد ملابسك مسرعا وتعال معي. أموالي في يد الأغراب وأنت ابن أخي أقرب من لي بعيد عني! لم تفكر يوما في الوقوف بجوار عمك.

ظن حامد أنه يحلم، وأن ما يحدث - الآن - نتيجة لتفكيره فيما حدث له بالأمس، لكن عمه صاح فيه:

- أسرع يا حامد وارتد ملابسك، سنتناول الإفطار في مطعم شركتي، فلابد أن أستلم عربة كبيرة محملة بالبضائع بعد ساعات قلائل.

- حاضر يا عمي.

وأسرع حامد بارتداء ملابسه غير مصدق ما يحدث! ■

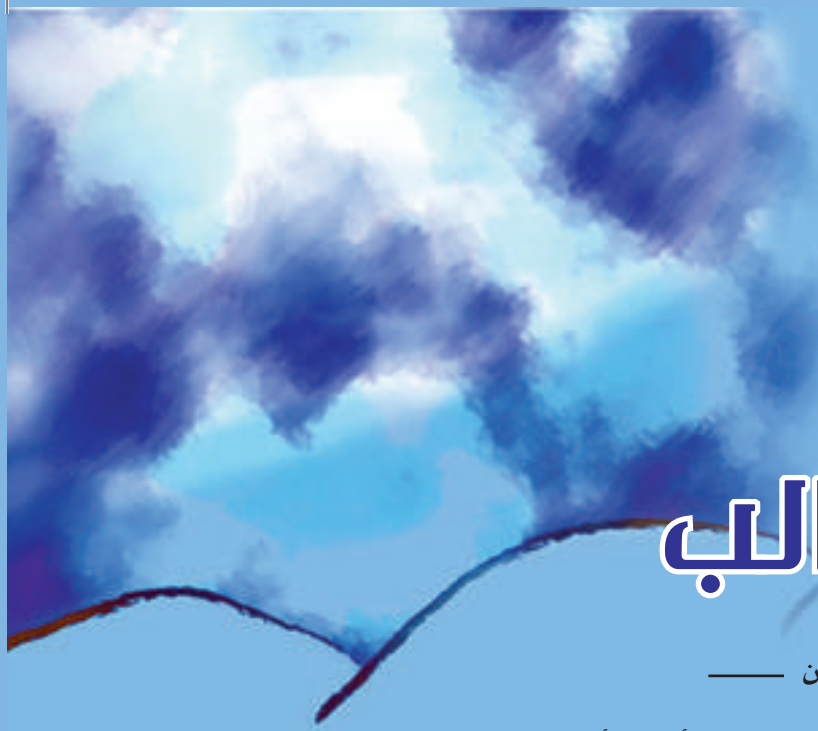

جعفر بن أبي طالب

د. محمد رفعت زنجير -عجمان

-١-

(بيت جعفر في مكة.. يبدو جعفر داخلا، تستقبله زوجته أسماء)

جعفر: عمت مساء يا أسماء.

أسماء: أهلا بك يا جعفر.. ما الذي أخرك إلى هذه الساعة!؟ لقد شغلت بالي!

جعفر: ثمة أمر جلل يا أسماء.

أسماء: هلا أخبرتني به، فأبدي رأيا، أو أشير بشيء؟!

جعفر: أو تملكين ذلك!؟

أسماء: وكيف عهدك بي!؟

جعفر: لقد عرض لي في طريقي اليوم أبو بكر..

أسماء: وظني به أنه رجل لا يأتي إلا بخير.

جعفر: وعرض عليّ الإسلام.

أسماء: وما الإسلام!؟

جعفر: إنه الدين الذي أنزله الله على ابن عمي، محمد بن عبدالله ؛ فيما قال أبو بكر.

أسماء: إن أبا بكر لصادق، وإن محمدا لهو الصادق الأمين.

جعفر: أعرف ذلك.

أسماء: فبم أجبته!؟

جعفر: لم أجبه بشيء.

أسماء: أفي صدرك مما قاله ريب!؟

جعفر: لا.

أسماء: فماذا إذن!؟

جعفر: أسماء.. أنت تعرفين أن أمرا كهذا يحتاج إلى تفكير.. إنه خروج على كل ما تعارف عليه العرب.

أسماء: أو تخشى العنت!؟ أم أحريص على حشد من عادات فيها ما أنت أعلم به.

جعفر أهذا رأيك!؟

أسماء: بالتأكيد.. فإن كان ثمة خير، فلنكن من السابقين إليه.

جعفر: أصبت، وأحسنت يا أسماء!

أسماء: أولا تذهب إليه الآن!؟

جعفر: سأذهب غدا.

أسماء: أضامن أنت حياتك إلى غد!؟ ثم ما يدريك أن يسبقنا إليه غيرنا!؟ اذهب الآن يا جعفر، عسى شيء من السرور يباشر قلب أبي بكر، وقلب رسول الله، بأبي هو وأمي!.

جعفر: كنت أشفق أن تكوني أنت أول من يصدني عن سبيل الله، أما الآن، فأنت عندي أكرم النساء. أنا ذاهب.

(يخرج)

-٢-

(بيت جعفر.. يدخل جعفر وتستقبله زوجه)

أسماء: مالك ياجعفر!؟ أرى دمك يسيل من جبهتك!؟ ألن يكف هؤلاء المشركون عن تعذيبنا!؟

جعفر: لو كان العذاب يحل بي وحدي، لكان أهون على نفسي... ولكنهم عذبوك بالأمس، ومن قبله، وما زالوا يوقعون ضروب الأذى بالنبي وصحبه.. بالرجال والنساء، بالعبيد والموالي.. ولكن الله ناصر دينه، لا محالة، والعاقبة للمؤمنين به، وبنبيه.

أسماء: لو كان طريق الجنة سهلا ما تخلف عنه أحد.. فلنصبر ابتغاء وجه الله.

جعفر: لقد صبرنا كثيرا، حتى جاءنا من الله الفرج.

أسماء: أأذن لنا الرسول ﷺ بالهجرة إلى الحبشة!؟

جعفر: نعم، يا أسماء، وإياك أن تخبري أحدا بالأمر، فلو علمت به قريش لحالت بيننا وبينه.

أسماء: أعرف يا جعفر.. سنهاجر سرا مع بعض إخواننا الضعفاء.. وليت رسول الله معنا.

جعفر: إنه رسول الله، ولن يضيعه ربه.

-٣-

(قصر النجاشي، ملك الحبشة.. أمامه البطارقة، وعمرو بن العاص، وعبدالله بن أبي ربيعة)

النجاشي: شكرا لكم.. يا لها من هدايا رائعة.. **(يقلب إحدى الهدايا)**

عمرو: هذه يا مولاي من فارس.

النجاشي: إنها رائعة حقا، تساوي أكثر من وزنها من الذهب.. **(يقلب هدية أخرى)**

عمرو: وهذه يا مولاي من الهند.

النجاشي: إنها شيء نادر عظيم، ما أظنها وقعت لغيري من الملوك.. **(يقلب هدية ثالثة)**

عمرو: وهذه يا مولاي من القسطنطينية.

النجاشي: يا للعجب!؟ إنها لا تقدر بثمن.. عليَّ لمن جاءني بهذه الهدايا الباهرة أن لا أرد له طلبا، فما خطبكما!؟

عبدالله: أيها الملك، إنه قد أوى إلى مملكتك طائفة من أشرار غلماننا، بعد أن جاؤوا بدين لا نعرفه، ولا تعرفونه، ففارقوا ديننا، ولم يدخلوا بدينكم، وقد أرسلنا إليك أشراف قومهم، لتردهم إليهم، فيبرمون فيهم أمرا.

النجاشي: ما قولك يا كبير البطارقة؟

البطريق: لقد صدق أيها الملك فيما قال، فإن قومهم أدرى بهم، ونحن في غنى عنهم، ومن فتنة توشك أن تقوم بسببهم.

النجاشي: كنت أظنك أرجح عقلا، وأقسط حكما.. لا والله، لا أردهم حتى أدعوهم، وأسألهم عما سمعت، فإن كان ما سمعته حقا، فلا حاجة لي بهم.. وإلا.. فإني حاميهم، ومحسن جوارهم

ما أقاموا في أرضي..

أيها الحاجب!

الحاجب: أمر مولاي!

النجاشي: أرسل من رجالي من يأتي بهم.

الحاجب: أمر مولاي..

(يظلم المسرح قليلا، ثم يضاء، إشعارا بمرور الزمن.. يدخل بعض المهاجرين المسلمين، يتقدمهم جعفر).

النجاشي: ما مقالة سمعتها عنكم، وعن دين جديد ابتدعتموه لأنفسكم!؟

جعفر: أيها الملك! كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف،حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته، فدعانا إلى عبادة الله وحده، وإلى نبذ عبادة الأصنام، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، والكف عن المحارم، وحقن الدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من عند الله.

النجاشي: وهذا من حقكم.

جعفر: ولكن قومنا عذبونا، وأرادوا أن يفتنونا عن ديننا، فلما اشتد أذاهم، وضاقت حيلتنا، خرجنا إلى بلادك، ورغبنا في جوارك، واخترناك من بين الملوك، رجاء ألا نظلم عندك.

النجاشي: وهل معكم شيء مما جاء به نبيكم من الله؟

جعفر: نعم.

النجاشي: اقرأه علي..

جعفر: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم (كهيعص...)

(النجاشي وأساقفته يبكون)

النجاشي: إن هذا الذي جاء به نبيكم، والذي جاء به عيسى، ليخرج من مشكاة واحدة، (لعمرو بن العاص) انطلقا - فلا والله لا أسلمهم إليكما أبدا.

عمرو: ولكنهم يا مولاي يقولون في عيسى قولا منكرا.

النجاشي: وما يقولون فيه؟

عمرو: إنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد!!

النجاشي: (للمسلمين) ما تقولون في عيسى بن مريم؟

جعفر: والله لا نقول فيه إلا ما قال الله، مما أنزل على رسوله الأمين، إنما المسيح عيسى بن مريم عبدالله ورسوله، وروحه وكلمته التي ألقاها إلى مريم العذراء.

النجاشي: والله ما خرج عيسى بن مريم عمّا جاء به

نبيكم مقدار شعرة.

(البطارقة يتناخرون)

(للبطارقة): وإن نخرتم.

(للمسلمين): اذهبوا فأنتم آمنون، من سبكم غرم، ومن تعرض لكم لقي العقاب.

(ينظر إلى عمرو وعبدالله)

ردُّوا على هذين الرجلين هداياهما، فلا حاجة لي بها، ولا شيء لهما عندي.

-٤-

(ساحة في المدينة المنورة بعد عشر سنين، المسلمون عائدون من فتح خيبر، يظهر جعفر وأبو هريرة)

جعفر: الحمدلله الذي نصر جنده، وأعز دينه، وصدق نبيه، وهزم عدوه.

أبوهريرة: الحمدلله، لقد تم للمسلمين اليوم فرحتان، فتح خيبر، وعودة جعفروإخوانه.

جعفر: ذلك من فضل الله.

أبو هريرة: يهنيك يا جعفر! فوالله ما غبطت أحدا غبطتي لك اليوم، ورسوله الله ﷺ يقول: «ما أدري بأيهما أنا أشد فرحا، أبفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟!»

جعفر: إن فرحتنا برسول الله ﷺ لا تعدلها فرحة.

أبو هريرة:صدقت يا أبا المساكين.

جعفر: اذهب يا أبا هريرة، وادع أهل الصفة، ومن ترى من المساكين والفقراء إلى الطعام.

أبو هريرة:بارك الله بك يا أخي.

-٥-

(بيت جعفر، يبدو هو وزوجته وهو يستعد للجهاد)

أسماء: لم يمض عام على عودتنا من الحبشة يا جعفر.

جعفر: الإسلام دين الجهاد، لا القعود، والمسلم من باع نفسه لله منذ دخوله الإسلام، ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة).

أسماء: هو ذاك يا جعفر، وودت والله لو خرجت معكم مجاهدة في سبيل الله.

جعفر(يبتسم): ومن يبقى للأولاد يا أسماء؟!

أسماء: الله وسوله.

جعفر: نعم ما تقولين! ولو أذن لك الرسول لأخرجتك معي.

(يأخذ سلاحه ويمضي).

-٦-

(في بيت أسماء.. تبدو أسماء وجارتها هند)

هند: أحزينة أنت يا أسماء باستشهاد جعفر؟

أسماء:نعم.. ولا.

هند: إن الله وعدهم الجنة: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿169﴾﴾ (آل عمران).

أسماء: صدق الله العظيم!

هند: أفلا تفرحين له بالجنة!؟

أسماء: بلى!

هند: علام الحزن إذن؟

أسماء: لأننا بشر يا هند (تبكي).

هند: لا تبكي يا أختاه، بالله عليك، وإلا أمسكت عن إخبارك بما يسرُّك ويسكب الرضا في قلبك..

أسماء: قولي يا أختاه.

هند: حدثني زوجي بعد عودته من مؤتة، أن رسول الله ﷺ وضع على الناس زيد بن حارثة، وقال:«إن قتل زيد أو أصيب، فالأمير جعفر بن أبي طالب، فإن قتل جعفر أو أصيب فالأمير عبدالله بن رواحة، فإن قتل عبدالله بن رواحة أو أصيب فليختر المسلمون لأنفسهم أميرا منهم».

كان عدد المسلمين ثلاثة آلاف، وكان عدد الروم مائة ألف، يُظاهرهم مائة ألف من نصارى العرب، ولما قتل زيد حمل الراية جعفر وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها
طيبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذابها
كافرة بعيدة أنسابها
عليّ إن لاقيتها ضرابها

وظل يجول في صفوف الأعداء بسيفه ويصول حتى أصابته ضربة قطعت يمينه، فأخذ الراية بشماله فأصابته أخرى فقطعت شماله،

فأخذ الراية بصدره وعضديه فأصابته ثالثة شطرته شطرين.

أسماء:(وهي تبكي) حسبك يا هند.. حسبك.. الآن فهمت!.

هند: ماذا؟

أسماء: لقد جاءني يومها رسول الله فداه أبي وأمي، فدعا بأولاد جعفر، فهبوا نحوه فرحين يتزاحمون عليه، وهو مكب عليهم، يتشممهم وعيناه تذرفان الدمع. قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي ما يبكيك!؟ أبلغك عن جعفر وصاحبيه شيء!؟ قال: نعم لقد استشهدوا اليوم، ومضى يكفكف عبراته، ويقول:«اللهم اخلف جعفرا في ولده، اللهم اخلف جعفرا في أهله»، ثم قال:«لقد رأيت جعفرا في الجنة، له جناحان مضرجان بالدماء وهو مصبوغ القوادم».

هند: طوبى يا أسماء! فما من المسلمين رجل حينها، إلا تمنى أن يكون جعفرا.

– ستار –

ترانيم صغيرة

محمد يوسف كرزون - سورية

أعود إليك..
أعودُ إليكَ ثانيةً
وثالثةً
أعود إليك
كلَّ دقيقةٍ تمضي
أعودُ إليكَ حاضرةً
أعودُ إليكَ غائبةً
أعود لنبضِ أحلام
صنعناها.. وعشناها..
فمهما ضاقت الدنيا
فأنت الأُفُقُ الرَّحبُ
ومهما اصفرّت الألوانُ..
أو ذَبُلتْ
فأنت اللونُ.. كلُّ اللونِ..
أنتَ الزّهرةُ الغنّاءُ..
تصطخبُ
ومهما بَحَّت الأصواتُ..
أنت نشيدُ قافيتي
الذي يعلو ويضطربُ
وأنت الريشةُ المسفوحةُ الألوانِ
تغمرُ وجهَ لوحتنا
التي تحكي.. ولا تشكو..
التي تبني..
معابدَ جدَّ شامخة
من التقديسِ والحبِّ

❊ ❊ ❊

أعودُ إليكَ
أغرسُ جملةً في الدربِ
تصنعُ غيرةً حرّى..
فتملأ جوَّ سهرتنا..
وأخفي غبطةَ القلبِ..
فتفضحني تلاويني..
كأنّي قد ثملتُ اليومَ
من فرحٍ..
ومن نزقٍ يغطي وجهَكِ المشرقْ

❊ ❊ ❊

أعودُ إليك..
أطفئُ دمعةَ الصَّبْرِ
وأدفنُ غصّةَ القهرِ
وأعلنُ.. تعلنين معي
هنا الصدقُ.
هنا الحُبُّ..
هنا مملكةُ الحُلُمِ..
فلا واللهِ ما يئستْ
أمانينا
ولا واللهِ ما انكسرتْ
معانينا..
أعودُ إليكَ
نرتّلُ سورةَ الإخلاصِ
والمُلْكِ
ونضرعُ مخلصينَ له:
أيارباهُ أنتَ العالمُ الصمدُ
فبارِكْ بيتنا المعمورَ بالتسبيحِ
والصدقِ
وأنهضهُ على الحبِّ..
على الحقِّ
فأنتَ مليكُ نعمتنا..
أدمها نعمةً ربي
أدمها نعمةً ربي!

❊ ❊ ❊

الشقاء الإنساني

في روايات مختارة لنجيب محفوظ وعبد الصمد سعيد

دراسة مقارنة

رسالة دكتوراه في الأدب والعلوم الإنسانية في اللغة العربية وآدابها

للباحث محمد ذوالكفل بن إسماعيل

وهو بحث تكميلي لنيل درجة الدكتوراه في العلوم الإنسانية في اللغة العربية وآدابها (الدراسات الأدبية) كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا، نوقش في ١٨ مارس ٢٠١٠م. بعد رحلة علمية استغرقت أربع سنوات من عمر الباحث، وكانت الرسالة بإشراف أ.د. منجد مصطفى بهجت، وأ.د. رحمة بنت أحمد الحاج عثمان.

ولقد جاء التعريف بالأديبين في ملحق الرسالة، وسنتجاوز التعريف بنجيب محفوظ لشهرته لدى القارئ العربي، ونقتصر على التعريف بالأديب الماليزي عبد الصمد سعيد.

عبد الصمد سعيد ماليزيٌ، وأحد أشهر الأدباء الملايويين المعاصرين، فهو روائي، شاعر، قصّاص، ناثر، ناقد، كاتب مسرحي، ومترجم للأعمال الأدبية.

ولد في ٩ أبريل ١٩٣٥م، في قرية بليمبينج دالام (Belimbing Dalam)، بمحافظة دوريان تونجال (Durian Tunggal) بولاية ملاكا (Melaka) بماليزيا.

د. منجد مصطفى بهجت - ماليزيا

عاش مطلع حياته وطفولته في ذلك الإقليم، ثم انتقل مع أسرته إلى سنغافوره وهو صغير، وتلقى هناك تعليمه الأولي والثانوي، ثم واصل دراسته بمؤسسة فيكتوريا (Victoria Institution) وحصل

على شهادة Senior Cambridge في سنة ١٩٥٦م.

لقد ظهر اهتمامه بالكتابة الأدبية منذ مطلع شبابه، وكانت لديه علاقات شخصية قوية بكتّاب وأدباء ماليزيين وإندونيسيين معاصرين، وهو لمّا يزل طالبًا بمراحل التعليم.

تنقل عبد الصمد سعيد بين عدة مواقع مهنية، حيث عمل سنوات طويلة من حياته في عدد من الوظائف الرسمية، ونشر رواياته الأولى. وقد كتب في مجلة الشباب (Majalah Rumaja)، واشتغل بعد ذلك مساعدا محررا في جريدة التفكير الشعبي (Fikiran Rakyat)، ثم محرّراً في مجلة ماستيكا (Mastika). وكتاباته الأدبية ترتبط بقضايا المجتمع المحلي الماليزي، وتصوير حياة الأسرة الماليزية، واهتم كذلك بكتابة مقالات عن الكتّاب الغربيين، وطريقة كتابة الشعر والنثر، والترجمة.

وقد التحق الأديب عبد الصمد سعيد في فترة الستينيات بالعمل محرّراً في جريدة الأخبار اليومية (Berita Harian) وهي أشهرجريدة ماليزية يومية، وترقى حتى وصل إلى منصب رئيس تطوير الأدب في جريدة (Berita Harian)، فكان ذلك آخر منصب رسمي تولاه، ثم

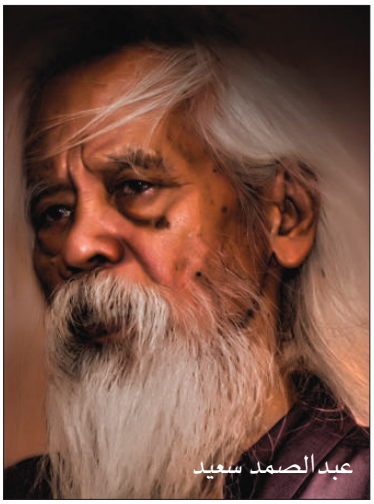
عبدالصمد سعيد

نجيب محفوظ

استقال في شهر ديسمبر ١٩٨٧م ليتفرغ تمامًا للكتابة الأدبية. ثم عُين بعد ذلك مساعداً خاصًّا لتحرير مجموعة جرائد (New Straits Times). ثم تفرغ للترجمة وكتابة المقالات.

بدأ أولى محاولاته في الكتابة الأدبية بكتابة الشعر، ثم الأقصوصة، والترجمة. وكانت الكتابة الروائية من أهم اهتماماته، فاشتهر وذاع اسمه بين الأوساط الأدبية في ماليزيا، وحظيت مؤلفاته الأدبية باهتمام وإقبال كبيرين، وحصلت أعماله الأدبية على جوائز قيمة نقلته إلى الشهرة، حيث فازت روايته «الكسوف» (Gerhana)، والتي عُرفت لاحقاً باسم «سالينا»، على جائزة مسابقة كتابة الرواية التي أقامها المجمع اللغوي الماليزي (Dewan Bahasa dan Pustaka).

ومن الجوائز التي حصل عليها:

- تقدير «المناضل الأدبي» من حكومة ماليزيا، تقديراً لمساهماته في إعلاء دور الأدب الملايوي ومكانته في ٢٩ مايو ١٩٧٦م.
- جائزة (S.E.A. Write Award) التي تتعلق بالكتابة، من سموّ ملك تايلاند في سنة ١٩٧٩م.
- أرفع جائزة تقديرية للأديب الماليزي، وهي جائزة أديب الدولة في سنة ١٩٨٥م.
- جائزة اتحاد دول جنوب شرق آسيا (Association of Southeast Asian Nations ASEAN) من بروناي دار السلام في سنة ١٩٩٣م.
- تقدير فخري من ولاية ملاكا (Darjah Kebesaran Negeri Melaka) والذي يتشرف حامله بلقب السيد (Datuk) في سنة ١٩٩٧م.

- جائزة أديب أرخبيل الملايو (Sasterawan Nusantara) في سنة ١٩٩٩م.
- شهادة الدكتوراه الفخرية من جامعة التربية السلطان إدريس، بولاية بيراق (Perak) في سنة ٢٠٠٣م.

وقد كتب عبد الصمد سعيد العديد من الروايات الأدبية التي ذاعت شهرتها في ربوع بلاد الملايو بعضها ترجم إلى اللغات الحية. ومن الأعمال الروائية والقصصيّة لعبد الصمد سعيد:

- Salina (سالينا)
- Bulan Tak Bermadu di Fatehpur Sikri (الشهر من دون عسل في فاتح بور سى(ري)
- Sungai Mengalir Lesu (النهر يجري مرهقا)
- Di Hadapan Pulau (أمام الجزيرة)
- Adik Datang (الأخ قادم)
- Langit Petang (سماء المساء)
- Daerah Zeni (محافظة زيني)
- Hujan Pagi (غيث الصباح)
- Lantai T. Pinkie (أرضية ت. بينكي)
- Dosa Pejuang (ذنب المناضل)
- Wira Bukit (بطل الجبل)
- Benih Harapan (بذور الأمل)
- Benih Semalu (بذور ميموسا بوديكا)
- Daun Semalu Pucuk Paku (ورق ميموسا بوديكا وسرخس)
- Warkah Eropah (رسالة من أوربا)
- Al-Amin (الأمين)
- Suara Dari Dinding Dewan (صوت من جدار القاعة)

ونقدم فيما يأتي عرضاً موجزاً لأبرز معالم هذه الدراسة مع الإشارة إلى ما توصل إليه الباحث من الحقائق والنتائج، فضلاً عن المقترحات والتوصيات التي يمكن أن تغني الدراسات الأدبية الإسلامية المقارنة.

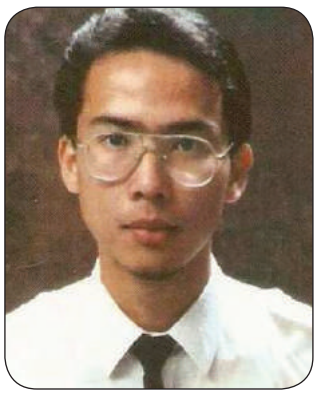

الباحث محمد ذو الكفل إسماعيل

تتكون هذه الدراسة من مدخل، وخمسة فصول، وخاتمة.

ففي المدخل وضّح الباحث مشكلة البحث وأسئلته، وأهدافه، وحدوده، وأهميته، ثم وضّح المنهج الذي سيتبعه في هذه الدراسة. وسرد بعد ذلك الدراسات السابقة التي تمت دراستها قبل هذه الدراسة.

وفي الفصل الأول ناقش الباحث مفهوم الشقاء ومدلولاته، مناقشة مفصلة، في أبعاده اللغوية والاصطلاحية من المنظور الإسلامي، وذلك بالعزو إلى المصادر اللغوية من المعاجم والأشعار والأمثال، ثم إلى المصادر الأثرية من القرآن الكريم والسنة المطهرة، وإلى بعض كتابات العلماء المسلمين في هذا الموضوع قديماً وحديثاً.

وتوصل الباحث إلى أن الشقاء الإنساني في المنظور الإسلامي له دلالات ذات أبعاد مادية ومعنوية، وأما الشقاء الحقيقي فكان ينحصر في أبعاده المعنوية؛ الخلقية والنفسية والفكرية، مما يحصل في حياتنا الدنيا، والذي بلغت ذروته مستوى الشقاء الأبدي في العالم الآخر.

وفي الفصل الثاني، تناول الباحث ثلاثاً من روايات نجيب محفوظ، في ثلاثة مباحث، وهذه الروايات هي: «القاهرة الجديدة»، و«زقاق المدق»، و«بداية ونهاية»، وأجرى عليها دراسة تحليلية في تشخيص مظاهر الشقاء الإنساني

حسب المفهوم الإسلامي من خلال الشخصيات المهمة التي تركن إلى الشقاء، من خلال أحداث الرواية ومواقف الشخصيات منها.

وفي المقابل، تناول الباحث في الفصل الثالث، ثلاثاً من روايات عبد الصمد سعيد، في ثلاثة مباحث، وهذه الروايات هي: «سالينا»، و«النهر يجري مرهقاً»، و«أمام الجزيرة»، وأجرى عليها الدراسة التحليلية نفسها في تشخيص مظاهر الشقاء الإنساني حسب المفهوم الإسلامي من خلال الشخصيات المهمة التي تركن إلى الشقاء، من خلال أحداث الرواية ومواقف الشخصيات منها.

وفي هذين الفصلين؛ الثاني والثالث، وجد الباحث أن صور الشقاء في هذه الروايات قد تعددت وتنوعت، وكانت تعكس صور الشقاء الإنساني حسب المفهوم الإسلامي، في أبعادها المادية والمعنوية.

وأما في الفصل الرابع، فقام الباحث بالمقارنة بين مظاهر الشقاء التي وردت في روايات نجيب محفوظ وروايات عبد الصمد سعيد، في أبعادها المادية، ثم المعنوية بأقسامها الثلاثة: الخلقية، والنفسية، والفكرية.

لقد قام الباحث بتفصيل هذه المظاهر في جزئيات أحداثها حسبما ورد في الروايات، ففي عرض صور الشقاء المادي، وجد الكاتب أنها تشمل مظاهر الفقر وتعاسة الحياة والمكابدة، المرض والمجاعة، الهلاك والموت، الجهل والاستغلال، التفكك الأسري وآثار الحرب. وبعد المقارنة

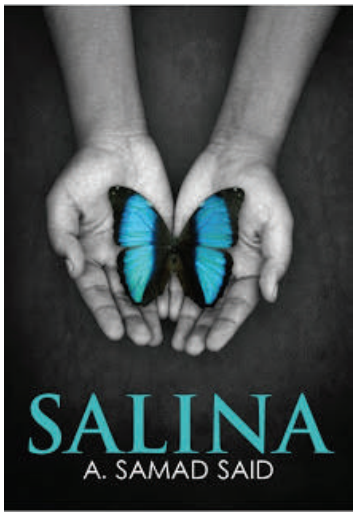

توصل الباحث إلى أن شقاء شخصيات عبد الصمد سعيد يفوق شخصيات نجيب محفوظ في معظم هذه الصور.

وأما صور الشقاء المعنوي، فهي تشمل خلقيًا مظاهر تتعلق بظاهرة الانحرافات الجنسية وما يؤدي إليها، وما يتعلق بالمخالفات الخلقية والدينية، والظلم والاضطهاد، وضعف الالتزام الديني أو عدمه، والخلل السلوكي العام.

ونفسيًا تشمل مظاهر التكبر والأنانية وحب الذات، والانحطاط المعنوي، والطبائع العدائية والغضبية، والميول النفسية المنحرفة، وفقدان الغيرة النفسية.

وفكريًا تشمل ما يتعلق باعتقادات باطلة، والأفكار المنحرفة من تبني فلسفات باطلة، وعدم القدرة على إعمال العقل الصحيح في التمييز بين الحق والباطل.

توصل الباحث إلى أن مظاهر الشقاء الفكري تغلب على أحداث روايات نجيب محفوظ في صورة تفوق ما ورد في روايات عبد الصمد سعيد، خاصة من نواحي تبني اعتقادات باطلة وفلسفات منحرفة في الحياة. وأما في غير ذلك، فوجد الباحث أن صور الشقاء المعنوي كانت عموماً في نسبة متقاربة في أعمال الأديبين الروائية.

وفي الفصل الخامس ناقش الباحث التشكيلات الفنية التي اعتمد عليها الروائيان ووظّفاها في بناء الروايات الفنية، ثم قارن الباحث بينهما في أربعة عناصر رئيسة: الحبكة الفنية، واللغة والأسلوب، والشخصيات، والبيئة.

وتوصل الباحث إلى أن كليهما قد أحسن الأداء في بناء المكونات الفنية لهذه الروايات، وأبدع فيها، ووجد أن هذه العناصر الفنية قد وظفت، بطريقة واعية أو غير واعية، أحسن توظيف في وصف الشقاء الإنساني، مما يجعل القارئ يشارك أحداثه ويعايشه.

◁◁ نتائج الدراسة:

وقد سجل الباحث خلال هذه الدراسة عددا من النتائج هي:

- لفظة الشقاء جاءت عموماً نقيضاً لمعنى السعادة في اللغة، كما دلت عليه المعاجم اللغوية، أما المفهوم الإسلامي فهو ذلك الشقاء الناتج عن إعراض الإنسان عن الهدي الإلهي واتباع الهوى، مع عدم نقض المدلول اللغوي له.

إن الشقاء الإنساني من حيث تحصيله ينقسم إلى نوعين: الشقاء الدنيوي، والشقاء الأخروي. فالشقاء الدنيوي يمثل مظاهر الشقاء والمعاناة التي تقع في الحياة الدنيا. وأما الشقاء الأخروي، فهو الشقاء الأبدي السرمدي، وهو من أعلى درجات الشقاء التي عرفها الإنسان، فتحقق عند مصير الإنسان النهائي إلى النار.

والشقاء الدنيوي، له مدلولان: الشقاء المادي والشقاء المعنوي، والثاني يمثل الشقاء الحقيقي للإنسان. ولا تلازم بينهما؛ فقد يشقى الإنسان ماديا ولا يشقى معنويا، وقد يسعد ماديا ولا يسعد معنويا.

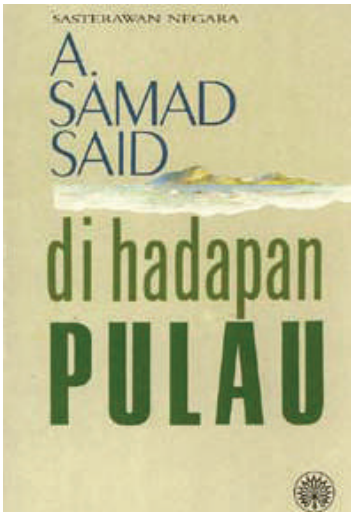

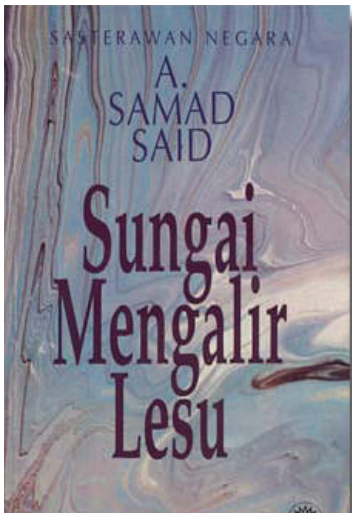

الشقاء المادي يشمل أبعاداً مادية ظاهرة، ملموسة، من الفقر والمرض ومكابدة الحياة التعيسة العسيرة، والصراع بين الناس، وقد يرجع سببه إلى عوامل بشرية مثل: الحروب ونحوها، وقد يكون ناتجاً عن مجرد الكوارث الطبيعية من فشو الأمراض وألوان من مصائب الدهر.

إن مفتاح مفهوم الشقاء من المنظور الإسلامي يتلخص في الآية الكريمة: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾(طه). وتأتي مظاهره على ثلاثة مستويات؛ المستوى الخلقي السلوكي، والمستوى النفسي الشعوري، والمستوى العقدي الفكري.

- إن طبيعة الشقاء الإنساني بشقيه المادي والمعنوي كما هو في المفهوم الإسلامي كانت تتفق مع مظاهر الشقاء السائدة في روايات الروائيين الخاضعة للدراسة. وقد سردها الروائيان وصوراها، واعترفا بدورهما في تصويره ماديا، ولكن ليس لدينا دليل على أنهما واعيان أو قاصدان الجوانب المعنوية في الروايات.

وكاد أن يكون كل مظاهر الشقاء الإنساني المعنوي في الروايات المدروسة، متأصلة من ظاهرة الإعراض عن الهدي الإلهي

وإهماله في مواقف الحياة، وهذا ما نراه من خلال موقف الشخصيات إزاء أغلب أحداث الروايات. وهذه السنة الإلهية وجدناها سائدة في جميع مظاهر الشقاء الإنساني المعنوي في الروايات.

لقد وجد الباحث أن هناك علاقة ما بين الشقاء المادي

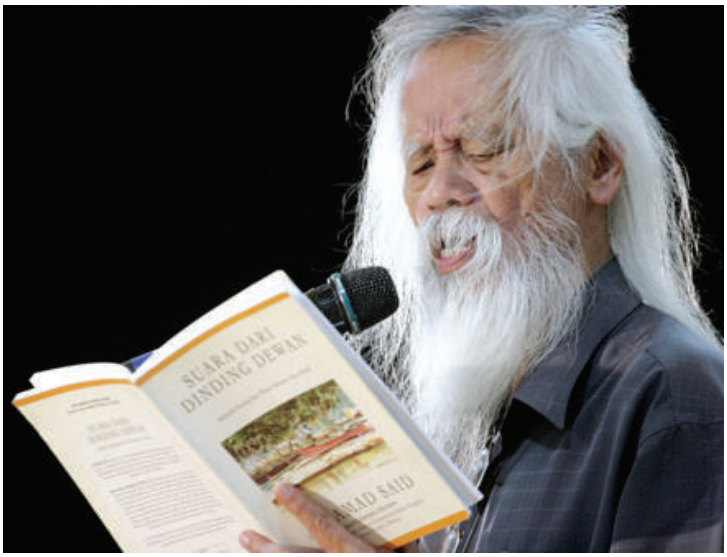

والمعنوي، بحيث إن الأول قد يؤدي إلى وقوع الإنسان في النوع الثاني، إذا اتخذ موقفاً مخالفاً للهدي الإلهي خلقيًا أو نفسيًا أو فكريًا، مما يتوجب عليه الوقوع في الشقاء المعنوي.

- اتفق الروائيان عموماً في عرض مظاهر الشقاء الإنساني في رواياتهما بكل أبعادها المادية والمعنوية، ويبقى الاختلاف يسيراً

فمثلاً؛ وجد الباحث أن شقاء شخصيات عبد الصمد سعيد ماديًا يفوق شخصيات نجيب محفوظ في معظم صوره.

وأن مظاهر الشقاء الفكري تغلب على أحداث روايات نجيب محفوظ بالمقارنة إلى ما ورد في روايات عبد الصمد سعيد، خاصة

من نواحي تبني اعتقادات باطلة وفلسفات في الحياة منحرفة.

- تكاد مظاهر الشقاء أن تكون متماثلة في جميع الروايات، على الرغم من اختلاف العادات والخلفية الثقافية وتباعد البيئة الجغرافية بين مجتمعي الروايات، مما يدل على أن الشقاء الإنساني يكاد أن يكون موحّداً تتشارك فيه جميع المجتمعات والشعوب على

اختلاف أصولها وثقافتها وبيئتها.

- إن القدرة الفنية للروائيين كانت على مستوى رفيع عالٍ، متقاربة في أدائهما لتصوير أبعاد الشقاء الإنساني فنيا، وقد أحسنا توظيفها في جذب نفوس المتلقين.

- لم يجد الباحث تأثراً لعبد الصمد سعيد بنجيب محفوظ، وذلك في ضوء الروايات الخاضعة للدراسة، من حيث المضمون أو من حيث الشكل الفني للرواية، ولا يرد الاحتمال الثاني بتأثر نجيب محفوظ بعبد الصمد سعيد، للفارق الزمني الواضح في تاريخ تأليف روايات كل منهما، وكان بين (١٦-٣٣) عاماً.

وبعد؛ فإن مثل هذه الدراسة التي تقوم على أساس توظيف المفهوم الإسلامي للحياة والكون، في دراسة الأعمال الأدبية في مختلف مضامينها وأفكارها وشخصياتها، أمر لم يتوسع فيه الباحثون من قبل؛ ناهيك عن ندرة الدراسات الأدبية المقارنة بين أدباء العالم الإسلامي بشكل خاص أو في العالم عموماً. لذلك، فإن الباحث يرى أن هذا النوع من الدراسات يحتاج إلى مزيد من البحث والاستقصاء، وخلص منه إلى التوصيات التي لا يتسع المقام لذكرها ■

الشقاء الإنساني

في روايات مختارة لنجيب محفوظ وعبد الصمد سعيد

دراسة مقارنة

رسالة دكتوراه في الأدب والعلوم الإنسانية في اللغة العربية وآدابها

للباحث محمد ذوالكفل بن إسماعيل

وهو بحث تكميلي لنيل درجة الدكتوراه في العلوم الإنسانية في اللغة العربية وآدابها (الدراسات الأدبية) كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا، نوقش في ١٨ مارس ٢٠١٠م. بعد رحلة علمية استغرقت أربع سنوات من عمر الباحث، وكانت الرسالة بإشراف أ.د. منجد مصطفى بهجت، وأ.د. رحمة بنت أحمد الحاج عثمان.

ولقد جاء التعريف بالأديبين في ملحق الرسالة، وسنتجاوز التعريف بنجيب محفوظ لشهرته لدى القارئ العربي، ونقتصر على التعريف بالأديب الماليزي عبد الصمد سعيد.

عبد الصمد سعيد ماليزيٌ، وأحد أشهر الأدباء الملايويين المعاصرين، فهو روائي، شاعر، قصّاص، ناثر، ناقد، كاتب مسرحي، ومترجم للأعمال الأدبية.

ولد في ٩ أبريل ١٩٣٥م، في قرية بليمبينج دالام (Belimbing Dalam)، بمحافظة دوريان تونجال (Durian Tunggal) بولاية ملاكا (Melaka) بماليزيا.

د. منجد مصطفى بهجت - ماليزيا

عاش مطلع حياته وطفولته في ذلك الإقليم، ثم انتقل مع أسرته إلى سنغافوره وهو صغير، وتلقى هناك تعليمه الأولي والثانوي، ثم واصل دراسته بمؤسسة فيكتوريا (Victoria Institution) وحصل

على شهادة Senior Cambridge في سنة ١٩٥٦م.

لقد ظهر اهتمامه بالكتابة الأدبية منذ مطلع شبابه، وكانت لديه علاقات شخصية قوية بكتّاب وأدباء ماليزيين وإندونيسيين معاصرين، وهو لمّا يزل طالبًا بمراحل التعليم.

تنقل عبد الصمد سعيد بين عدة مواقع مهنية، حيث عمل سنوات طويلة من حياته في عدد من الوظائف الرسمية، ونشر رواياته الأولى. وقد كتب في مجلة الشباب (Majalah Rumaja)، واشتغل بعد ذلك مساعدا محررا في جريدة التفكير الشعبي (Fikiran Rakyat)، ثم محرّراً في مجلة ماستيكا (Mastika). وكتاباته الأدبية ترتبط بقضايا المجتمع المحلي الماليزي، وتصوير حياة الأسرة الماليزية، واهتم كذلك بكتابة مقالات عن الكتّاب الغربيين، وطريقة كتابة الشعر والنثر، والترجمة.

وقد التحق الأديب عبد الصمد سعيد في فترة الستينيات بالعمل محرّراً في جريدة الأخبار اليومية (Berita Harian) وهي أشهرجريدة ماليزية يومية، وترقى حتى وصل إلى منصب رئيس تطوير الأدب في جريدة (Berita Harian)، فكان ذلك آخر منصب رسمي تولاه، ثم

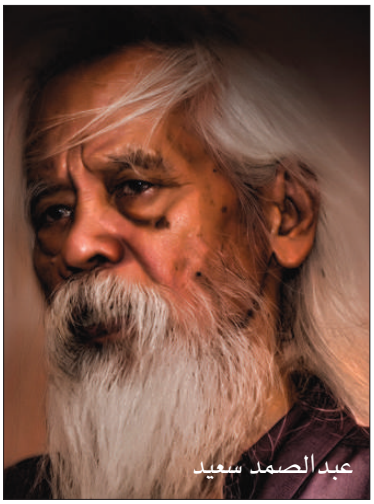
عبدالصمد سعيد

نجيب محفوظ

استقال في شهر ديسمبر ١٩٨٧م ليتفرغ تمامًا للكتابة الأدبية. ثم عُين بعد ذلك مساعداً خاصًّا لتحرير مجموعة جرائد (New Straits Times). ثم تفرغ للترجمة وكتابة المقالات.

بدأ أولى محاولاته في الكتابة الأدبية بكتابة الشعر، ثم الأقصوصة، والترجمة. وكانت الكتابة الروائية من أهم اهتماماته، فاشتهر وذاع اسمه بين الأوساط الأدبية في ماليزيا، وحظيت مؤلفاته الأدبية باهتمام وإقبال كبيرين، وحصلت أعماله الأدبية على جوائز قيمة نقلته إلى الشهرة، حيث فازت روايته «الكسوف» (Gerhana)، والتي عُرفت لاحقاً باسم «سالينا»، على جائزة مسابقة كتابة الرواية التي أقامها المجمع اللغوي الماليزي (Dewan Bahasa dan Pustaka).

ومن الجوائز التي حصل عليها:

- تقدير «المناضل الأدبي» من حكومة ماليزيا، تقديراً لمساهماته في إعلاء دور الأدب الملايوي ومكانته في ٢٩ مايو ١٩٧٦م.
- جائزة (S.E.A. Write Award) التي تتعلق بالكتابة، من سموّ ملك تايلاند في سنة ١٩٧٩م.
- أرفع جائزة تقديرية للأديب الماليزي، وهي جائزة أديب الدولة في سنة ١٩٨٥م.
- جائزة اتحاد دول جنوب شرق آسيا (Association of Southeast Asian Nations ASEAN) من بروناي دار السلام في سنة ١٩٩٣م.
- تقدير فخري من ولاية ملاكا (Darjah Kebesaran Negeri Melaka) والذي يتشرف حامله بلقب السيد (Datuk) في سنة ١٩٩٧م.

- جائزة أديب أرخبيل الملايو (Sasterawan Nusantara) في سنة ١٩٩٩م.
- شهادة الدكتوراه الفخرية من جامعة التربية السلطان إدريس، بولاية بيراق (Perak) في سنة ٢٠٠٣م.

وقد كتب عبد الصمد سعيد العديد من الروايات الأدبية التي ذاعت شهرتها في ربوع بلاد الملايو بعضها ترجم إلى اللغات الحية. ومن الأعمال الروائية والقصصيّة لعبد الصمد سعيد:

- Salina (سالينا)
- Bulan Tak Bermadu di Fatehpur Sikri (الشهر من دون عسل في فاتح بور سى(ري)
- Sungai Mengalir Lesu (النهر يجري مرهقا)
- Di Hadapan Pulau (أمام الجزيرة)
- Adik Datang (الأخ قادم)
- Langit Petang (سماء المساء)
- Daerah Zeni (محافظة زيني)
- Hujan Pagi (غيث الصباح)
- Lantai T. Pinkie (أرضية ت. بينكي)
- Dosa Pejuang (ذنب المناضل)
- Wira Bukit (بطل الجبل)
- Benih Harapan (بذور الأمل)
- Benih Semalu (بذور ميموسا بوديكا)
- Daun Semalu Pucuk Paku (ورق ميموسا بوديكا وسرخس)
- Warkah Eropah (رسالة من أوربا)
- Al-Amin (الأمين)
- Suara Dari Dinding Dewan (صوت من جدار القاعة)

ونقدم فيما يأتي عرضاً موجزاً لأبرز معالم هذه الدراسة مع الإشارة إلى ما توصل إليه الباحث من الحقائق والنتائج، فضلاً عن المقترحات والتوصيات التي يمكن أن تغني الدراسات الأدبية الإسلامية المقارنة.

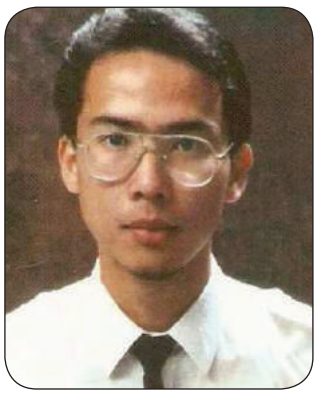

الباحث محمد ذو الكفل إسماعيل

تتكون هذه الدراسة من مدخل، وخمسة فصول، وخاتمة.

ففي المدخل وضّح الباحث مشكلة البحث وأسئلته، وأهدافه، وحدوده، وأهميته، ثم وضّح المنهج الذي سيتبعه في هذه الدراسة. وسرد بعد ذلك الدراسات السابقة التي تمت دراستها قبل هذه الدراسة.

وفي الفصل الأول ناقش الباحث مفهوم الشقاء ومدلولاته، مناقشة مفصلة، في أبعاده اللغوية والاصطلاحية من المنظور الإسلامي، وذلك بالعزو إلى المصادر اللغوية من المعاجم والأشعار والأمثال، ثم إلى المصادر الأثرية من القرآن الكريم والسنة المطهرة، وإلى بعض كتابات العلماء المسلمين في هذا الموضوع قديماً وحديثاً.

وتوصل الباحث إلى أن الشقاء الإنساني في المنظور الإسلامي له دلالات ذات أبعاد مادية ومعنوية، وأما الشقاء الحقيقي فكان ينحصر في أبعاده المعنوية؛ الخلقية والنفسية والفكرية، مما يحصل في حياتنا الدنيا، والذي بلغت ذروته مستوى الشقاء الأبدي في العالم الآخر.

وفي الفصل الثاني، تناول الباحث ثلاثاً من روايات نجيب محفوظ، في ثلاثة مباحث، وهذه الروايات هي: «القاهرة الجديدة»، و«زقاق المدق»، و«بداية ونهاية»، وأجرى عليها دراسة تحليلية في تشخيص مظاهر الشقاء الإنساني

حسب المفهوم الإسلامي من خلال الشخصيات المهمة التي تركن إلى الشقاء، من خلال أحداث الرواية ومواقف الشخصيات منها.

وفي المقابل، تناول الباحث في الفصل الثالث، ثلاثاً من روايات عبد الصمد سعيد، في ثلاثة مباحث، وهذه الروايات هي: «سالينا»، و«النهر يجري مرهقاً»، و«أمام الجزيرة»، وأجرى عليها الدراسة التحليلية نفسها في تشخيص مظاهر الشقاء الإنساني حسب المفهوم الإسلامي من خلال الشخصيات المهمة التي تركن إلى الشقاء، من خلال أحداث الرواية ومواقف الشخصيات منها.

وفي هذين الفصلين؛ الثاني والثالث، وجد الباحث أن صور الشقاء في هذه الروايات قد تعددت وتنوعت، وكانت تعكس صور الشقاء الإنساني حسب المفهوم الإسلامي، في أبعادها المادية والمعنوية.

وأما في الفصل الرابع، فقام الباحث بالمقارنة بين مظاهر الشقاء التي وردت في روايات نجيب محفوظ وروايات عبد الصمد سعيد، في أبعادها المادية، ثم المعنوية بأقسامها الثلاثة: الخلقية، والنفسية، والفكرية.

لقد قام الباحث بتفصيل هذه المظاهر في جزئيات أحداثها حسبما ورد في الروايات، ففي عرض صور الشقاء المادي، وجد الكاتب أنها تشمل مظاهر الفقر وتعاسة الحياة والمكابدة، المرض والمجاعة، الهلاك والموت، الجهل والاستغلال، التفكك الأسري وآثار الحرب. وبعد المقارنة

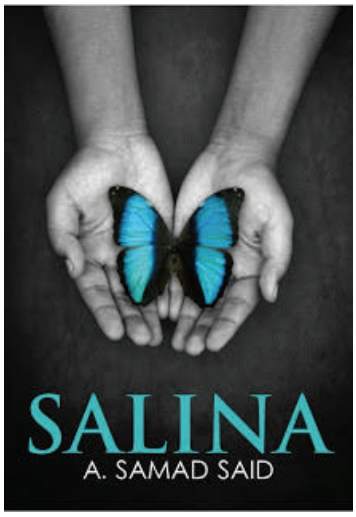

توصل الباحث إلى أن شقاء شخصيات عبد الصمد سعيد يفوق شخصيات نجيب محفوظ في معظم هذه الصور.

وأما صور الشقاء المعنوي، فهي تشمل خلقيًا مظاهر تتعلق بظاهرة الانحرافات الجنسية وما يؤدي إليها، وما يتعلق بالمخالفات الخلقية والدينية، والظلم والاضطهاد، وضعف الالتزام الديني أو عدمه، والخلل السلوكي العام.

ونفسيًا تشمل مظاهر التكبر والأنانية وحب الذات، والانحطاط المعنوي، والطبائع العدائية والغضبية، والميول النفسية المنحرفة، وفقدان الغيرة النفسية.

وفكريًا تشمل ما يتعلق باعتقادات باطلة، والأفكار المنحرفة من تبني فلسفات باطلة، وعدم القدرة على إعمال العقل الصحيح في التمييز بين الحق والباطل.

توصل الباحث إلى أن مظاهر الشقاء الفكري تغلب على أحداث روايات نجيب محفوظ في صورة تفوق ما ورد في روايات عبد الصمد سعيد، خاصة من نواحي تبني اعتقادات باطلة وفلسفات منحرفة في الحياة. وأما في غير ذلك، فوجد الباحث أن صور الشقاء المعنوي كانت عموماً في نسبة متقاربة في أعمال الأديبين الروائية.

وفي الفصل الخامس ناقش الباحث التشكيلات الفنية التي اعتمد عليها الروائيان ووظّفاها في بناء الروايات الفنية، ثم قارن الباحث بينهما في أربعة عناصر رئيسة: الحبكة الفنية، واللغة والأسلوب، والشخصيات، والبيئة.

وتوصل الباحث إلى أن كليهما قد أحسن الأداء في بناء المكونات الفنية لهذه الروايات، وأبدع فيها، ووجد أن هذه العناصر الفنية قد وظفت، بطريقة واعية أو غير واعية، أحسن توظيف في وصف الشقاء الإنساني، مما يجعل القارئ يشارك أحداثه ويعايشه.

◁◁ نتائج الدراسة:

وقد سجل الباحث خلال هذه الدراسة عددا من النتائج هي:

- لفظة الشقاء جاءت عموماً نقيضاً لمعنى السعادة في اللغة، كما دلت عليه المعاجم اللغوية، أما المفهوم الإسلامي فهو ذلك الشقاء الناتج عن إعراض الإنسان عن الهدي الإلهي واتباع الهوى، مع عدم نقض المدلول اللغوي له.

إن الشقاء الإنساني من حيث تحصيله ينقسم إلى نوعين: الشقاء الدنيوي، والشقاء الأخروي. فالشقاء الدنيوي يمثل مظاهر الشقاء والمعاناة التي تقع في الحياة الدنيا. وأما الشقاء الأخروي، فهو الشقاء الأبدي السرمدي، وهو من أعلى درجات الشقاء التي عرفها الإنسان، فتحقق عند مصير الإنسان النهائي إلى النار.

والشقاء الدنيوي، له مدلولان: الشقاء المادي والشقاء المعنوي، والثاني يمثل الشقاء الحقيقي للإنسان. ولا تلازم بينهما؛ فقد يشقى الإنسان ماديا ولا يشقى معنويا، وقد يسعد ماديا ولا يسعد معنويا.

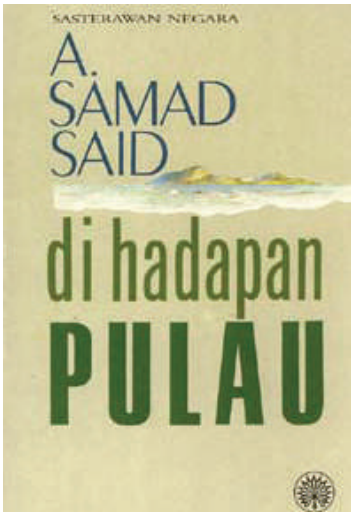

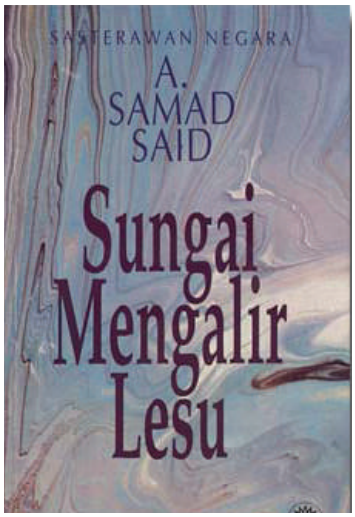

الشقاء المادي يشمل أبعاداً مادية ظاهرة، ملموسة، من الفقر والمرض ومكابدة الحياة التعيسة العسيرة، والصراع بين الناس، وقد يرجع سببه إلى عوامل بشرية مثل: الحروب ونحوها، وقد يكون ناتجاً عن مجرد الكوارث الطبيعية من فشو الأمراض وألوان من مصائب الدهر.

إن مفتاح مفهوم الشقاء من المنظور الإسلامي يتلخص في الآية الكريمة: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾(طه). وتأتي مظاهره على ثلاثة مستويات؛ المستوى الخلقي السلوكي، والمستوى النفسي الشعوري، والمستوى العقدي الفكري.

- إن طبيعة الشقاء الإنساني بشقيه المادي والمعنوي كما هو في المفهوم الإسلامي كانت تتفق مع مظاهر الشقاء السائدة في روايات الروائيين الخاضعة للدراسة. وقد سردها الروائيان وصوراها، واعترفا بدورهما في تصويره ماديا، ولكن ليس لدينا دليل على أنهما واعيان أو قاصدان الجوانب المعنوية في الروايات.

وكاد أن يكون كل مظاهر الشقاء الإنساني المعنوي في الروايات المدروسة، متأصلة من ظاهرة الإعراض عن الهدي الإلهي

وإهماله في مواقف الحياة، وهذا ما نراه من خلال موقف الشخصيات إزاء أغلب أحداث الروايات. وهذه السنة الإلهية وجدناها سائدة في جميع مظاهر الشقاء الإنساني المعنوي في الروايات.

لقد وجد الباحث أن هناك علاقة ما بين الشقاء المادي

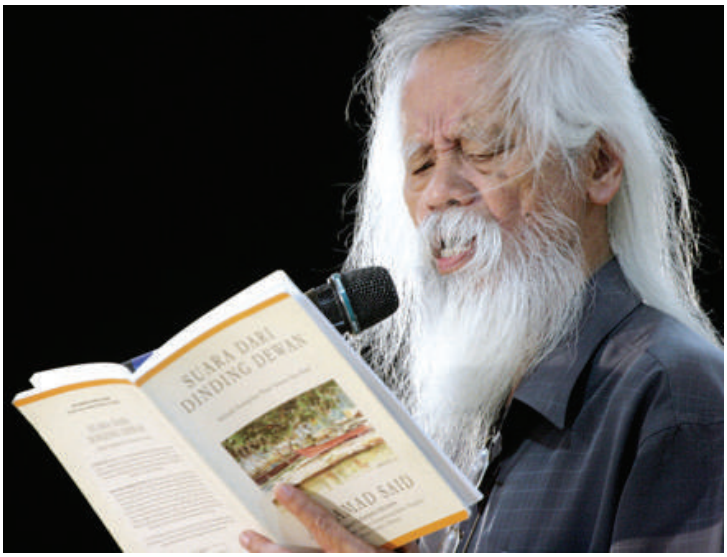

والمعنوي، بحيث إن الأول قد يؤدي إلى وقوع الإنسان في النوع الثاني، إذا اتخذ موقفاً مخالفاً للهدي الإلهي خلقيًا أو نفسيًا أو فكريًا، مما يتوجب عليه الوقوع في الشقاء المعنوي.

- اتفق الروائيان عموماً في عرض مظاهر الشقاء الإنساني في رواياتهما بكل أبعادها المادية والمعنوية، ويبقى الاختلاف يسيراً

فمثلاً؛ وجد الباحث أن شقاء شخصيات عبد الصمد سعيد ماديًا يفوق شخصيات نجيب محفوظ في معظم صوره.

وأن مظاهر الشقاء الفكري تغلب على أحداث روايات نجيب محفوظ بالمقارنة إلى ما ورد في روايات عبد الصمد سعيد، خاصة

من نواحي تبني اعتقادات باطلة وفلسفات في الحياة منحرفة.

- تكاد مظاهر الشقاء أن تكون متماثلة في جميع الروايات، على الرغم من اختلاف العادات والخلفية الثقافية وتباعد البيئة الجغرافية بين مجتمعي الروايات، مما يدل على أن الشقاء الإنساني يكاد أن يكون موحّداً تتشارك فيه جميع المجتمعات والشعوب على

اختلاف أصولها وثقافتها وبيئتها.

- إن القدرة الفنية للروائيين كانت على مستوى رفيع عالٍ، متقاربة في أدائهما لتصوير أبعاد الشقاء الإنساني فنيا، وقد أحسنا توظيفها في جذب نفوس المتلقين.

- لم يجد الباحث تأثراً لعبد الصمد سعيد بنجيب محفوظ، وذلك في ضوء الروايات الخاضعة للدراسة، من حيث المضمون أو من حيث الشكل الفني للرواية، ولا يرد الاحتمال الثاني بتأثر نجيب محفوظ بعبد الصمد سعيد، للفارق الزمني الواضح في تاريخ تأليف روايات كل منهما، وكان بين (١٦-٣٣) عاماً.

وبعد؛ فإن مثل هذه الدراسة التي تقوم على أساس توظيف المفهوم الإسلامي للحياة والكون، في دراسة الأعمال الأدبية في مختلف مضامينها وأفكارها وشخصياتها، أمر لم يتوسع فيه الباحثون من قبل؛ ناهيك عن ندرة الدراسات الأدبية المقارنة بين أدباء العالم الإسلامي بشكل خاص أو في العالم عموماً. لذلك، فإن الباحث يرى أن هذا النوع من الدراسات يحتاج إلى مزيد من البحث والاستقصاء، وخلص منه إلى التوصيات التي لا يتسع المقام لذكرها ■

الملتقى الدولي الثاني للأدبيات الإسلاميات

في الأردن بالتعاون بين

رابطة الأدب الإسلامي العالمية

و جامعة العلوم الإسلامية بعمان/ وجامعة اليرموك بإربد

د. سعد أبو الرضا - مصر

عقد الملتقى الدولي الثاني للأدبيات الإسلاميات تحت عنوان «إبداعات الأدبية الإسلامية في الفنون الأدبية» في الأردن، وذلك بالتعاون بين رابطة الأدب الإسلامي العالمية (مكتبها الإقليمي في الأردن)، وجامعة العلوم الإسلامية في عمان، وجامعة اليرموك في إربد، وذلك في يومي ٢٤ - ٢٥ من ربيع الآخر ١٤٣٤هـ، الموافق ٦ - ٧ مارس (آذار) ٢٠١٣م. وشارك في الملتقى وفود من الأردن، ولبنان، والإمارات، والجزائر، والسعودية، ومصر، والمغرب، واليمن.

◁◁ حفل الافتتاح: الأربعاء: ٦/٣/٢٠١٣م.

وكان الملتقى قد بدأ فعالياته يوم الأربعاء الموافق ٢٠١٣/٣/٦ م على مدرج جامعة العلوم الإسلامية في عمان بحفل افتتاح أقيم تحت رعاية دولة رئيس الوزراء الدكتور عبدالله النسور، الذي انتدب معالي وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات والإسلامية الدكتور عبد السلام العبادي. وتعاقبت الكلمات من قبل نائب رئيس جامعة العلوم الإسلامية في عمان أ.د ناصر الخوالدة الذي ناب عن الرئيس بسبب سفر الرئيس أ.د.عبد الناصر أبو البصل خارج البلاد، وكلمة من نائب رئيس جامعة اليرموك د. عدنان العتوم، ثم كلمة الرابطة قدمتها أ.د رجاء عودة رئيسة لجنة الأدبيات في رابطة الأدب الإسلامي العالمية، بينما تُليَت برقية اعتذار من أ.د.عبد القدوس أبو صالح الذي أقعده المرض عن الحضور من السعودية، ثم كلمة رئيسة المكتب الإقليمي للرابطة في الأردن الأديبة نبيلة الخطيب.

وألقى أ.د.عودة أبو عودة عضو مجمع اللغة العربية الأردني والمصري والرئيس السابق للمكتب الإقليمي للرابطة في الأردن قصيدة عن الأديبة المسلمة ومكانتها العالمية والترحيب بالمشاركين، نالت استحسان الجميع. وفي نهاية حفل الافتتاح سلمت الأديبة الخطيب درع الرابطة لمعالي وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية الأستاذ الدكتور عبد السلام العبادي مندوب دولة رئيس الوزراء، وتبادل الجميع الدروع التكريمية احتفاءً بروح التعاون وتقاطع الرؤيا بين الثقافة والجامعات. وأدارت حفل الافتتاح الأديبة الإعلامية المبدعة نردين أبو نبعة.

◁◁ جلسات البحوث والمناقشات:

الجلسة الأولى، وعنوانها: «**البعد الإنساني والذاتي في الرواية النسائية.. رؤية إسلامية**»، وقدمت فيها ستة بحوث وهي.

- الأدب التغريبي في الفن الروائي النسائي، د.نهى القاطرجي، لبنان.
- الإنسان والقضية في رواية مخيم يا وطن لدعد الناصر، د.سعد أبو الرضا، مصر.
- قراءة في رواية (توبة وسليى) من منظور إسلامي للروائية مها الفيصل، د.سعاد أحمد العمري، السعودية.
- الصراع الحضاري في (ثلاثية غرناطة) للأديبة رضوى عاشور، عزة منير، مصر.
- قراءة تحليلية في رواية (رحيل) للأديبة جهاد الرجبي، هيام ضمرة، الأردن. مصر.
- قراءة في بعض الأعمال الروائية للأديبة جهاد الرجبي، محمد عباس عرابي، مصر.

وتناولت البحوث عدة قضايا مهمة في الأدب الإسلامي: منها كشف بعض مظاهر التغريب في الفن الروائي النسائي، كما قام بعض الباحثين بتحليل عدة روايات إسلامية، فأبرزوا أهمية القيم الإسلامية في التجاذب الحضاري بين الشرق والغرب، وتجذر حب الفلسطينيين لوطنهم مهما أبعدوا عنه، وتباين وسائل الفن الروائي النسائي وتقنياته بين الخيال والأسطورة، وتعدد مناهج النقد في الدراسة والتحليل، وغير ذلك من التقنيات الروائية الجديدة.

رئيس الجلسة: د.موفق مقدادي، رئيس قسم اللغة العربية، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن.

منسق الجلسة: د.عبد الله الخطيب، جامعة العلوم الإسلامية العالمية،الأردن.

الجلسة الثانية : وعنوانها «**ظواهر أسلوبية في الشعر الإسلامي النسائي**»، وقدمت فيها ثمانية بحوث، وهي:

- صورة المرأة في الشعر الحداثي: رؤية نقدية من منظور إسلامي، د.ليلى لعوير، الجزائر.
- جدلية الطين والروح عند أمينة المريني: قراءة في ديوان سآتيك فردا، د.سكينة قدور، الجزائر.
- النموذج الإنساني في ديوان (إلى شهيد) لأمينة قطب، د.آمال لواتي، الجزائر.
- نظرة في ديوان عقد الروح للشاعرة نبيلة الخطيب، أسماء زيتون، الأردن.
- الدعاء في شعر علية الجعار، نجوى السيد، مصر.
- نفحات من شعر علية الجعار، عزة رشاد، مصر.
- الشعر الديني عند الشاعرة جميلة العلايلي،أحمد الدماطي، مصر.
- عائشة الباعونية.. ونماذج من التناص في أدبها، الجوهرة المعيوف، السعودية.

وقد ناقشت البحوث في هذه الجلسة عدة قضايا في مجال الشعر؛ فانتقدت صورة المرأة في بعض الشعر الحداثي لتجاوزها التصور الإسلامي، كما أبرزت كثيرًا من النماذج الطيبة الصالحة للمرأة المسلمة في حرصها على إسلامها ووقارها، وأدائها المخلص لرسالتها وفقا للتصور الإسلامي: زوجة، وأما، وبنتًا، وأختًا، وأبرزت كثيرًا من وسائل الشعر التعبيرية الفنية التي تجلت خلالها هذه المهمات الإنسانية: كالتكثيف وتكامل الصور، وترابطها، والتأثر الواعي بالقرآن الكريم، وحديث رسول اللهﷺ ، والتراث العربي بصفة عامة، وغير ذلك.

رئيس الجلسة: د.عدنان حسونة، رابطة الأدب الإسلامي العالمية/ الأردن.

منسق الجلسة: د.كمال مقابلة – جامعة آل البيت/ الأردن.

◁◁اليوم الثاني: الخميس: ٧/ ٣/ ٢٠١٣م.

المكان: جامعة اليرموك في إربد – مدرج عرار – عمادة الدراسات العليا.

الجلسة الثالثة، وعنوانها: «**الفن القصصي النسائي دراسات نقدية**»، وقدمت فيها ثمانية بحوث، وهي:

- تشكلات السرد في القصة النسائية المعاصرة د.سعاد الناصر، المغرب
- شاعرية القص في مجموعة (ظلال وارفة) للأديبة سعاد الناصر، د.حلمي القاعود، مصر.
- إشراق الرؤية وتعالقها مع البنية السردية في مجموعة (قلبك يا صديقي) للقاصة نجلاء العمري، د.عبد الحميد الحسامي، اليمن.
- السرد القصصي في مسيرة الدكتورة بنت الشاطئ الإبداعية، شوقي يوسف، مصر.
- دراسة تحليلية لنماذج من القصة القصيرة لأديبات في مجلة الأدب الإسلامي، نافذة الحنبلي، الأردن.
- مغامرتي الإبداعية في الكتابة الروائية من خلال روايتي (على المحك، وهواجس عانس)، صورية مروشي، الجزائر.
- الرسالة الإنسانية والاجتماعية في المجموعة القصصية (الصومعة) للأديبة نوال مهني، سهير شكري، مصر.
- النقد الاجتماعي في المجموعة القصصية (ربما غدا) للأديبة شيمة الشمري، د.سوسو أبو عمر، مصر.

وقد أبرز البحوث في هذا المحور كثيرًا من تشكلات السرد في القصة النسائية المعاصرة؛ كشاعرية القصة، وتعالقات البنية السردية، وبعض ملامح السيرة، كما أبرزت بعض الجوانب الاجتماعية التي تتعلق بالمرأة وعلاقاتها داخل الأسرة، ومع مجتمعها، وأمتها، وقد كان للقصص المنشورة في مجلة الأدب الإسلامي للرابطة أثر واضح في إثراء الحديث والنقاش، وقد تنوعت النماذج المناقشة بين الرواية والمجموعات القصصية.

رئيسة الجلسة: د.فاطمة الوحش، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن.

منسق الجلسة: د.كمال مقابلة، جامعة آل البيت، الأردن

الجلسة الرابعة: وعنوانها «**قراءات نقدية في أعمال شاعرات إسلاميات**»، وقدمت فيها سبعة بحوث، وهي:

- الجذور التاريخية للأدب الإسلامي، د.رجاء عودة، السعودية
- دراسة تحليلية لديوان (الأجنحة البيضاء) للشاعرة جليلة رضا، نوال مهني، مصر
- قراءة في ديوان (على أعتاب الرضا) لعلية الجعار د.نادية الجندي، مصر
- قراءة في ديوان (يا الله) للشاعرة الهندية كمالا ثريا د.عبدالحكيم الزبيدي، الإمارات العربية
- دراسة تحليلية في ديوان (ورود من زناتة) للشاعرة أمينة المريني، نبيلة الخطيب، الأردن
- ديوان بنت الشاطئ: جمع وتحقيق ودراسة نقدية، د.مديحة السائح، مصر.
- جماليات الصورة الفنية في شعر نبيلة الخطيب: الثلاثيات أنموذجا. د.كمال مقابلة، الأردن

وتناولت البحوث في الجلسة الرابعة للملتقى، وهي الثانية من اليوم الثاني دواوين شاعرات من الأردن ومصر والهند والمغرب، كما تنوعت الوسائل التعبيرية للباحثات والباحثين؛ بين الاهتمام بالصورة الفنية، واللغة الشعرية، والشكل الموسيقي.

رئيسة الجلسة: د.مي أحمد يوسف – رئيسة قسم اللغة العربية – جامعة اليرموك، الأردن.

منسق الجلسة: د.عبد الكريم جرادات، جامعة اليرموك، الأردن.

المناقشات والمداخلات:

ولقد كانت المناقشات والمداخلات التي أعقبت كل جلسة من هذه الجلسات ثرية حقًا، فقد تجلت خلالها كثير من أهم قضايا الأدب الإسلامي، منها ما يتعلق بالتعريف الذي أكده بعض المتداخلين وذكروا به، وأنه: «الكلام الجميل المعبر عن التصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة».

وكذلك تصنيف هذا الأدب، وهنا تجلى تصنيف د.عبد القدوس أبو صالح رئيس الرابطة ليأخذ مكانه المهم في المناقشات والمداخلات، فالأدب الإسلامي بصفة عامة هو الذي يقوله المبدع المسلم وفقًا للتصور الإسلامي، ثم الأدب الموافق الذي قد يكون من غير المسلم لكنه يوافق التصور الإسلامي، ثم يأتي الأدب المخالف، وهو غير ما سبق.

كما برزت قضية الأدب النسائي في أكثر من جلسة، وهو من أحدث وأهم القضايا الفكرية والأدبية اليوم، وهناك من لمسها لمسًا خفيفًا، وهناك من أثارها معتمدًا على رأي بعض الكاتبات الغربيات مثل «جوليا كريستيفا» وغيرها نظرًا لما وجده في بعض الأعمال القصصية العربية من قهر للمرأة، وتدنٍ لمكانتها، في الوقت الذي تعلي فيه هذه الأعمال من الرجل لذكوريته. وقد وضح رأي معتدل لبعض المتحدثين، لا يزكي أحد الطرفين على الآخر، بناء على وجهة نظر الإسلام (كل نفس بما كسبت رهينة)» سورة المدثر آية (٣٨)، وأن الحياة الإنسانية لا تقوم إلا بالتعاون بين الجنسين، وأن الأدب يقدر بفنيته وتمثله للتصور الإسلامي الصحيح للإنسان والكون والحياة، والإسلام قد أنصف المرأة، واعترف لها بكافة حقوقها الإنسانية المشروعة منذ نزول القرآن الكريم على رسول الله ρ.

ومن ثم يتسع الأدب الإسلامي لكل جوانب الحياة، ويعبر عنها بمختلف أجناس الأدب الإسلامي، شعرًا، وقصة، ومسرحية، ومقالة، وغيرها، وفقًا لهذا التصور.

وثمة ملمح برز خلال هذه المناقشات والمداخلات يمثل في الدعوة إلى الاهتمام بالأدب الإسلامي مضمونًا وشكلاً، وأن هذين الجانبين هما جناحا أي عمل أدبي متآزرين متعاونين.

توصيات الملتقى:

صدرت عن الملتقى التوصيات الآتية:

- نشر أعمال الملتقى على الموقع الإلكتروني لرابطة الأدب الإسلامي العالمية.

- مواصلة الجهود في الكشف عن إبداعات الأديبة الإسلامية في الفنون الأدبية.
- إعداد موسوعة تجمع أدبيات المرأة الإسلامية ووضعها بين أيدي الباحثين بهدف دراستها والتعليق عليها بما يناسب، وتعميمها على المواقع الإلكترونية.
- العناية بترجمة إبداعات الأديبات الإسلاميات إلى لغات شعوب العالم الإسلامي لتحقيق التواصل والتفاعل الثقافي.
- طباعة البحوث المشاركة في هيئة كتاب بعد تعديلها وتحكيمها تحكيما علميا.
- توجيه طلبة الدراسات العليا نحو دراسة جوانب مغمورة من أدب المرأة.
- ترتيب مسابقات إبداعية تهدف إلى تشجيع المرأة المسلمة، وإثراء الأدب الإسلامي. والعمل على تكريم الفائزة في الملتقى التالي.
- استحداث صفحة إلكترونية خاصة بالأديبات الإسلاميات بهدف توسيع دائرة البحث والإبداع.
- إقامة الملتقى العلمي المقبل حول الأديبة الإسلامية والشهود الحضاري.
- تعميم التوصيات على المؤسسات الإعلامية، والمراكز العلمية من أجل التعريف بها.
- مخاطبة الجهات المسؤولة عن المناهج الدراسية في البلاد العربية والإسلامية من أجل توظيف أعمال وتوصيات الملتقى.
- الاستمرار بعقد الملتقيات العلمية المشتركة بين رابطة الأدب الإسلامي وجامعات العالمين العربي والإسلامي بصورة دورية.
- أن يعقد الملتقى الثالث للأديبات الإسلاميات في دورته القادمة في المملكة المغربية.

شكر وعرفان:

وفي الختام تم توجيه الشكر والعرفان إلى دولة رئيس الوزراء الأردني على تفضله برعاية فعاليات الملتقى، وإلى جامعة العلوم الإسلامية العالمية، وجامعة اليرموك ممثلة لما لقوه من الاهتمام، والمكتب الإقليمي للرابطة في الأردن، واللجنة التحضيرية المنظِّمة للملتقى، وجميع المؤسسات العلمية والمراكز الأكاديمية التي أسهمت في إنجاح الملتقى.

وخصوا بالشكر والتقدير الأستاذ الدكتور عبد القدوس أبو صالح رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية على دعمه وتفاعله المستمرين للأدب الإسلامي بعامة، ولإبداع الأديبة الإسلامية بخاصة.

خدمات الملتقى:

وقد تمتع الملتقى بنظام طيب دقيق، كما قدم كل الخدمات اللازمة للمشاركين، وقد تجلى تعاون القائمين عليه تعاونًا كاملاً ونخص منهم بالشكر والتقدير، والذكر الأستاذة نبيلة الخطيب رئيسة المكتب الإقليمي بالأردن، ونائبها د.عدنان حسونة. أما الدكتور كمال مقابلة فلله دره فيما قدمه! وفيما بذل، فقد كانت جهوده المتميزة التي تكاملت مع ما قدمه سابقاه، كما كان له دوره الواضح المتكامل في إدارة الملتقى ومرافقة الوفود وإرشادها سياحيًا بالنسبة للكثير من معالم الأردن، كمكان موقعة اليرموك التاريخية، ومعالم غور الأردن، وغيرها، وذلك يوم الجمعة ٨ / ٣/ ٢٠١٣م.

وقد تشكلت اللجنة التحضيرية للملتقى من: الأديبة نبيلة الخطيب رئيسة، و د.عدنان حسونة مقررا. وعضوية كل من: د.كمال مقابلة، د. عبد الله الخطيب، شمس الدين درمش (المكتب الرئيسي بالرياض)، علي فهيم الكيلاني، صالح البوريني، هيام ضمرة ■

إعداد: شمس الدين درمش

الرياض: محمد شلاّل الحناحنة

نظرات في رثاء الأندلس

أقام المكتب الإقليمي للرابطة بالرياض ضمن ملتقياته الدورية الشهرية محاضرة بعنوان: (نظرات في رثاء الأندلس) ألقاها الدكتور إبراهيم بن عبدالعزيز الزيد الأستاذ المشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مساء الأربعاء ١٤٣٤/٣/٢٥هـ، وقد أدار اللقاء الدكتور علي الحمود عضو الهيئة الإدارية في المكتب.

واستعرض الدكتور الزيد تجربته التي عاشها في الأندلس (أسبانيا)، ملحقا ثقافيا في سفارة المملكة في مدريد. وتأثره بعبق الحضارة الإسلامية في ربوع ذلك البلد الذي عرف في الثقافة العربية الإسلامية بالفردوس المفقود!.

وتحدث المحاضر عن مراثي الشعراء للأندلس مراحلها ومستوياتها، وإيجابياتها وسلبياتها. ومن كتب في ذلك من الباحثين، وأسماء الشعراء الأندلسيين، وقدم نماذج مختارة من قصائدهم. ومنهم: ابن العسّال الطليطلي، وابن شهيد وابن حزم العالم المعروف، وابن عبدون، وابن خفاجة، ومن أشهر تلك المراثي قصيدة أبي البقاء الرندي.

وشارك في المداخلات الدكتور وليد قصاب، وشمس الدين درمش، والدكتور حبيب المطيري وجبران سحاري

وفي الختام تحدث رئيس الرابطة الدكتور عبد القدوس أبو صالح فأثنى على المحاضر، وإحاطته بموضوعه.

التجربة الشعرية للقرني

واستضاف المكتب الإقليمي للرابطة بالرياض المهندس الشاعر د.ظافر بن علي القرني أستاذ الهندسة المساحية بجامعة الملك سعود في حديث بعنوان: (تجربتي الشعرية) ، وذلك مساء الأربعاء ١٤٣٤/٤/٢٤هـ، وأدار اللقاء الدكتور وليد قصاب.

ولخص الشاعر نشأته في بيئة لا تشجع على الشعر الفصيح، وذكر المراحل التي مرت بها تجربته الشعرية، والحوافز القليلة التي لقيها، مع المعوقات الكثيرة، ومع ذلك شق طريقه نحو الشعر الفصيح، وأصدر عدة دواوين شعرية هي:

الوطن البعد الذي لا يُقاس، الإنسان ذلك الشيء، ثمار الإنهاك، خمولٌ في زمن الازدهار. وصنوان وغير صنوان: قصيدتان طويلتان في مطاردة آفة التدخين والمدخنين، وديوان شعر آلي في موقع بوابة الشعراء.

ثم قدم نماذج من شعره في موضوعات متنوعة شملت قضايا عامة يغلب عليها الجانب الاجتماعي.

وتحدث في المداخلات الدكتور وليد قصاب، وجبران سحاري، والإعلامي خالد العثمان.

ليلة وفاء للدكتور الدبل في أدبي الرياض

نظم النادي الأدبي بالرياض مساء الاثنين ١٤٣٤/٣/١٦هـ، ندوة عن الشاعر الراحل محمد بن سعد الدبل - رحمه الله- (عضو الرابطة)، شارك فيها الدكتور ناصر ابن عبد الرحمن الخنين أستاذ البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود، ونائب رئيس المكتب الإقليمي للرابطة بالرياض، والدكتور عبد الرحمن بن صالح العشماوي الشاعر المعروف وعضو الهيئة الإدارية بمكتب البلاد العربية للرابطة، والدكتورة فاطمة القبيسي أستاذ البلاغة والنقد بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، وأدارها الإعلامي الأستاذ عبدالعزيز العيد.

تحدث د.ناصر الخنين عن الدكتور محمد بن سعد الدبل، بإلقاء الضوء على عصامية الراحل وشغفه بالعلم والتعليم وذكر مؤلفاته وإصداراته، وعدد أبرز صفاته وشمائله، مثل السماحة والندى، والبشاشة، وتعدد مواهبه، وسلامة الصدر وسعته، وطيب الخاطر، وحب التيسير، والإحسان إلى الآخرين.

وتحدث الدكتور عبد الرحمن العشماوي عن ذكرياته مع الدكتور الدبل في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام، عندما كانا يتداولان الشعر، وأن الدكتور الدبل هو الذي أصر على الشاعر العشماوي أن يكتب باسمه الصريح بعد ما كتب بعض القصائد تحت الاسم المستعار «ابن السراوات»، وألقى الشاعر الدكتور عبد الرحمن العشماوي بعض القصائد.

وقد أبَّنت د.فاطمة القبيسي الشاعر الدبل ورثته بخطاب نثري بليغ، وقرأت بعض قصائده، وذكرت طرفا من سيرته الأدبية. وذكرياتها معه عندما كان مشرفا على رسالتها.

بعد ذلك فتح مدير الندوة الأستاذ عبد العزيز العيد المجال للمداخلات حيث داخل كل من الدكتور عبد القدوس أبو صالح، وسعد الغريبي، ثم عدد من أبناء وأقرباء الدكتور محمد ابن سعد الدبل رحمه الله.

بعد ذلك قدم الأستاذ سعد بن محمد الدبل هدية تذكارية من أبناء الفقيد للنادي الأدبي بالرياض تسلمها الدكتور عبد الله بن عبد الرحمن الحيدري رئيس مجلس إدارة النادي.

طلاب المتوسط في مدرسة المناهج يزورون الرابطة

نظم النشاط الطلابي بالقسم المتوسط بالتعاون مع النادي الأدبي زيارة لطلاب النادي إلى رابطة الأدب الإسلامي العالمية، حيث كان في الاستقبال أمين سر المكتب الإقليمي للرابطة الأستاذ شمس الدين درمش الذي أعرب عن سعادته بمبادرة المدرسة، ثم قام بعرض أنشطة وفعاليات الرابطة، واصطحاب الطلاب في زيارة إلى المكتبة، وعرض موجز لمحتوياتها.

وفي قاعة المحاضرات عقد الطلاب حواراً مع أمين سر المكتب، ومحاضرة عن قضايا الأدب الإسلامي، وعن دور الطلاب في أنشطة الرابطة.

وفي النهاية قام الأستاذ شمس بتوزيع هدايا على الطلاب، وتسليم مشرف النادي الأدبي الأستاذ هاشم فتحي شهادة شكر لإدارة المدرسة على هذه الزيارة، وخطاب شكر موجه لمدير القسم المتوسط.

مكتب الأردن- صالح البوريني -

محطات نقدية لعباس مناصرة

تحدث الناقد الإسلامي عباس مناصرة مساء يوم السبت ٢٩/ ١٢/ ٢٠١٢ م، في محاضرة سماها (محطات نقدية). وهي في الأصل ثلاثة مقالات منشورة؛ الأول منها موجه إلى دعاة الأدب الإسلامي تحت عنوان (تعالوا إلى كلمة سواء)؛ وضح فيه مناصرة الظروف التي تحيط بالتنظير الإسلامي لقضايا النقد الأدبي. وتناول المقال الثاني أدبية الخطاب القرآني وموقف الفقه الإسلامي من هذه القضية، وتحدث المقال الثالث عن التغير النسبي في النفس البشرية تجاه الزمن.

والأستاذ مناصرة صاحب كتاب (نظرية الشعر الإسلامي) له بعض الآراء النقدية التي اختلف فيها مع نقاد آخرين من الإسلاميين، وهو

من المهتمين بصياغة نظرية للأدب الإسلامي تعتمد المرجعية الإسلامية وهي القرآن الكريم والحديث النبوي الصحيح. وشهدت المحاضرة تعليقات ومداخلات عدة موافقة ومعارضة.

لماذا أسلموا..؟!

استضافت رابطة الأدب الإسلامي في مكتبه الإقليمي بالأردن يوم السبت الثاني من صفر ١٤٣٤هـ الموافق ١٥ /١٢/ ٢٠١٢ م الأستاذ الدكتور محمد علي الخولي أستاذ اللغة الإنجليزية في جامعة الزيتونة، والخبير في العلاقة بين الأديان السماوية الثلاثة، إذ تربو مؤلفاته في هذا المجال على خمسة وعشرين كتاباً منشورة كلها باللغة الإنجليزية.

والمحاضرة في الأصل كتاب منشور باللغة الإنجليزية عنوانه (Why have they chosen Islam) وهي تقص على القارئ ما تضمنته رسائل الباحثين عن الهداية في: (لماذا أسلموا؟!) عدداً كثيراً من الأسباب التي دعتهم إلى اعتناق الإسلام، وهي أسباب تتعلق بجوهر العقيدة في الإله الحق، أو

بالكتب السماوية، أو بالرسل والأنبياء، أو بممارسة المؤسسات الدينية..رسمياً وشخصياً. وغير ذلك من القضايا.

أثارت المحاضرة أسئلة ومداخلات عديدة من الحضور، وأدارها الأستاذ عبد الله خليل شبيب.

ذكرى ميلاد النبي محمد ﷺ

استأنف مكتب الأردن الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي نشاطاته الثقافية بعد توقف طارئ بسبب أعمال الصيانة في المكتب، واستهل عودته بأمسية شعرية لعدد من شعراء الرابطة؛ تغنت قصائدهم بذكرى مولد النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، مساء السبت ١٣/ ٤/ ١٤٣٤هـ، الموافق ٢٣/ ٢/ ٢٠١٣م.

وقد شارك في الأمسية الشعراء: خالد فوزي عبده، وعلي فهيم الكيلاني، وبسام زكارنة، وبديع رباح، وفايز عليان، ونبيلة الخطيب.

وأدار الأمسية رئيس لجنة الشعر الأستاذ الشاعر أحمد أبو شاور؛ الذي رحب بالحضور، وتحدث عن أهمية المناسبة التي تكتسب قيمتها من عظمة صاحبها وجلالة قدره صلى الله عليه وسلم؛ إذ كانت إيذاناً بطلوع فجر الهدى، وإرهاصاً لإخراج أمة الرسالة والدعوة من ظلمات الجاهلية إلى نور الإيمان واليقين.

وخيمت على جو الأمسية ظلال الخشوع والإجلال في حضرة المناسبة، وانصبغت الأشياء بلون الصمت المتأمل. وختم أحمد أبو شاور الأمسية، بشكر الشعراء المشاركين على ما قدموا، وبشكر الحضور على حسن استماعهم.

أمسية شعرية للعشماوي بندوة الوفاء

أقامت ندوة (الوفاء) الثقافية الأسبوعية بالرياض أمسية شعرية للشاعر الإسلامي السعودي عبدالرحمن بن صالح العشماوي، وذلك مساء الأربعاء ١٠/ ٤/ ١٤٣٤هـ، وقد أدار الأمسية الدكتور يحيى أبو الخير، وحضرها حشد كبير من رواد الندوة، وعدد من وسائل الإعلام منها قناة (اقرأ).

وقد رحب الشيخ أحمد باجنيد عميد الندوة بالشاعر د.عبدالرحمن العشماوي، وضيوف الندوة من الأردن الشيخ د.سليمان الدقور رئيس تحرير مجلة (الفرقان) الأردنية، ود.أحمد شكري، وجميع الإخوة الحضور، ثم تحدث د.عبدالرحمن العشماوي مداولة بين الشعر والنثر حديثا اهتز له الحضور، وأعربوا عن إعجابهم بحديثه النثري بمثل قصائده.

وفي مشاركات الحضور نثرا وشعرا قدم د.حسن غانم قصيدة للشاعر العراقي وليد الأعظمي رحمه الله، وشارك د.حيدر الغدير نثرا وشعرا، والشاعر حسين باجنيد، والشاعر د.عمر خلوف، وشارك الإخوة سيف ويزن وفارس، ووالدهم العميد الشاعر صالح العمري بإلقاء قصائد متنوعة نالت استحسان الحضور إبداعا واختيارا وإلقاء.

مكتب السودان – أم درمان:

افتتاح دار الرابطة بالسودان

افتتح المكتب الإقليمي للرابطة في السودان مقره الجديد بمدينة أم درمان باسم دار الرابطة، بحي الملازمين، شمال حديقة البحيرة، بجوار نادي الشاطئ، مساء الأربعاء ٢٠١٢/٥/٢٣م. وقد تضمن الحفل الفقرات الآتية:

- القرآن الكريم الشيخ محمد عبدالله.
- كلمة رئيس الرابطة أ.د.محمد عثمان صالح.
- مشاركة شعرية الشاعر عمر إبراهيم الفاضل
- الأدب الإسلامي في السودان تاريخ ونماذج: د.حديد الطيب السراج
- قراءة في ديوان عبدالله الشيخ البشير (ملحمة المسيد): د.عبدالله محمد الأمين
- مشاركة هيئة إحياء النشاط الإسلامي: علي أحمد سليمان
- مشاركة شبابية، (طلاب جامعات).
- مشاركة إبداعية الطفلان: وسن خوجلي بشير، وبيان عبدالله الأمين
- قصيدة عن رابطة الأدب الإسلامي: محمد حامد آدم.
- مشاركة شعرية: صديق المجتبى
- كلمة الختام: د.حديد السراج.
- القرآن الكريم: الشيخ محمد عبدالله.

أدب الطفولة.. الواقع والمأمول

وأقام المكتب الإقليمي للرابطة في السودان ندوة بعنوان: (أدب الطفولة.. الواقع والمأمول)، مساء السبت ١٤٣٤/٣/١٤هـ، الموافق ٢٠١٣/١/٢٦م. وتناول الحديث عدة محاور هي: أهمية مرحلة الطفولة، أثر الأدب في تنشئة الطفل، تأصيل أدب الطفولة من رؤية إسلامية، مفهوم أدب الطفل عامة، مفهوم أدب الطفل الإسلامي، أهمية أدب الطفل وحدوده وغاياته. وأخيرا النتائج والتوصيات.

وليد قصاب شاعرا

بتاريخ ٢٨ / ١ / ٢٠١٣ م ، تمت مناقشة الباحث: مضر محمد الشيخ عبدو، في رسالته المقدمة لنيل درجة الماجستير في النقد الأدبي، إلى قسم البحوث والدراسات الأدبية واللغوية، بمعهد البحوث

هل بالإمكان ترجمة الأعمال الأدبية!؟

أقام المكتب الإقليمي في السودان ندوة خاصة عن ترجمة الأعمال الأدبية، مساء السبت ١٤٣٤/٢/٩هـ، الموافق٢٠١٢/١٢/٢٢م، تحت عنوان: (هل بالإمكان ترجمة الأعمال الأدبية!؟) وتحدث فيها د.محمد مصطفى محمد صالح الأستاذ بكلية الآداب بجامعة الخرطوم.

واعتبر الترجمة علما وفنا وإبداعا. واستعرض تاريخ الترجمة وتوصل الحضارة الإسلامية مع الحضارات الأخرى من خلالها. وأورد أمثلة لعدد من مترجمي العلوم التطبيقية، من أمثال حُنين بن إسحاق، ويوحنا بن البطريق، والحجاج بن يوسف ابن مطر، وغيرهم. وأعاد سبب تجافي المسلمين عن ترجمة آداب الأمم الأخرى إلى شعورهم بتفوق الآداب العربية، أو عدم تيسر نقل تلك الآداب من شعر، ونثر فني عبر الترجمة. وهذا يقود إلى هذا التساؤل الذي أصبح عنواناً لهذه الجلسة الأدبية: هل بالإمكان ترجمة الأعمال الأدبية؟! وتحدث في الندوة عدة شخصيات أدبية وعلمية.

بعض آثار الحداثة في الشعر العربي الحديث

أقام المكتب الإقليمي للرابطة بالسودان حلقة أدبية بعنوان: (بعض آثار الحداثة في الشعر العربي الحديث)، قدمها د.مصطفى محمد الفكي، أستاذ الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بجامعة أم درمان الإسلامية، وذلك بدار الرابطة بالملازمين، مساء السبت ١٤٣٤/٤/٢٧هـ، الموافق ٢٠١٣/٣/٩م.

وعرف د.الفكي بالحداثة في الأدب، والفلسفة، وأهدافها، ووضح أثر الحداثة في البناء الفني للقصيدة العربية من حيث الصور والرمز والدلالة. وأن الأغراض التي تتصل بالفلسفة الوجودية هي الغالبة على مضامينها الأدبية، مثل: الموت، والإلحاد، والصراع الطبقي، والكآبة.. إلخ. وقطع الصلة بالتراث الثقافي الإسلامي، وبخاصة في الشعر.

والدراسات العربية بالقاهرة، بعنوان: (وليد قصاب شاعرا: دراسة في الأداة والرؤية). وتألفت لجنة المناقشة من:

أ.د.عبد الناصر حسن محمد شعبان، أستاذ الأدب العربي بجامعة عين شمس، مشرفا ورئيسا.

أ.د.محمد يونس عبد العال، أستاذ الأدب العربي بجامعة عين شمس، عضوا.

أ.د.محمد أحمد بريري، أستاذ الأدب العربي بجامعة بني سويف، عضوا.

وقد منح الباحث درجة الماجستير بتقدير (امتياز).

مكتب القاهرة-محيي الدين صالح:

ندوة أدبية موسعة بالقاهرة

أقيمت ندوة أدبية موسعة بالمكتب الإقليمي للرابطة بالقاهرة مساء يوم الاثنين ٢٤ ديسمبر ٢٠١٢م، من ثلاث فقرات حضرها عدد كبير من أعضاء الرابطة ومن الضيوف.

د.مديحة السايح وجمهرة أشعار العرب

بدأت الندوة بمحاضرة للدكتورة مديحة السايح أستاذة البلاغة والنقد بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، الساعة السابعة مساء، تحدثت فيها عن بناء النص في كتاب جمهرة أشعار العرب (لبيد بن ربيعة نموذجا)، فاستعرضت معلقة لبيد وخصائص البناء فيها، ودلالات وتحليل النص. وقدم عدد من الحضور مداخلات حول المحاضرة.

الشاعر الذاري في مشواره الأدبي

وفي الساعة الثامنة من الأمسية بدأ الشاعر اليمني حسن الذاري حديثا ممتعا، فاستعرض مشواره الأدبي، وعلاقته بسماحة الشيخ أبي الحسن الندوي رحمه الله، وقدم العديد من إبداعاته الشعرية.

حسن الذاري

أمسية شعرية للغول وبرازي والتدمري

وفي الساعة التاسعة بدأت أمسية شعرية شارك فيها عدد من شعراء الرابطة والسادة الضيوف، منهم الشاعر الفلسطيني سعيد الغول، والشاعران عدنان برازي، ومحمد غازي التدمري من سورية .

سعيد الغول

وقد أدارت الندوة بفقراتها الثلاث الأديبة نوال مهني رئيسة لجنة الأديبات بمكتب الرابطة في القاهرة.

الأدب الإسلامي في منتدى الإبداع الثقافي

في يوم الجمعة الموافق ٢٨ ديسمبر ٢٠١٢م، كانت الندوة السنوية للرابطة في محافظة المنوفية في ضيافة منتدى الإبداع الثقافي بشبين الكوم، والذي يرأسه الشاعر أحمد بسيوني.

أحمد بسيوني

في بداية اللقاء تحدث الشاعر الدكتور زهران جبر عن الأدب الإسلامي، وتحدث الشاعر أحمد بسيوني عن نشاط منتدى الإبداع في الفترة السابقة، وقام شعراء الرابطة في القاهرة والمنوفية بإلقاء قصائدهم، كما شارك في الأمسية عدد من شعراء شبين الكوم رواد المنتدى، وأدار الندوة والأمسية الشعرية الشاعر أحمد بسيوني.

الرابطة في مؤتمر مستقبل الإعلام في مصر

وفي يوم السبت الموافق ٢٩ ديسمبر شارك المكتب الإقليمي للرابطة في مؤتمر (مستقبل الإعلام في مصر) الذي أقيم في فندق سمير أميس بالقاهرة بالتعاون بين عدد من المؤسسات المعنية بالإعلام العربي منها شبكة الألوكة. وقد حضر من الرابطة كل من أمين سر المكتب محيي الدين صالح، والأستاذ عبد الحميد ضحا، والأستاذة نوال مهنى، والأستاذة نادية كيلاني، والروائية السورية ابتسام شاكوش.

عبدالحميد ضحا

يوم للأدب السوري في القاهرة

في حضور عدد كبير من الأعضاء والضيوف، استهل مكتب القاهرة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية العام الميلادي الجديد (٢٠١٣) بإقامة يوم للأدب السوري باستضافة عدد من الأدباء العرب الضيوف، وحضور عدد كبير من أعضاء الرابطة في مصر.

مصطفى عكرمة

ففي يوم الاثنين الموافق ٧ يناير ٢٠١٣؛ استضافت الرابطة الشاعر السوري مصطفى عكرمة الذي تحدث عن مشواره الأدبي، ونبذة عن حركة الأدب الإسلامي في سوريا، وقدم نماذج متنوعة من شعره؛ الموجه للطفل، والشعر الوطني، والأدب الساخر.

وتحدثت الأديبة ابتسام شاكوش عن مشوارها الأدبي وبعض الظروف والأحداث التي أثرت في كتاباتها، وقدمت نماذج من القصص القصيرة، ودارت مناقشات حول هذه الإبداعات.

وقدم الأديب السوري محمد غازي التدمري الضيفين، وتحدث عن مكانتهما ودورهما في الوسط الأدبي السوري.

أدار الندوة الدكتور سعد أبو الرضا موضحا اختلاف وجهات نظر النقاد حول القصة القصيرة.

وشارك الشعراء وحيد الدهشان ومحمد حافظ ومحمد أبو قمر وأحمد فتحي والشاعر الفلسطيني سمير عطية بنماذج من قصائدهم. وحضر الندوة الأديب العراقي الدكتور هشام محمد عبد الله.

أمسية أدبية ثلاثية في الإسكندرية

وفي يوم الثلاثاء الموافق ١٢ فبراير ٢٠١٣م أقامت الرابطة بالتعاون مع هيئة الفنون والآداب والعلوم بالإسكندرية ندوة أدبية موسعة بالتعاون مع قصر ثقافة الأنفوشي بالإسكندرية ونادي أدب إدكو، وفي حضور عدد كبير جدا من المهتمين بالأدب.

محمد زكريا عناني

شارك من الرابطة كل من السادة د.سعد أبو الرضا، ود.محمد زكريا عناني، ود.زهران جبر، والشعراء وحيد الدهشان وناصر رمضان وأحمد مبارك والشاعر جابر بسيوني وناجي عبد اللطيف ومحيي الدين صالح ، ومحمود الفحام، ومحمد يس الفيل، ورمزي بهي الدين، وخميس حسون، وآخرون من الشعراء الشباب في الإسكندرية.

وتحدث د.سعد أبو الرضا عن أهمية الأدب الإسلامي ودور الرابطة في هذا الصدد، ثم تحدث د.محمد زكريا عناني مرحبا بوفد القاهرة، وتحدث الدكتور زهران جبر عن تفعيل الأدب الإسلامي في الساحة الثقافية. ثم أقيمت أمسية شعرية تبارى فيها الشعراء بما جادت بها قرائحهم. وأدار الندوة الشاعر جابر بسيوني.

توظيف السيرة النبوية في القصة

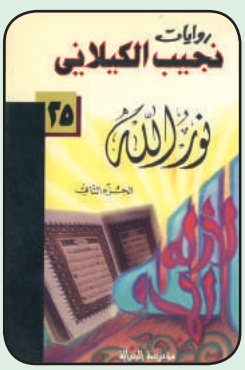

وفي يوم الاثنين الموافق ٢٥ فبراير تحدث الدكتور سعد أبو الرضا عن توظيف السيرة النبوية في القصة، موضحا أهمية ذلك في ربط القارئ بتراثه الإسلامي، وضرب أمثلة لما يقول بكتابي طه حسين: على هامش السيرة، والوعد الحق. وكتابي عبد الحميد جودة السحار: محمد رسول الله والذين معه، وأهل بيت النبي، ورواية نجيب الكيلاني: نور الله؛ بجزأيه.

مكتب الهند- لكنو- إقبال أحمد الندوي:

الندوة الأدبية السنوية ٣١:
دراسة مقارنة لشعر شعراء شبه القارة الهندية والبلدان العربية

افتتح سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رئيس مكتب شبه القارة الهندية لرابطة الأدب الإسلامي العالمية الندوة الأدبية السنوية الحادية والثلاثين التي عقدها مكتب شبه القارة الهندية لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في مدينة كولكاتا العريقة بولاية بنغال الغربية (الهند) بتعاون واستضافة من مدرسة جبريل الدولية فيها، وذلك في ٢٩/ محرم الحرام و١-٢/ صفر ١٤٣٤ هـ، الموافق ١٤-١٦/ ديسمبر ٢٠١٢م، بعنوان «دراسة مقارنة لشعر شعراء شبه القارة الهندية والبلدان العربية».

وذكر الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي في كلمته وهو يلقي الضوء على تأسيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية؛ بجهود سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي في تأسيس الرابطة، عندما أدرك انقطاع الصلة بين الأدب والدين، وتوهم الكثيرين معارضة كل واحد منهما للآخر.

وشدد سماحة الشيخ محمد الرابع على ضرورة تقديم الأدب الصالح المفيد للأطفال والنشء الإسلامي الجديد لأن من طبيعة الأطفال أنهم يذكرون دائماً ما يتلقون في صباهم ويبقى أثره في نفوسهم.

وألقى الشيخ نذر الحفيظ الندوي عميد كلية اللغة العربية وآدابها بجامعة ندوة العلماء ومدير الجلسة الافتتاحية كلمة تمهيدية في بداية الجلسة، عرَّف فيها بالموضوع مسلطاً الضوء على أهميته، مع التعريف برابطة الأدب الإسلامي العالمية ونشاطاتها وخدماتها.

تقرير السكرتير:

وقدم الشيخ نذر الحفيظ الندوي تقرير سكرتير رابطة الأدب الإسلامي العالمية الشيخ محمد واضح رشيد الحسني الندوي جاء فيه بعض التفاصيل عن نشاطات وخدمات الرابطة، لشبه القارة الهندية، وعن الموضوع ومحاوره.

كلمة الترحيب والاستقبال

ورحب الشيخ المقرئ إسماعيل ظفر مضيف الندوة والداعي لها ورئيس مدرسة جبريل الدولية بكولكاتا بالحضور، وذكر تاريخ مدينة كولكاتا، ونوابغ العلم والأدب فيها والدور التعليمية والمؤسسات العلمية والمنظمات الخيرية، وخدماتها الدعوية والتعليمية والإصلاحية.

وأنها كانت مركزا للجهود الدعوية والعلمية ومنبرا رائعا للخطب والمحاضرات السياسية والإصلاحية للشيخ أبي الكلام آزاد أول وزير التعليم العالي للهند الحرة، وأصدر منها جريدتيه الهلال والبلاغ، فهذه المدينة تفتخر وتهتز بحظها وسعادتها مرة أخرى.

كلمة الوفود

وتحدث في الجلسة الافتتاحية رئيس قسمي اللغة العربية واللغة الفارسية بجامعة دربن بأفريقيا الجنوبية الدكتور السيد سلمان الندوي نجل العلامة الشيخ السيد سليمان الندوي رحمه الله تعالى، ممثلا عن المندوبين فأكد صلته بالأدب وتأثيره فيه منذ طفولته. ودعا إلى الاهتمام بأدب الأطفال الهادف البناء.

وعقدت الجلسة الافتتاحية في قاعة سائنس ستي للمحاضرات في كولكاتا. وجلسات البحوث في بيت الحجاج. وترأس الجلسة الافتتاحية سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، وأدار الجلسة فضيلة الشيخ نذر الحفيظ الندوي عميد كلية اللغة العربية وآدابها بجامعة ندوة العلماء لكناؤ، وافتتحها المقرئ محمد عارف بتلاوة آي من الذكر الحكيم، بينما قدم

الشاعر الإسلامي أنيس البرخاصوي والدكتور تابش مهدي أبياتا في المديح النبوي الشريف في هذه الجلسة الافتتاحية والجلسات الأخرى أيضا.

وتحدث في الندوة الشيخ عزيز الحسن الصديقي مدير المدرسة الدينية بغازيفور، والشيخ أنيس الرحمن القاسمي مدير الإمارة الشرعية بفلواري شريف (بتنه)، والبروفيسور منال شاه القادري نائب رئيس أكاديمية أردو لولاية بنغال الغربية، والشيخ عيسى المنصوري رئيس المؤسسة الإسلامية بلندن.

جلسات البحوث، والأمسية الشعرية

بعد الجلسة الافتتاحية عُقدت خمس جلسات للبحوث والمقالات، قدِّم من خلالها ما يقارب خمسة وخمسين بحثا قيماً في المحاور المختلفة لموضوع الندوة، ومن بين هذه البحوث ثمانية بحوث كانت في اللغة العربية، وبحثان في اللغة البنغالية، وبحث واحد في الإنجليزية، وكان الباقي باللغة الأردية. وبهذه المناسبة عُقِدت أمسية شعرية أيضاً، بعد صلاة العشاء في ١٥/ ديسمبر ٢٠١٢م أنشد فيها الشعراء المحليون والوافدون أبياتهم، التي ترأسها شاعر المديح النبوي د.تابش مهدي، وأدارها الشاعر عاصم شاهنواز.

ويمكن الاطلاع على أسماء الباحثين ورؤساء الجلسات ومديريها، وأسماء الشعراء المشاركين في الأمسية الشعرية في الموقع الإلكتروني للرابطة بالتفصيل.

الجلسة الختامية، وتوصيات الندوة:

بعد الجلسة الافتتاحية وخمس جلسات للبحوث انعقدت الجلسة الختامية في ١٦/ ديسمبر ٢٠١٢م برئاسة الشيخ محمد الرابع الندوي، وقدمت عددا من التوصيات قرأها الشيخ نذر الحفيظ الندوي، ومما جاء فيها:

- الاهتمام باللغة الأوردية لأنها حاضنة الآداب الإسلامية والحضارة الدينية الإسلامية في شبه القارة الهندية.

- وتوجيه الأطفال إلى القراءة والكتابة في الأردية بجانب العلوم العصرية الأخرى.
- التعريف بالأدب الإسلامي في الجرائد والمجلات والكتب وتقديم الأدب الإسلامي البناء، ليجد الجيل الجديد فكرة جديدة إيجابية وبناءة.
- تبدي رابطة الأدب الإسلامي العالمية بصفتها حركة أدبية عالمية أسفها الشديد على بذل الجهود والمساعي لنشر العلوم والأفكار الغربية في العالم كله، وإذاعة الأفكار الباطلة والنظريات الهدامة في كل ناحية من نواحي الحياة، وسكوت طبقة كبيرة من مفكري الأمة الإسلامية إزاء ذلك وعدم استشعار الخطر في ذلك.
- تبدي الندوة سرورها على ما حدث من ثورة فكرية وعملية في بعض البلدان من العالم الإسلامي في الآونة الأخيرة، حيث تنهض عناصر صالحة وطاقات فعالة في قيادة البلاد نحو الخير بإذن الله سبحانه.

واختتم سماحة الشيخ محمد الرابع الندوة بكلمة أكد فيها أهداف رابطة الأدب الإسلامي العالمية في نشر الذوق العلمي والأدبي والشعري والفني على المستوى العالمي، وعلى توطيد الصلة بين الأدب بالدين. وأنهى الندوة د.صباح إسماعيل الندوي مدير مدرسة جبريل الدولية ومنسق الندوة بتوجيه الشكر والتقدير إلى المندوبين والمساهمين والحضور.

إصدارات حديثة

أهدت دار رواية في لندن إلى مكتبة رابطة الأدب الإسلامي مجموعة من إصداراتها في فن القصة القصيرة، ط١، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م. وهي:

المقلوب

تأليف ابتسام شاكوش.

أجنحة

تأليف منيرة الموج.

نساء بلا هديل

تأليف ابتسام تريسي.

ضفاف قرمزية

تأليف نورة الصبيح.

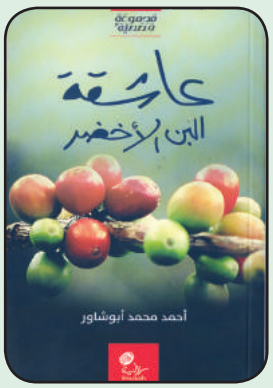

عاشقة البن الأخضر

تأليف أحمد محمد أبو شاور.

حديث الصمت

تأليف محمود حسين عيسى.

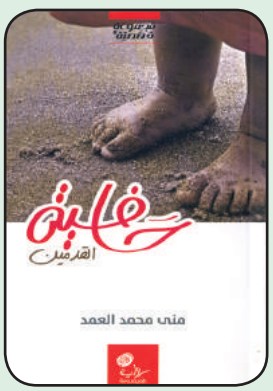

حافية القدمين،

تأليف منى محمد العمد.

لها ألف وجه ووجه

تأليف محمد الهادي.

تحت المجهر

تأليف سامية محمد.

حكايا الاغتراب

تأليف منيرة آل سليمان.

بعد الثمانين

تأليف صورية مروشي.

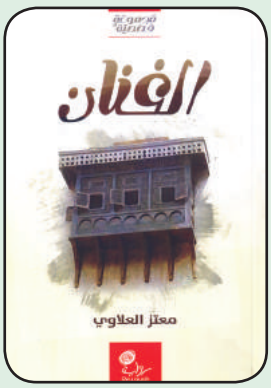

الفنان

تأليف معتز العلاوي.

رماد.. عادت به سارة

تأليف محمد الحضيف.

المحطة٤٠

تأليف سهيلة عزوني.

ومات خوفي

تأليف ظافرة المسلول.

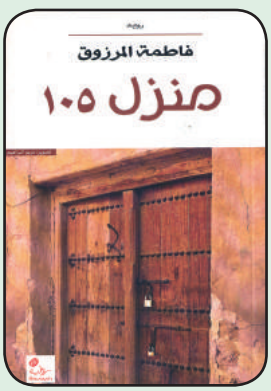

منزل ١٠٥

تأليف فاطمة المرزوق.

صفحات من مذكرات خادمة

تأليف عائشة البديع.

جنازة الملائكة

تأليف وائل رداد.

مواقف ريادية مشرفة في نصرة قضايا المسلمين

سعادة رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي
وفقه الله .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

سعدت كثيراً بالاطلاع على العدد ٧٦ من مجلتي الأثيرة «الأدب الإسلامي»، والتهمته بشراهة في يومين اثنين، ووقفت على مقاربات إسلامية من الأدب الإيفواري، ولوحة ذهبية من الأدب الكردي..

وكنت ألتمس فيه شيئاً.. أي شيء عن القضية الأراكانية ومحنة إخواننا المسلمين الروهانجيا على أيدي يهود العجم في ميانمار البوذية ؛ لما سبق للمجلة من مواقف ريادية مشرفة في نصرة قضايا المسلمين أينما كانوا؛ خصوصاً وأن وسائل الإعلام العالمية القديمة والحديثة ضجت ومازالت بأخبار هذه القضية النازفة طوال الأشهر الماضية.

وإن مما يدخل السرور على قلبي وقلوب المؤمنين الصادقين أن تلحق مجلتي الأثيرة «الأدب الإسلامي» بزمرة الصحف والمجلات التي تسابقت وتسارعت إلى التعريف بهذه القضية العالقة منذ ما يزيد على قرنين من الزمان، وإبراز جوانب المعاناة فيها.

ولقد سبق لي في برنامج تلفازي على إحدى القنوات الفضائية عبر مداخلة هاتفية:

http://www.youtube.com/watch?v=yoHu1Zfu1MY

توجيه الدعوة إلى رابطة الأدب الإسلامي العالمية وأدبائها لتبني نصرة هذه القضية بسحر الكلمة والحرف، وبما وهبهم المولى من نعمة التعبير عن العواطف والمشاعر، وما يجيش به الوجدان المسلم الحي من حراك وانفعال.

وإني أجدد لهم دعوتي إلى ذلك عبر رسالتي المتواضعة، متمنياً بل مشتهياً على المجلة وأسرة تحريرها تحقيق حلمي بأن تكتحل عيناي برؤية اسم أراكان منشوراً على صفحاتها، وأن تلتحق المجلة في القريب العاجل بقافلة المناصرين لقضية أراكان العادلة؛ بادئاً في ذلك بنفسي: قصيدة أراكانية أبعث بها إليكم، أرجو نشرها على ساحات مجلتكم.

وفي الختام: أبدي لكم رغبتي الأكيدة في التشرف بالانضمام إلى عضوية رابطة الأدب الإسلامي العالمية ؛ ولكني أتساءل: كيف السبيل إلى ذلك؟

بارك الله فيكم، وحفظكم المولى ذخراً للإسلام والمسلمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محبكم/ إبراهيم حافظ غريب
مكة المكرمة

هل أنا حقاً أَرَكاني؟

إبراهيم حافظ غريب

من بين دموع حرّى..
تذرفها العينان ؛
عانقتُ على شاشة محمولي..
طفلاً موهوباً..
طار من القدس إلى لبنان !
ما ألطفَهُ !
ما أظرفَهُ !
ما أشرفَهُ !
إذْ يشدو..
بالشعر وباللحن العفْوي الحاني !
يهدرُ ويلعلعُ بالصوت الدمويِّ القاني !
يطلقُ أشواقاً حرّى..
كحمائمَ من آلاف الأميال..
نحو مدينته المأسورة..
نحو القدس العاني !
يبعثُ بقذائفه تتلظّى..
نحو عدوٍّ محتلٍّ شيطان !
صوتٌ فطريٌّ..
يخرقُ حجبَ الأزمان !
يتحدى الأسلاك الشائكة..
المزروعة بين الأوطان !
تسأله..
غانيةٌ باستغراب وحنان :
- أصغيري : من أنتَ؟
ومن أين أتيتَ؟
ولماذا أقبلتَ؟
وكيف وهل ومتى؟
هلا بالسرعة أخبرتَ !
فيجيبُ الطفلُ المدهشُ بثبات جَنان،
ولسان طلق،
وفصيح بيان،
وبياض الأسنان :
- من قلب بلادي..
أقبلتُ أنادي
العاكفَ منهم والبادي..
أن هبّوا أجمعُكم..
لنضال..
وكفاح..
وجهاد..
بـ «عصام البَشِّيتي»..
إيايَ فناد !
وتفجّر في قلبي..
حُمَمُ البركان..
تتناثرُ مثل شظايا..
في كل الأركان..
أسئلةٌ تترى..
تتدافعُ مثل الطوفان :
أين شبيهُ «عصام البشِّيتي»..
من بلدي المأسور «أراكان»؟
هل عقمتْ..
أرحامُ النسوة من بلدي..
عن إنجاب الطفل الثائر..
بالشعر وبالنثر؟
أو حتى بالخفقان؟
في وجه القهر..
وضد الظلم..
وضد الطغيان؟
هل عقمتْ..
أرحامُ النسوة من بلدي..
عن إنجاب الإنسان الأَرَكاني
المفطور بحبّ الأوطان؟
هل عقمتْ..
أرحامُ النسوة من بلدي إلا..
عمَّن يسّاءلُ في أعمق أعماق الوجدان..
بشكوك وظنون..
تبلغُ آلافَ الأطنان :
هل أنا حقاً..
إنسانٌ أَرَكاني؟!!

الشعر والنموذج الأمثل

د. عبدالباسط بدر

يقدم الشعر للإنسان عطاءات كثيرة تمتعه وتفيده، فهو يطربه إيقاعه، ويثري خياله بصوره، ويحرك عواطفه بما يحمله من تجارب وجدانية صادقة. وهو أيضا يرسم له النماذج المثلى للسلوك والقيم، وهذا أحد أسباب عناية الأمم به، وجعله فقرة في مناهج التربية. ذلك أن الشعر منذ أقدم عهوده يرسم مثالية للقيم التي يعليها المجتمع، فيمجد الشجاعة والكرم والنبل والنجدة والتضحية، ويفتش عنها في الممدوحين، ويصقله ويعرضها في ذروة تكوينها، وقد يضيف إليها من خياله ما يوصلها إلى المثال إن لم تكن قادرة بطبيعتها على الوصول إليه. وتكاد تكون هذه القضية قاعدة إنسانية تصدق في كل عصر وفي كل أمة.

وعلى امتداد الشعر العربي كانت صور المدح والفخر والغزل نموذجية، تؤدي وظائف كثيرة منها تقديم المثل الأعلى للجمهور، وجاء العصر الحديث، وتغيرت ملامح كثيرة في وجه الشعر العربي، غابت أشكال من المديح والفخر والهجاء، وأطلت أشكال جديدة. وكان الواقع العربي مزيجا من الإحباط والتطلع والآلام والآمال، وكان الشعر أحد منابر هذه الدعوات جميعها من الإقليمية والتغريب إلى الوحدة والتأصيل.

ويلمح الدارس في شعر المرحلتين الأولى والثانية من هذا العصر، أو ما يسمى اصطلاحا بشعر الإحيائيين والاتباعيين، ظاهرة طيبة لم توفّ حقها من الإضاءة والبحث بعد، هذه الظاهرة هي التطلع نحو مثل أعلى، هو بحق القدوة والأسوة، هذا المثل هو شخص رسول الله ﷺ.

ففي دوامة تلك السنوات التفت الشعراء إلى شخص رسول الله ﷺ، وتغنوا بصفاته الشخصية العظيمة، وتغنوا به رسولا صادق الرسالة، ورجل أمة، وعربيا، وبطل الأبطال، ونظموا جوانب من سيرته في قصائد كثيرة، وتحدثوا بين يدي سيرته عن هموم المسلمين المعاصرة، ولفتوا الأنظار إلى الاقتداء به وتلمس الدروب على هديه... وقد شاعت هذه الظاهرة حتى لا تكاد تجد ديوانا يخلو من قصيدة في رسول الله ﷺ فضلا عن الإشارات المتناثرة في قصائد أخرى.. عند البارودي وشوقي وصبري وحافظ وأحمد محرم وعبدالمطلب.. وحتى بعض الشعراء النصارى قرؤوا في سيرته العطرة تلك الملامح الفذة للشخصية النموذجية.. تغنوا بهذه الشخصية كما فعل الشاعر القروي رشيد سليم الخوري الذي تغنى في عدد من قصائده.

ولكن منذ بداية النصف الثاني للقرن العشرين حتى الآن تتضاءل هذه الظاهرة.. فلا تقع في الدواوين الصادرة إلا على إشارات نزرة لشخصية رسول الله ﷺ، باستثناء شعراء الدعوة الإسلامية، تكاد تفتقد القصائد التي ترى فيه القدوة والمثل الأعلى. فهل انتهت قضية المثل الأعلى والنموذج من الشعر الحديث؟ وهل استغنى جمهور الشعر عنها؟ أم أن الواقع العربي لم يعد في حاجة إليها؟ أبدا.. فما أحسب أن واحدا من هذه الأسباب قد تحقق، فالواقع العربي بما فيه من آلام وآمال أحوج ما يكون إلى المثل الأعلى ليخرج من متاهاته ويضع أقدامه على الطريق الصحيحة مجاهدا كل المعوقات. وجمهور الشعر بعض أبناء هذا الواقع، وهم أكثر حساسية وبحثا عن المثل والنموذج الذي نعيد به صياغة شخصياتنا.. إذاً يبقى لدينا الشعراء أنفسهم الذين لم يحسنوا البحث عن النموذج، ولم يتملوا جوانب العظمة في كل جزء من شخصية الرسول ﷺ.

ولئن كان عتبنا على جيل البارودي وشوقي أنهم لم يبلغوا في صياغة المثل الأعلى الذي اقتبسوه من شخص رسول الله ﷺ أبعادا عميقة في الفن لطبيعة المرحلة التي كانوا فيها فإننا نثني على تطلعهم الحي إلى النموذج في موقعه الصحيح.. ولكن عتبنا كبير وكبير على الشعراء المحدثين الذين تاهوا عن النموذج، أو تاهوا عن موقعه الصحيح، وضربوا شرقا وغربا، ولم يستفيدوا من مناهج السيرة الفنية. ولعل عتبنا ينقلب لوما حارا عندما نراهم - قد ملكوا براعة في الصياغة وتطويرا للأدوات الشعرية- يغفلون عن استحياء النموذج والمثل الأعلى ■

دعوة للكتابة

في ندوة تكريم الدكتور عماد الدين خليل بعنوان:

(عماد الدين خليل مؤرخا ومفكرا وناقدا وأديبا إسلاميا)

(الخميس- الجمعة: ١٥- ١٦شوال ١٤٣٤هـ، الموافق ٢٠- ٢٣ /٨/ ٢٠١٣م).

تعلن رابطة الأدب الإسلامي العالمية عن إقامة ندوة تكريمية للدكتور عماد الدين خليل أحد رواد الأدب الإسلامي ونقاده المعاصرين، بعنوان: (عماد الدين خليل مؤرخا ومفكرا وناقدا وأديبا إسلاميا)، ضمن فعاليات المؤتمر التاسع للهيئة العامة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في القاهرة. فيرجى ممن لديهم الرغبة من الباحثين والباحثات في المشاركة، الكتابة في أحد المحاور الآتية:

- عماد الدين خليل مؤرخا إسلاميا: له (١٩ كتابا) في التاريخ الإسلامي.
- عماد الدين خليل كاتبا ومفكرا إسلاميا: له (٢٤ كتابا) في الفكر الإسلامي.
- عماد الدين خليل ناقدا أدبيا: دراساته التنظيرية والتطبيقية في الأدب الإسلامي (٩ كتب).
- عماد الدين خليل مبدعا أدبيا: (٨ مسرحيات)، (روايتان)، (مجموعتان قصصيتان)،(ديوانان).

تتم دراسة جهوده في التنظير في المحاور المذكورة، دراسة شمولية لمجموعة من الأعمال في محور واحد من المجالات الأربعة، أو دراسة متعمقة لعمل واحد، وإبراز ريادته، ورؤيته المتميزة خصوصا في مجال النقد والتنظير للأدب الإسلامي.

شروط الكتابة:

- آخر موعد لتسلم البحوث (١ رمضان ١٤٣٤هـ، الموافق ٩ آب/ أغسطس٢٠١٣م.)
- ألا يتجاوز البحث (٢٥) صفحة (أ٤) بخط(١٦)، ويرفق ملخص لا يتجاوز (٥) صفحات + موجز السيرة الذاتية للباحث، متضمنا العناوين الخاصة بالباحث.
- أن يتوافر في البحث العلمية والموضوعية، والتدقيق اللغوي والإملائي.
- يرسل البحث عبر البريد الإلكتروني الآتي: info@adabislami.org
- يرجى ممن يرغب الكتابة الإعلام بعنوان البحث المختار للكتابة، وسيتم عرض عناوين البحوث في الموقع الإلكتروني أولا بأول تجنبا للتكرار.

للمزيد من المعلومات عن المؤتمر يرجى زيارة موقع رابطة الأدب الإسلامي العالمية على الإنترنت:

http://www.adabislami.org